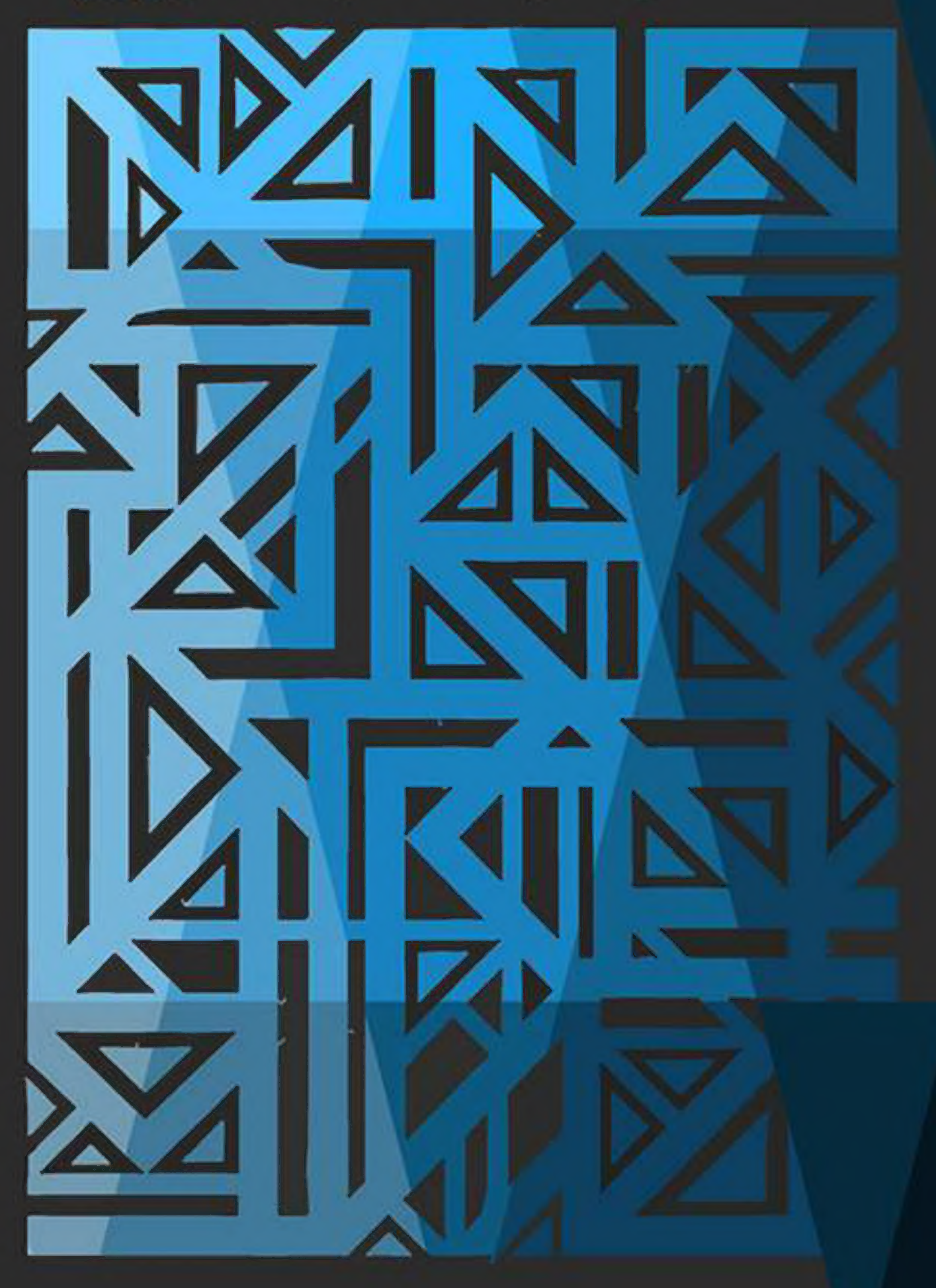
الحياة الثقافية فى المغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية



إعداد

أيمن السيد عبد اللطيف


https://www.facebook.com/Library.iq

الحياة الثقافية فى المغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية

(361 - 543هـ/ 973 - 1148م)

إعداد

أيمن السيد عبد اللطيف

"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ "

[غافر - الآية 82]

إ هـ د ا ء

الشكر دومًا لله الواحد الأحد الفرد الصمد
المنعم والمتفضل عليَّ بتوفيقه وتسيره
سبحانه وتعالى له الفضل والمنة

ثم أهدى هذا العمل إلى...

والداى الأعزاء

أطال الله فى عمرهما على طاعته وحسن عبادته

زوجتى الغالية وبناتى العزيزات...

اللاتى صبرن معى وتحملنّ إنشغالى عنهن بالدراسة والبحث

والشكر موصول لأساتذتى الكرام وعلى رأسهم...

أ.د/ رجب محمد عبد الحليم

شفاه الله وأطال عمره على طاعته

أ.د/ حسين سيد عبد الله مراد

جزاه الله عنى خير الجزاء ونفع بعلمه

ولكل من تعلمت على يديه من أساتذتى الأفاضل ولا يسعنى إلا أن أقول لهم..

مـا الفخـرُ إلا لأهـلِ العلـم إنهـمُ * علـى الهـدى لمـن اسـتهدى أدلاءُ**

وقـدر كـل امـرءٍ مـا كـان يُحسـنهُ * والجـاهلون لأهـلِ العلـمِ أعـداءُ**

فَفُـزْ بعلـمٍ تعـش حيًـا بـه أبـدا * النـاسُ مـوتى وأهـلُ العلـمِ أحيـاءُ**

المقدمة

الحمد لله الذى رضى من عباده باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وخص بالهداية والتوفيق من شاء - نعمةً منه وفضلا - والصلاة والسلام على محمد عبده المصطفى ونبيه المرتضى ورسوله الصادق المصدوق، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين، ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد،،،

تناولت هذه الدراسة موضوع الحياة الثقافية فى المغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية (361 - 543ه/ 973 - 1148م)، والدولة الزيرية هى إحدى الدول التى قامت فى منطقة المغرب الأدنى، وشهدت فترة حكمها ازدهارًا فى جميع النواحى خاصةً الثقافية منها، وكانت عاصمتها مدينة القيروان منارة للعلم والثقافة على مستوى بلاد المغرب الإسلامى، وتبدأ الدراسة بعام 361ه/ 973م وهو العام الذى رحل فيه المعز لدين الفاطمى إلى مصر تاركًا بلاد المغرب تحت سلطة مخدومه بُلكين بن زيرى (362-373ه/ 972-984م) أول أمراء هذه الدولة التى حكمت المغرب الأدنى حتى سنة 543ه/ 1148م، وكان نهاية عهدها باستيلاء النورمان على المهدية فى عهد آخر ملوكها الحسن بن على (515-543ه/ 1121- 1148م).

وتذكر لنا المصادر أن أمراء هذه الأسرة كانوا عمالًا لبنى عُبيد ولكنهم بلغوا درجة الملوك وكانت لهم فخامة وصيت، وأن أيامهم قد زادت على مائتى سنة، ويرجع نسب هذه الأسرة إلى قبيلة صنهاجة البربرية التى ارتفع نجمها فى هذه الفترة، ومنذ بداية عهدها وهى فى محاولات مستمرة للاستقلال عن الفاطميين، خاصة وأن أمرائها كانوا بالفعل لهم سلطات مطلقة فى بلاد المغرب الأدنى، واستمرت محاولات الاستقلال حتى كُللت بالنجاح على يد الأمير المعز بن باديس (406-454ه/ 1016-1062م)، الذى خلع الطاعة للفاطميين وخطب للخليفة العباسى فى بغداد على منابر إفريقية، ودعم هذه الأهداف السياسية توجهه المذهبى والعقائدى الذى زكّاه علماء المالكية بالقيروان، فحمل الناس على اعتناق المذهب المالكى وترك ما دونه من المذاهب الأخرى، حتى يتم له بذلك الانفصال الروحى والمذهبى عن الفاطميين بمصر.

ازدهرت الحياة الثقافية فى عهد بنى زيرى بسبب العديد من العوامل التى تباينت فى مدى إسهامها فى ذلك، وأصبحت مدن المغرب الأدنى دار ملك بنى زيرى منارة للإشعاع الثقافى، واجتمع فيها من فضلاء العلماء وصلحاء الأولياء والفقهاء والأطباء والكتَّاب ومفلقى الشعراء والمهندسين والمنجمين وانضووا إليها من سائر البلاد ما جعلها قطر العلم بالغرب الإسلامى.

أهمية الموضوع:

اهتمت العديد من الدراسات الحديثة بالتاريخ السياسى لإقليم المغرب الأدنى فترة البحث، وعالجت تاريخ الإقليم معالجة عامة ولم تأخذ الطابع التخصصى لأوضاعه الحضارية المختلفة خاصةً الثقافية منها، فقد ولع أصحاب هذه الدراسات لهذا الإقليم بالتاريخ السياسى وأحداثه حتى قُتل بحثًا، أما النواحى الثقافية فقد تركت ربما لقلة المادة التاريخية المتعلقة بهذا الجانب، مع العلم أن المغرب الأدنى فى هذا العهد كان يمثل مركزًا من مراكز الثقافة الإسلامية، اهتم فيه العلماء بالعلم والتعليم بالكتاتيب والمساجد وغيرها من مراكز الثقافة فى ذلك الوقت، وكان الأساس فى العملية التعليمية القرآن الكريم ثم الحديث والفقه والتفسير، ثم شملت الكثير من العلوم والفنون والآداب مما أدى إلى ازدهارها فى عهد بنى زيرى، بحيث صارت إفريقية مقصدًا للطلاب من شتى البقاع حولها من المغرب الأوسط والأقصى والأندلس، وانطلاقًا من ذلك جاء اختيار الباحث لهذا الموضوع الهام، بهدف المشاركة فى الكشف عن التاريخ الحضارى لأقطارنا الإسلامية والعربية.

أسباب اختيار الموضوع:

وجدت عدة أسباب مهمة لاختيار الموضوع منها:

- الميل الشخصى لدراسة الجوانب الحضارية فى التاريخ الإسلامى، لأن ذلك يساعد على تقديم نظرة موضوعية ومتوازنة لحقيقة إنجازات الأمة الإسلامية فى شتى دروب الحياة.
- قلة الدراسات المتخصصة فى هذا الموضوع فى هذه الفترة الزمنية فكان من الضرورى إبراز الوضع الثقافى للمغرب الأدنى فى ذلك الوقت.

- دراسة العلوم النقلية والعلوم العقلية التى ازدهرت فى مكان هذه الدراسة وزمانها بالإضافة إلى توضيح الصلات العلمية التى ربطت المغرب الأدنى بعالمه الإسلامى.

إشكالية الموضوع:

لكل موضوع بحث مشاكل تحيط به، ومن إشكاليات هذا الموضوع قلة المصادر التى تحدثت بشكل مباشر عن الحياة الثقافية فى تاريخ المغرب الأدنى، حيث أن المؤرخين القدامى منهم والحاليين يوجهون أقلامهم فى الغالب نحو كتابة التاريخ السياسى والعسكرى، لذلك اعتمد الباحث بشكل أساسى فى هذه الدراسة على كتب التراجم والطبقات وكتب الرحلات والنوازل لاستقراء الخط الثقافى السائد فى هذه الفترة، ومدى تأثيره وتوجهه فى حياة المجتمع وفى الحراك السياسى للدولة.

ومن إشكاليات موضوع بحثنا أيضًا، أن هناك العديد من النوازل أوردت أحداثًا غير محددة بزمان أو بمكان، ولذلك وجب على الباحث أن يسعى جاهدًا لمعرفة الفترة الزمنية التي كتبت فيها النازلة، وذلك من خلال الوقوف على ترجمة الفقيه الذي أفتى في النازلة أو شيوخه، أو قراءة جواب الفقيه الخاص بتلك النازلة، وبذلك يسهل تحديد الفترة الزمنية.

منهج الدراسة:

تم بعون الله استخدام منهج البحث التاريخى وأدواته فى استخلاص المادة العلمية من بعض المصادر الهامة من بين السطور حيث أنها اهتمت فى المقام الأول بالناحية السياسية، وتتابع الحوادث التاريخية، لذلك اعتمد الباحث على استقراء بعض المصادر التى ظلت بعيدة عن أعين الكثير من الباحثين رغم صلتها القوية بالمادة التاريخية، وأعنى بها كتب الرحلات والنوازل والتراجم، بالإضافة إلى الدراسات الأثرية، حيث أن هذه المصادر تعتبر الأساس لدراسة ثقافة أى مجتمع، وإن كانت العملية معقدة ودقيقة وتحتاج إلى رصدها من خلال دراستها دراسة دقيقة، ومن ثم صياغتها وعرضها بطريقة بسيطة، تبين المظاهر الفكرية للمجتمع.

واعتمد الباحث على تحليل هذه المعطيات الغير مباشرة بالمصادر ومقارنتها واستخلاص المادة العلمية المتمثلة فى فكر المجتمع الزيرى فى هذه الفترة بموضوعية تامة لتفسير الأحداث.

خطة الدراسة:

قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة على النحو التالى:

تناول التمهيد التقسيم الجغرافى لبلاد المغرب الأدنى والإطار الجغرافى لها فى هذه الفترة، واعتمد الباحث بشكل أساسى فى ذلك على كتب الرحالة فى تحديد جغرافية المناطق التابعة لدولة بنى زيرى. وتناول الباحث أيضًا دراسة موجزة عن التطور السياسى فى المغرب الأدنى فى هذه الفترة وتولى بنى زيرى إدارة البلاد ومحاولاتهم المتكررة للاستقلال عن الفاطميين.

أما الفصل الأول فقد حمل عنوان: **"عوامل الازدهار الثقافى فى المغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية"**، وتحدث الباحث فيه عن قيام الحياة الثقافية والفكرية بالمغرب الأدنى وتطورها خلال القرون الأولى للهجرة وفى عهد الدولة الزيرية ثم تناول أهم العوامل التى ساعدت على ذلك ودورها فى تطور هذه الحياة الثقافية فى أربعة نقاط وهى (الموقع وأهميته، الرخاء الاقتصادى، تشجيع الأمراء والولاة، الرحلة فى طلب العلم)، وكل هذه العوامل كان لها أكبر الأثر فى زيادة الوعى الثقافى وكان لها دور ملموس فى تطوير العلوم والآداب بالبلاد فى هذه الفترة.

ويأتى الفصل الثانى بعنوان: **"دُوُر العلم والثقافة والنظم التعليمية فى الدولة الزيرية"**، ويعرض الباحث فيه دور المنشآت والمؤسسات العلمية والاجتماعية فى تطور التعليم فى البلاد متناولًا أهم الميزات التى خصت كل عنصر منها ومن هذه المؤسسات التعليمية (الكتَّاب، والمسجد، و الرَبُط، ودار العلم التطبيقى، والمكتبات، ومجالس العلم)، كما تناول الباحث النظم التعليمية السائدة فى هذا العصر وتضمنت (سن التعليم، وواجبات المعلم، ومناهج المقررات التعليمية، والإجازة العلمية).

وفي الفصل الثالث الذى عنوانه: **"العلوم النقلية فى بلاد المغرب الأدنى في عهد الدولة الزيرية"**، وتناول الباحث فى هذا الفصل (العلوم الشرعية، وعلوم اللغة العربية، وعلوم الأدب والشعر)، تناول فيها الباحث دراسة كل ما يتعلق بهذه العلوم وبداية ظهورها بالمغرب الأدنى وتطورها، ومدى اهتمام أهل البلاد بتعلمها وتعليمها، والسعى للتزود منها، وما أسهم ذلك من إثراء للحياة الثقافية فى تلك الفترة.

أما الفصل الرابع عنوانه: **"العلوم العقلية فى المغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية"**، فتناول فيه الباحث هذه العلوم فى ثلاثة نقاط كانت

بالترتيب (العلوم الاجتماعية والتربوية، وعلم الكلام، وعلوم الطبيعة)، كذلك تناول الباحث دراسة كل ما يتعلق بهذه العلوم وتفصيلاتها وتاريخ ظهورها وتطورها، وقياس تواجدها بدولة بنى زيرى.

ثم الفصل الخامس بعنوان: "**الصلات الثقافية بين المغرب الأدنى والعالم الإسلامى**"، وتناول الباحث فى هذا الفصل العلاقات الثقافية بين المغرب الأدنى وبين كل من (المغرب الأقصى، والأندلس، ومصر، ومكة والمدينة)، ومدى ترابط المدن الإسلامية فى المشرق والمغرب عن طريق العلوم والآداب، ومدى ما كان لهذه العلاقات الثقافية من قوة حتى أنها لا تتأثر من الأحداث السياسية الجسام، بل تستمر وتتحد مما أدى إلى وجود نوع من وحدة الفكر والثقافة بين المدن الإسلامية فى كافة أقطار العالم الإسلامى.

ثم تنتهى هذه الدراسة **بخاتمة** عرضت فيها أهم النتائج التى تم استخلاصها من هذه الدراسة، ثم ذيلت هذه الدراسة ببعض الملاحق التى تم الاعتماد عليها وقائمة المصادر والمراجع.

أهم المصادر التى اعتمدت عليها هذه الدراسة:

قد اعتمدت هذه الدراسة على عدد من المصادر المخطوطة والمطبوعة سواء كانت كتب تراجم أو مصادر تاريخية أو مصادر جغرافية وغير ذلك.

أولًا: كتب التراجم والطبقات:

وهذا النوع من المصادر يأتى فى مقدمة المؤلفات التى استفاد منها الباحث فى دراسته، نظرًا لكونها تضمنت قدرًا معتبرًا من مادته، إذ أنها اهتمت بتناول حياة الفقهاء وأوردت نصوصًا هامة تتعلق بنشاطاتهم العلمية والثقافية، وأول هذه المصادر كتاب "**طبقات علماء إفريقية وتونس**" لأبى العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت: 333ه/944م)، وتكمن أهميته فى أنه أول مصدر وصل إلينا فى طبقات علماء إفريقية، وقد أفاد البحث فيما أورده من معلومات عن إرساء العلوم بالمغرب الأدنى، وقوة فقهاء المالكية فى عهده والذى تتلمذ على أيديهم العديد من فقهاء بنى زيرى.

ويُعد كتاب "**طبقات علماء إفريقية**" لأبى عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشنى (ت: 361ه/971م) من المصادر الهامة التى اعتمد عليها الباحث، حيث امتاز صاحبه بسعة أفقه، ويتجلى ذلك فى ترجمته لبعض

الفقهاء في بلاد المغرب الإسلامي، مما يؤكد على مدى التواصل بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى.

ويُعد كتاب "**طبقات الأطباء والحكماء**" لأبى داود سليمان بن حسان الأندلسى (ت: بعد 377هـ/987م)، من الكتب الهامة التى كشفت الستار عن مدى تطور الطب بالمغرب الأدنى فى هذه الفترة ويتضح ذلك من خلال الطبيب الشهير أبو جعفر ابن الجزار القيروانى (ت: 369هـ/979م) الذى أسهم فى تطور العلوم الطبية فى بلاد المغرب بل وفى العالم كله حيث طارت مؤلفاته فى المشرق والمغرب.

كما كان كتاب "**رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسَّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**"، لأبى بكر المالكى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى، أفاد البحث فى إبراز وجهة النظر السنية حول الصراع المالكى الشيعى، وقدم الكثير من التراجم التى أفادت الدراسة فى فصول عديدة.

أما كتاب "**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**" للقاضى عياض بن موسى اليحصبى (ت:544هـ/1149م)، فإنه يعد من أهم المصادر وأحسنها لاسيما من الناحية المنهجية، فقد أفاد البحث بمعلومات فى بعض المسائل التى لم يتطرق إليها غيره مثل تلك التفصيلات التى أوردها حول مسائل الإيمان والتى أثارت جدلًا واسعًا فى القرنين الثالث والرابع الهجريين.

وكذلك كتاب "**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**" لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر المعروف بابن خلكان (ت: 681هـ/1282م)، والذى أفاد البحث على وجه الخصوص بما أورده من معلومات حول أثر أبو الحسن القابسى فى تطور علم الحديث بإفريقية.

أما كتاب "**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**"، لأبى زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصارى الأسيدى الدباغ (ت: 696هـ/1196م)، فإنه يعد من أهم المصادر التى أفادت البحث، حيث أنه تناول تراجم معاصرة لفترة البحث، فقد أثرى البحث بمعلومات هامة عن علماء المالكية فى هذه الفترة.

واعتمدت الدراسة أيضًا على كتاب "**الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب**"، للقاضى إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكى (ت: 699هـ/1396م)، والذى أفاد الباحث بالعديد من تراجم الفقهاء الذين احتلوا مكانة خاصة بين أبناء المجتمع بفضل إسهامهم الثقافى.

أما كتاب "**سير أعلام النبلاء**" لأبى شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت: 714ه/1314م)، فهو من الكتب الهامة التى أفادت البحث بما أورده من معلومات أوضحت الدور الثقافى لفقهاء المالكية بإفريقية، خصوصًا منهم الذين رحلوا إلى بلاد المشرق كأبى عمران الفاسى (ت: 430هـ/1039م).

وكتاب "**الوافى بالوفيات**" لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى (ت:764هـ/1363م)، والذى أمد البحث بما أورده من معلومات حول الرحلات التى كانت من أهم الطرق لتحصيل العلوم والحصول على الإجازات العلمية.

ويُعد كتاب "**بغية الوعاة فى طبقات اللغوين والنحاة**" لجلال الدين السيوطى (ت: 911هـ/1505م) من الكتب التى أفادت البحث كثيرًا، ويتميز بذكر العلماء الذين تخصصوا فى علوم اللغة العربية بصفة عامة وعلم النحو بصفة خاصة، والعلماء الذين اشتغلوا به.

كما استفاد البحث من كتب الطبقات والتراجم الأندلسية، ومن أهمها كتاب "**تاريخ علماء الأندلس**" لأبى الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الفرضى (ت: 403ه/1012م)، والذى أمد البحث على وجه الخصوص بمعلومات عن أثر الفقهاء والقرَّاء فى تطور علم القراءات بإفريقية، وما يتعلق باستمرار النشاط العلمى لهم.

وكذلك كتاب "**الزخيرة فى محاسن أهل الجزيرة**" لأبى الحسن على بن بسام الشنترينى (ت: 542ه/ 1144م)، والذى أفاد البحث فى ذكر العديد من التراجم التى أخذت العلم من علماء القيروان عند القيام برحلاتهم إلى المشرق.

ومن هذه الكتب كتاب "**الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**" لأبى القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت: 578ه/1280م)، والذى أورد معلومات هامة عن علماء الأندلس الذين رحلوا إلى إفريقية، وتحصلوا على العلوم، ومنهم من استقر بإفريقية، ومنهم من عاد إلى الأندلس وقام بتعليم ما قام بتحصيله من علوم.

ومثله فى ذلك كتاب "**التكملة لكتاب الصلة**" لمحمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى المعروف بابن الأبار (ت: 658ه/1259م)، والذى أفاد البحث بما أورده من معلومات عن مؤلفات العديد من فقهاء المالكية وسيرتهم.

ثانيًا: كتب التاريخ:

وهذه المؤلفات أفادت البحث كثيرًا فى التعرف على الإطار السياسى للموضوع، كما تضمنت نتفًا عن الجانب الثقافي، ومن أهم هذه الكتب، كتاب "**قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب**" لأبى اسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق والمعروف بالرقيق القيروانى (ت:425ه/1003م)، وقد كان لهذا الكتاب أهمية كبيرة فى المعلومات التى قدمها عن الأحداث بإفريقية، حيث أن المصنف قد عاش فى نفس فترة البحث وعاصرها.

ومن هذه الكتب أيضًا "**الكامل فى التاريخ**" لأبى الحسن عز الدين على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى المعروف بابن الأثير (ت: 630ه/1232م)، وأمدنا هذا المصدر بالعديد من المعلومات القيمة عن الحقبة التاريخية لدولة بنى زيرى.

وكذلك كتاب "**البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب**" لأبى العباس أحمد ابن عذارى المراكشى (ت: 695ه/1297م)، وأفاد هذا الكتاب فى تقديم العديد من المعلومات عن دولة بنى زيرى وأمرائها، والأحداث التى حدثت فى عهدهم سواء كانت فى علاقاتهم مع القاهرة، أو فى صرعاتهم مع القبائل المجاورة.

ويُعد كتاب "**العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر**" لعبد الرحمن بن خلدون (ت: 808ه/1406م) من المصادر الهامة التى أفادت البحث من حيث التعريف بأصول القبائل البربرية والهلالية، وكذلك العملية التعليمية والنظم التعليمية ببلاد المغرب.

ومن الكتب الهامة أيضًا كتاب "**المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس**" لأبى عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى (ت:1092ه/1681م)، والذى اعتمد عليه البحث فى العديد من المعلومات الخاصة بالناحية السياسية بالمغرب الأدنى فى هذه الفترة.

كذلك كان كتاب "**الحلل السندسية فى الأخبار التونسية**" لأبى عبد الله محمد ابن محمد السراج (ت: 1149ه/1736م)، من الكتب القيمة والتى استفاد البحث منها فى العديد من المعلومات الهامة فى تاريخ المغرب الأدنى.

ثالثًا: كتب الجغرافيا والرحلات:

استفاد البحث من هذه المصادر فى تحديد بعض المدن وبيان أهميتها وسماتها، علاوةً على أنها تضمنت معلومات هامة عن الجوانب الاجتماعية والثقافية ومن هذه المصادر كتاب "**مسالك الممالك**" لأبى

اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الإصطخري (ت: 346ه/957م)، الذى أفاد البحث بتحديد مدن إفريقية ووصفها وصفًا دقيقًا، فوصف لنا الجبال والأنهار والأشجار والأسواق، معتمدًا فى ذلك على المشاهدة الشخصية.

وكذلك كتاب "**صورة الأرض**" لأبى القاسم محمد بن حوقل (ت: بعد 367ه/977م)، أفاد البحث ببيان المقدرات الاقتصادية للمدن الإفريقية فى هذا العصر.

كما كان كتاب "**أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم**" لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر المقدسى (ت:387/997م)، من الكتب الهامة للبحث حيث قدّم معلومات دقيقة عن مختلف المدن الإفريقية أفادت البحث، إلى جانب تناوله عن بعض العلاقات الاجتماعية مثل العلاقة بين الأحناف والمالكية بإفريقية.

ومن المصادر الهامة لمادة البحث كتاب "**المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب**" لأبى عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكرى القرطبى (ت: 487ه/1094)، حيث قدم معلومات منظمة ومركزة على المدن الإفريقية، نقلًا عن المؤرخين والجغرافيين الذين سبقوه كمحمد بن يوسف الورَّاق، والتى انفرد ببعضها كتحديده الجغرافى لبعض القرى، كما أعطى البكرى العديد من الإشارات لوجود الرَبُط بكثرة بالمغرب الأدنى.

ومن كتب الجغرافية التى أمدتنا بمعلومات قيّمة كتاب "**الاستبصار فى عجائب الأمصار**" وهذا الكتاب لكاتب مراكشى غير معلوم اسمه عاش فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى، وقد أمدنا بالعديد من المعلومات عن المدن والمواقع ببلاد المغرب الأدنى، وأهم ما تميزت به هذه المدن من زراعة أو مياه أو غير ذلك.

وكذلك كتاب "**معجم البلدان**" لأبى شهاب الدين عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى (ت: 622ه/1225م)، أمد البحث بالعديد من المعلومات عن أسماء المدن وأماكنها، فى إشارات إلى بعض العلماء والصالحين المنتمين لها.

ويُعد كتاب "**رحلة التجانى**" لعبد الله بن محمد التجانى (ت: 718ه/1318م)، من الكتب الهامة التى اعتنت بالترجمة لفقهاء المالكية فى إفريقية، واستفادت الدراسة من المعلومات القيمة التى أوردها المصنف عن هؤلاء الفقهاء.

رابعًا: كتب التعليم:

اهتم فقهاء المغرب الأدنى بالتأليف فى موضوع التعليم والمتعلمين، نظرًا لانتشار التعليم فى ذلك الوقت والحاجة الماسّة إلى تنظيم العملية التعليمية والاستفادة منها، وأهم مصنفين من هذا النوع من المصادر هما: كتاب "**آداب المعلمين**" لمحمد ابن سحنون (ت: 256هـ/817م)، وكذلك كتاب "**الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**" لأبى الحسن القابسى (ت: 403هـ/1012م)، وكانت الاستفادة من هذين الكتابين كبيرة جدًا، فقد اعتمد البحث عليهما فى وصف العملية التعليمية وطرقها والسن التى يبدأ فيها التعليم، والمناهج التعليمية المنتشرة فى ذلك الوقت، وكذلك أهم الصفات التى يجب أن يتحلى بها المعلم.

خامسًا: كتب الفتاوى والنوازل:

يكتسى هذا النوع من المؤلفات بأهمية كبيرة فى دراسة الجانب الحضارى لأية مجتمع، نظرًا لما يورد فيها من معلومات تتعلق بذلك، ومن المصادر التى اعتمد عليها البحث من هذه الكتب كتاب "**فتاوى البرزلى**" لأبى القاسم بن أحمد البلوى التونسى، (ت: 841هـ/1438م) وكذلك كتاب "**المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**" لأبى العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد الونشريسى (ت: 914هـ/ 1508م)، وقد أفادت هذه الكتب البحث بمعلومات لا يمكن أن نصل إليها بدونها، مثل حلقات التعليم بالكتاتيب وفتاوى خاصة بالعديد من المسائل مثل ما يأخذه المؤدب من أجرة... وخلافه.

سادسًا: مصادر أخرى:

هذه المصادر متنوعة ومختلفة، وكانت الاستفادة طبقًا للحال، فمن هذه المصادر ما أمدنا بمعلومات عن الحركة الأدبية وعن الشعراء فى هذه الفترة بالمغرب الأدنى، مثل كتاب "**أنموذج الزمان فى شعراء القيروان**" للحسن بن رشيق القيروانى الشاعر الشهير، والذى قدم فى هذا الكتاب تراجم عديدة لشعراء نبغوا فى فترة البحث. ومن هذه المصادر أيضًا كتاب "**الحلة السيراء**" لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر القضاعى المعروف بابن الأبار (ت: 658هـ/1260م)، وكذلك كتاب "**نهاية الأرب فى فنون الأدب**" لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت: 1335/733م) وتحدثت هذه المصادر عن الحركة الأدبية وازدهارها فى ذلك الوقت خاصةً فى عهد الأمير المعز بن باديس.

كما كان من هذه المصادر أيضًا كتاب "**عُمدة الكُتَّاب وعُدة ذوى الألباب فى صفة الخط والأقلام والمِداد والليق والحبر والأصباغ وآلة التجليد**" للأمير المعز بن باديس (ت: 454هـ/1062م)، وهو كتاب غاية فى الأهمية، لأنه يوضح مدى التطور والتقدم الذى وصلت إليه صناعة العلم، ومدى رقى ثقافة أمراء البيت الزيرى ووصولهم إلى مرحلة التأليف.

سابعًا: المراجع والدراسات الحديثة:

استفاد البحث من العديد من المراجع والدراسات الحديثة، والتى بذل فيها أصحابها جهدًا مشكورًا يضيف إلى رصيدهم العلمى، ومن هذه المصنفات مؤلفات العلامة/ حسن حسنى عبد الوهاب، وفى مقدمتها كتابه "**ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**" وما تضمنه من استنتاجات هامة حول بعض المسائل المتعلقة بالحياة الاجتماعية والثقافية بإفريقية، وكتابه "**العمر فى تراجم المؤلفين التونسيين**" والذى ترجم فيه لأشهر المؤلفين التونسيين عبر التاريخ، كما كان له كتاب "**شهيرات تونسيات**" وهو كتاب هام جدًا فى توضيح دور المرأة فى دولة بنى زيرى وإلى أى مدى كان له تأثير فى تغيير مجرى الأحداث السياسية العظام.

ومن المؤلفات الهامة أيضًا كتاب "**التربية فى الإسلام أو التعليم فى رأى القابسى**" للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى، والذى شرح فيه رأى القابسى فى التربية والتعليم فى القرون الأولى فى الدولة الإسلامية. كما استفاد البحث من مراجع مثل كتاب "**الاتجاهات الثقافية فى بلاد الغرب الإسلامى خلال القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى**" للدكتور بشير رمضان التليسى، والذى تناول فيه الاتجاهات الثقافية بشيء من التحليل والتفصيل وأبرز الاتجاهات الثقافية التى عرفتها بلاد المغرب عمومًا.

ومن المراجع الهامة أيضا كتب الدكتور/ حسين مؤنس مثل كتاب "**معالم تاريخ المغرب والأندلس**"، وكتاب "**أطلس تاريخ الإسلام**"، وكذلك الدكتور/ سعد زغلول عبد الحميد وكتابه "**تاريخ المغرب العربى**"، وكذلك كتب الدكتور/ محمد محمد زيتون، مثل كتاب "**القيروان ودورها فى الحضارة**" الإسلامية"، وكتاب "**المسلمون فى المغرب** والأندلس"، فقد أمدتنا كل هذه المراجع بالعديد من المعلومات الهامة عن تاريخ دولة بنى زيرى.

وفى الختام أتقدم بالشكر لأستاذى الجليل العلامة الدكتور/ رجب محمد عبد الحليم لموافقته على الاشتراك فى الإشراف على هذا العمل وعلى ملاحظاته القيمة التى أثّرت على المنهج المستخدم فى الدراسة.

كما أتقدم بخالص الشكر والعرفان لأستاذى الدكتور/ حسين سيد عبد الله مراد والذى لا أستطيع أن أوفيِّه حقه، فلولا صبره وتوجيهاته ومنهجه القويم لما خرج هذا العمل، والله أسأل أن يجازيه عنى خيرًا وأن ينفع بعلمه.

والله الموفق والمستعان.

تمهيد

- **أولًا: الناحية الجغرافية للمغرب الأدنى**
- **ثانيًا: الأحوال السياسية بالمغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية**
  1. **قيام الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب.**
  2. **نشأة دولة بنى زيرى.**

أولًا: الناحية الجغرافية للمغرب الأدنى:

تتميز بلاد المغرب الأدنى بأنها بلاد خصبة التربة صحيحة الهواء عذبة الماء، وسُمِيَ بالأدنى لأنه أدنى بلاد المغرب إلى بلاد العرب ومركز الخلافة[1]، وحدود المغرب الأدنى من الشرق برقة[2]، ومن الغرب بجاية[3]، ومن الشمال البحر المتوسط، ومن الجنوب آخر بلاد الجريد[4]. ولفظ المغرب عند الإصطخرى المتوفى عام 340ه/950م يشمل كل ما يلى مصر غربًا ويقسمه إلى قسمين: شرقى، ويشمل برقة

---

(1) القلقشندى (أبى العباس شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد، ت:821ه/1418م)، "صبح الأعشى"، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1333ه - 1915م، ج5، ص99.

(2) برقة: هى مدينة كبيرة أزلية فيها آثار كثيرة للأمم السابقة، وتقع فى صحراء حمراء التربة والمبانى، وأرضها خصبة، وأكثر ذبائح أهل مصر من غنم برقة. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن حوقل (أبى القاسم ابن حوقل النصيبى، ت: بعد 367ه/978م): "صورة الأرض"، نص النسخة المرقومة (3346) المحفوظة فى خزانة السراى العتيق في استنبول، دار صادر، بيروت، لبنان، ط: الثانية، ج1، ص66 وما بعدها؛ البكرى (أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى، ت:487ه/ 1057م): "المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب - وهو جزء من كتاب المسالك والممالك"، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، ص4 وما بعدها؛ كاتب مجهول (6ه/12م): "كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب"، لكاتب مراكشى من كتاب القرن السادس الهجرى - الثانى عشر الميلادى، نشر وتعليق: د/ سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ص143.

(3) بجاية: هى مدينة عظيمة على ساحل البحر بالمغرب الأوسط، وأول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيرى بن مناد بن بُلكين سنة 457ه/1053م، وهى بين جبال شامخة قد أحاطت بها والبحر فى ثلاث جهات منها ولها طريق إلى جهة الغرب يسمى بالمضيق، وكانت قديمًا عبارة عن ميناء ثم بليت، وفى قبلتها قاعدة ملك بنى حماد، وتسمى بالناصرية. لمزيد من التفاصيل انظر: كاتب مجهول، الاستبصار، ص128-130؛ العُمُرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العُمُرى، ت: 749ه/1348م)، "مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار - ممالك اليمن والغرب الإسلامى وقبائل العرب"، تحقيق: د/ حمزة أحمد عباس، ج4، ص146؛ ابن غلبون (أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسى، ت: بعد 1145ه/ 1696م): "شرح تاريخ طرابلس الغرب المسمى بالتذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار"، تصحيح وتعليق: الطاهر أحمد الزاوى الطرابلسى، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349ه، هامش ص33.

(4) بلاد الجريد: هى مدن كثيرة فى أقصى إفريقية من نواحى الزاب الكبير وقاعدتها توزر، وهى مدينة كبيرة قديمة عليها سور مبنى بالحجارة والطوب وحولها أرباض واسعة ولها أربعة أبواب، وعليها غابة كبيرة، وهى أكثر بلاد الجريد تمرًا. لمزيد من التفاصيل انظر: البكرى: مصدر سابق، ص48 وما بعدها؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص155 وما بعدها.

وإفريقيـــــــــــــة وتـــــــــاهرت(1) وطنجـــــــــــة(2)، والسوس(3) وزويلة(4)، وغربي وهو الأندلس(5)، وإذا كان الإصطخرى يدخل الأندلس في المغرب فإننا نجد المقدسي المتوفى عام 380ه/990م يدخل مصر كذلك في المغرب على اعتبار أن المغرب ما يقابل المشرق من البلاد(6). وعندما أخرج المسلمون من الأندلس صار لفظ المغرب يطلق على القطر التونسي ويسمى المغرب الأدنى، وعلى القطر

---

(1) تاهرت: هي مدينة قديمة كبيرة ومشهورة من مدن المغرب الأوسط، بناها ميمون بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم رأس الإباضية وإمامهم، فقامت بها الدولة الرستمية في القرن الثاني الهجري، وتاهرت هذه تقع في سفح جبل يسمى قَرْقَل ويمر بها نهر كبير يأتيها من ناحية المغرب، يسمى مُنْية، ولها نهر آخر من عيون تجتمع يسمى تانس، منه تشرب أرضها وبساتينها، فهي كثيرة البساتين التي بها جميع الثمار. لمزيد من التفاصيل انظر: الكرخي (أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، ت: بعد 340ه/950م): "مسالك الممالك"، دار صادر، بيروت، لبنان، سنة 1937م، ص39؛ ابن حوقل: مصدر سابق، ص95؛ البكري: مصدر سابق، ص67 وما بعدها؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص178.

(2) طنجة: هي مدينة كبيرة أزلية على البحر، فيها آثار كثيرة وقصور وقباء، والمسافة بينها وبين القيروان 1000ميل، ولطنجة نهر كبير تدخل في السفن يصب في البحر، وينسب إليها أبو محمد عبدون بن علي بن أبي عزيزة الطنجي الصنهاجي. لمزيد من التفاصيل انظر: الكرخي: مصدر سابق، ص38؛ ابن حوقل: مصدر سابق، ص79؛ البكري: مصدر سابق، ص104 وما بعدها؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص138 ؛ ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت: 622ه/1225م): "معجم البلدان"، دار صادر، بيروت، لبنان، ج4، ص43.

(3) بلاد السوس: يطلق على الجزء الغربي المطل على المحيط من بلاد المغرب وهي مدن كثيرة وبلاد واسعة يسقيها نهر عظيم يصب في البحر المحيط، وعليه القرى المتصلة والعمائر الكثيرة والبساتين وقصب السكر، فمنها يجلب السكر إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وإفريقية، وقاعدة بلاد السوس مدينة أيجلي، وينقسم السوس إلى قسمين السوس الأقصى، والسوس الأدنى. لمزيد من التفاصيل انظر: البكري: مصدر سابق، ص161 وما بعدها؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص211 وما بعدها.

(4) زَويلة: تقع في أول حدود بلاد السودان في وسط الصحراء وهي مدينة غير مسورة، وهي كثيرة النخل والثمار، ومنها كان يخرج الرقيق إلى إفريقية، وبين زويلة وإجدابية أربع عشرة مرحلة، فهي تختلف عن زويلة المهدية التي بناها المهدي بإفريقية. لمزيد من التفاصيل انظر: البكري: مصدر سابق، ص10 وما بعدها؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص146 وما بعدها؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص160؛ القزويني (أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود القزويني، ت: 682ه/1283م): "آثار البلاد وأخبار العباد"، دار صادر، بيروت، لبنان، ص94.

(5) الكرخي: مصدر سابق، ص36.

(6) المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي المعروف بالبشاري، ت: 380ه/990م): "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: الثالثة، 1411هـ - 1991م، ص7.

الجزائرى ويسمى المغرب الأوسط، وعلى القطر المغربى ويسمى المغرب الأقصى(1).

أما مصطلح إفريقية فكان يستعمله العرب فيما يشمل المغرب الأدنى وجزء من المغرب الأوسط، فيشمل طرابلس وتونس والجزائر(2)، ويذكر البكرى المتوفى عام 487ه/1057م أن حده من الشرق برقة ومن الغرب مدينة طنجة، أى أنه يضم المغرب (الأدنى والأوسط والأقصى)(3)، وهذا هو مفهوم إفريقية العام، أما مفهوم إفريقية الخاص فهو يعنى الأجزاء الشرقية من المغرب بما فيها طرابلس(4)، والتخوم الشرقية لبلاد الجزائر إلى بجاية، وعرضها من البحر المتوسط إلى الرمال(5).

وعن سبب التسمية فلازال أصل لفظ إفريقية خافيًا لم يصل الباحثون فيه إلى رأى يُركن إليه، ولمؤرخى العرب فى ذلك آراء مختلفة جمعها البكرى فقال: "قال قوم أنها إفريقية أى صاحبة السماء، وقال آخرون سميت إفريقية لأن إفريقس بن أبرهة بن الرايش غزا نحو المغرب حتى انتهى إلى طنجة فى أرض بربر(6)، وهو الذى بنى إفريقية وباسمه

---

(1) د/ حسين مؤنس: "فتح العرب للمغرب"، مكتبة الثقافة الدينية، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، رقم (7331)، ص3 وما بعدها.
(2) د/ أحمد أمين: "ظهر الإسلام"، شركة نوابغ الفكر للنشر، القاهرة، ط: الأولى، 1430ه - 2009م، ج1، هامش ص305.
(3) المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب: ص21.
(4) طرابلس: هى أول مدن إفريقية على الساحل، وتسمى بطرابلس المغرب لتمييزها عن طرابلس الشام، وهى مدينة كبيرة أزلية سورها قديم البناية، وبها سوق حافلة وحمامات كثيرة وبساتين فى شرقها، وهى كثيرة الفواكه وأكثر أهلها تجار، وهم أحسن الناس معاملة، وتقع طرابلس على مسيرة ثلاثة أيام من نفوسة، ولها نهر يحكم دورها وطبقاتها، وحولها جبال شاهقة صحيحة الهواء. لمزيد من التفاصيل انظر: الكرخى: مصدر سابق، ص38؛ ابن حوقل: مصدر سابق، ص68 وما بعدها؛ البكرى: مصدر سابق، ص6 وما بعدها؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص110؛ د/ نقولا زيادة: "الجغرافية والرحلات عند العرب"، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبنانى، ص124.
(5) كاتب مجهول: الاستبصار، ص111. انظر بالملاحق: (خريطة رقم 1/1 ، 3/1 - ص244، 245).
(6) قسَّم علماء الأنساب البربر إلى مجموعتين رئيسيتين: الأولى هى قبائل [البرانس]، وهم من سلالة (برنس بن بر)، والثانية هى قبائل [البتر]، وهم من ذرية (مداغيس الأبتر بن بر)، وقد نُسِبَ الجد الأعلى (بر) إلى كنعان بن حزم بن نوح، ومن القبائل المنحدرة من البرانس (كتامة وصنهاجة ومصمودة)، أما القبائل المنحدرة من البتر فهى (زناتة ومكناسة ونفوسة ولواتة ونفزاوة)؛ وقد أرجع بعض النسَّابة العرب نسب البربر إلى عرب قحطان، وأشار بعض المؤرخين إلى أنها من الخرافات، وإن كانوا قد استثنوا منهم الصنهاجيين والكتاميين على أنهم من أصل عربى. لمزيد من

سميت؛ وقيل سميت بإفريق بن إبراهيم عليه السلام، ولبقية مؤرخي العرب آراء كهذه، فمنهم من جعل لفظ إفريقية مشتقًا من لفظ فرق، ويغلب أن الذين رأوا ذلك الرأى أخذوه مما ينسب إلى عمر بن الخطاب من أنه قال: "إفريقية المفرقة غادرة لا أغزيها أحدًا ما حييت"[1].

ثانيًا: الأحوال السياسية بالمغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية:

بدأ الضعف يدب فى الدولة الأغلبية فى أواخر عهدها، وظهر هذا جليًا فى عهد آخر حكامها وهو زيادة الله الثالث (290 - 296هـ/903 - 909م) الذى انتقل إليه الحكم بعد مقتل أبيه[2]، ولم يسلك سياسة حكيمة يحفظ به الدولة من الضياع وإنما تابع القتل فى أعمامه وأخوته واستمر فى الانهماك فى الملذات واللهو وإهمال شئون البلاد، فى الوقت الذى كان فيه أبو عبد الله الشيعى القائم بالدعوة الفاطمية فى الدولة الأغلبية يزداد خطره ويعلو شأنه[3]، حتى لحق جيوش زيادة الله الهزيمة أمام عبد الله الشيعى عام 296هـ/909م، فسقطت المدن فى يده الواحدة تلو الأخرى، ثم تمكن أبو عبد الله الشيعى من هزيمة إبراهيم بن أبى الأغلب قائد العسكر واستولى على الأربس، مما جعل زيادة الله وإبراهيم بن الأغلب يفران هربًا إلى مصر، ليضعا نهاية لدولة الأغالبة فى المغرب الأدنى بعد حكم دام 112 عامًا[4].

التفاصيل انظر: المراكشى، (محيى الدين أبى محمد عبد الواحد ابن على التميمى ت: النصف الأول من القرن السابع الهجرى/ القرن 13م): "المعجب فى تلخيص أخبار المغرب"، مطبعة بريل، لبدن، سنة 1881م، ص254؛ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربى، ت: 808هـ/ 1405م): "العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر"، ضبط: الأستاذ/ خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1431هـ - 2000م، ج6، ص118 ، ص152؛ السويدى (ابوالفوز محمد امين بن على بن محمد سعيد السويدى): "سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب"، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ص102.

(1) د/ حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، هامش ص1.

(2) ابن أبى دينار (أبى عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى، ت: 1092هـ/ 1681م): "المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس"، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، ط: الأولى، سنة 1286هـ، ص50.

(3) د/ على محمد الصلابى: "الدولة الفاطمية - صفحات من التاريخ الإسلامى فى الشمال الإفريقى"، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط: الأولى، 1427هـ - 2006م، ص19.

(4) ابن عذارى المراكشى (أبى العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشى، كان حيًا 712هـ/1313م): "البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب"، تحقيق ومراجعة: ج. س كولان. إ. ليفى، بروفنال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، 1983، ج1،

1) قيام الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب:

تمكن عبيد الله المهدى[1] من القضاء على الدولة الأغلبية السُنية فى عام 296هـ/ 909م، وأسس الخلافة الفاطمية الشيعية فى ربوع بلاد المغرب الأدنى[2]، واعتمد فى ذلك على الكتاميين الذين اعتنقوا المذهب الشيعى، وانضموا تحت لواء الفاطميين، وأصبحوا بمثابة الركيزة الأساسية والقوة العسكرية لهم[3]، وكانت بلاد المغرب الأدنى تمثل للفاطميين محطة انطلاق لغزو مصر والمشرق الإسلامى، واحتاج هذا الأمر إلى توطيد أركان دولتهم ببلاد المغرب والسيطرة على الأوضاع بها، لذلك تحتم على المهدى فرض سلطته على كامل المناطق التى كانت تابعة للدولة الأغلبية والممتدة في المغرب الأدنى بما فيها برقة وطرابلس وقسنطينة[4] باستثناء جبل الأوراس[5] الذى كان خاضعًا للخوارج

ص133 - 148.

(1) عبيد الله المهدى: هو مؤسس الدولة العبيدية الفاطمية بالمغرب سنة 296ه/909م، ويدعى هو وأصحابه أن نسبه يرجع إلى الحسين بن على رضى الله عنهما، واختلف العلماء فى صحة هذا النسب، فمنهم من أقره ومنهم من قال بأنه ليس بصحيح، وطائفة ثالثة جعلوا نسبه يهوديًا؛ انظر فى ذلك: ابن الأثير (أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى، ت: 630ه/ 1233م): "الكامل فى التاريخ"، راجعه وصححه د/ محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1407هـ - 1987، ج6، ص446 وما بعدها.

(2) حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: "عبيد الله المهدى، إمام الشيعة الإسماعيلية، ومؤسس الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب"، مكتبة النهضة المصرية، 1947، ص188.

(3) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص187.

(4) قسنطينة: هى مدينة أزلية كبيرة آهلة ذات حصانة ومنعة على حدود إفريقية مما يلى المغرب، وهى واقعة على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور شديدة الانحدار ينبع منها نهر، وأراضيها جيدة خصبة وأسواق المدينة عديدة حسنة التنسيق، وهى تقع على ثلاثة أنهار عظيمة. انظر فى ذلك: ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج4، ص349؛ ليون الإفريقى (الحسن بن محمد الوزان الفاسى): "وصف إفريقيا"، ترجمه عن الفرنسية: د/ محمد حجى، د/ محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الثانية، 1983م، ج2، ص66؛ مارمول كربخال (رحالة أوربى كان حيًا فى عام 979ه/ 1571م): "إفريقيا"، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجى، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، دار المعرفة، الرباط، 1408هـ - 1988م، ج3، ص11.

(5) الأوراس: هى جبال شاهقة تقع على بعد نحو ثمانين ميلًا من بجاية، وستين ميلًا من قسطنطينة، وتتاخم صحراء نوميديا جنوبًا، وشمالًا بلاد مسيلة وقسنطينة، ويوجد بالمرتفعات بها عدة عيون، وهو من الجبال المشهورة بإفريقية بها آثار كثيرة ومدن خربة. لمزيد من التفاصيل انظر: كاتب مجهول، الاستبصار، ص164؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج1، ص278؛ ليون الإفريقى: مرجع سابق، ج2، ص102.

الإباضية[1]. كما نقل المهدى الفاطمى العاصمة إلى مدينة المهدية[2] التى قام بتأسيسها سنة 308هـ/921م، ليستقر له الأمر بعيدًا عن القيروان[3] مركز المقاومة السُنيّة المالكية، وبعد أن بسط الفاطميون سيطرتهم على المغرب الأدنى تمكنوا من الاستيلاء على أجزاء كبيرة من المغربين الأوسط والأقصى فى تتابع لجولات الصراع بينهم وبين الأمويين بقرطبة والدول التابعة لهم بالمغرب الأقصى، كما كان الفاطميون سببًا فى التعجيل بسقوط الدولتين الخارجيتين وهما الدولة الرستمية فى تاهرت عام 296ه/909م، والدولة المدرارية بسجلماسة[4] عام 297ه/910م[1].

---

(1) الدرجينى (أبى العباس أحمد بن سعيد الدرجينى، ت: 670ه/1276م): "طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاى، ج2، 1394هـ - 1974م، ص158.

(2) المهدية: شرع عبيد الله فى بنائها سنة 303ه/915م، وأكمل سورها سنة 305ه/917م، ولما فرغ من إحكامها قال، "اليوم أمنت على الفاطميات، يعنى بناته..."، وبين المهدية والقيروان 60 ميلًا، والبحر قد أحاط بها من جميع الجهات عدا الجهة الغربية بها الباب، وللمهدية أسواق مبنية بالصخر الجليل، ولها بابان من حديد لا خشب فيها، ولها ربض كبير يسمى زويلة، وبالمهدية 360 ماجلًا لماء المطر، ولها مرسى للمراكب، ومن المهدية إلى قصر لخم وهو المعروف بقصر الكاهنة 18 ميلًا، وينسب إليها العديد من أهل الفضل منهم أبو الحسن على بن محمد بن ثابت الخولانى المهدى المعروف بالحداد. لمزيد من التفاصيل انظر: الكرخى: مصدر سابق، ص38؛ ابن حوقل: مصدر سابق، ص71؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص117؛ التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجانى، ت: القرن 8ه/14م): "رحلة التجانى"، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م، ص320؛ ابن غلبون: مصدر سابق، هامش ص27.

(3) القيروان: مدينة صحيحة الهواء بناها الصحابى الجليل عقبة بن نافع على بعد ستة وثلاثين ميلًا عن البحر المتوسط، وسور المدينة بالآجر وشيد فيها جامعًا عظيمًا، وكانت من أعظم مدن المغرب وأكثرها تجارةً وأموالًا، وأحسنها منازل وأسواقًا وكان فيها ديوان جميع المغرب وإليها تُجبى أموالها وبها دار سلطانها، والقيروان لها سور من الطوب سعته عشرة أذرع بناه محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعى سنة 144هـ/761م، وهدمه زيادة الله بن إبراهيم المعروف بالكبير سنة 209هـ/824م، عقوبة لأهل القيروان لما قاموا عليه، ثم بناه المعز بن باديس سنة 444هـ/1052م، وبلغ تكسيره اثنين وعشرين ألف ذراع، وخارج السور خمسة عشر ماجلًا للماء سقايات لأهلها. لمزيد من التفاصيل انظر: الكرخى: مصدر سابق، ص39 وما بعدها؛ ابن حوقل: مصدر سابق، ص96 - 99؛ الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى ت: القرن العاشر الهجرى/ القرن السادس عشر الميلادى): "الروض المعطار فى خبر الأقطار"، تحقيق: د/ إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط: الثانية: 1984م، ص486 وما بعدها؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص113 - 115؛ الوزير السراج (أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسى، ت: 1334هـ/1916م): "الحلل السندسية"، مطبعة الدولية التونسية، ط: الأولى، 1287هـ، ص81.

(4) سجلماسة: مدينة عظيمة من أعظم مدن المغرب الأقصى، وهى مدينة سهلية على

■ الفاطميون والبيت الزيرى:

يتحدث العُمُرى المتوفى عام 749ه/1348م عن المغرب الأدنى قائلًا: "كانت فى أول منشأ الدولة الفاطمية ومقر ملكهم، طلعت بها شمسهم من المغرب، وظهرت آية المتعجب، ثم صارت إلى بنى باديس، واستقلوا بأعبائها، وامتد لهم فيها أيام قضوا بهنيتها، وبلغوا أمنيتها"[2].

نجح البيت الزيرى فى تأسيس دولة تمكنت من مقاليد الحكم والسلطان بالمغرب الأدنى على مدار مائتى عام أو أكثر من الزمان[3]، كما يرجع الفضل لهذا البيت فى القضاء على المذهب الشيعى ببلاد المغرب الأدنى والعودة إلى المذهب السنى على يد أحد ملوكه وهو المعز بن باديس (406 - 454ه/ 1016 - 1062م)[4].

يُرجع بنو زيرى دومًا نسبهم إلى أصل حميرى، ويبدو ذلك واضحًا فى المدائح التى ذكرت فيهم[5]، وادّعت طائفة من النسّابين أنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام، وكل هذه الإدعاءات باطلة[6]، فالزيريون بربر وليسوا بعرب، حيث أن زيرى بن مناد كان أبوه (مناد بن منقوش) على رأس تلكانة وهى أحد فروع قبيلة صنهاجة[7] قبل سقوط الدولة

طرف الصحراء، أرضها سبخة وحولها أرباض كثيرة، بينها وبين غانة صحراء غير عامرة قليلة المياه، ومدينة سجلماسة بنيت سنة 140ه/757م، على يد مدرار بن عبدالله، وكانت مقرًا للخوارج الصفرية وأرض ملكهم "دولة بنى مدرار الخارجية"، وكان لسجلماسة 12 باب، كما كان لها بساتين كثيرة النخل والأعناب وجميع الفواكه. لمزيد من التفاصيل انظر: الكرخى: مصدر سابق، ص39؛ البكرى: مصدر سابق، ص148 وما بعدها؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص200 وما بعدها.

(1) المقريزى (تقي الدين أحمد بن على المقريزى، ت: 845ه/ 1453م): "اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا"، تحقيق: د/ جمال الدين الشيالى، مطابع الأهرام التجارية، قليوب، مصر، ط: الثانية، 1416ه - 1996، ج1، ص66.

(2) مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار - ممالك اليمن والغرب الإسلامى وقبائل العرب: ج4، ص137.

(3) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص71.

(4) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص277.

(5) المسعودى (أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى، ت: 346ه/ 958م): "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، شرحه وقدم له: د/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص143 - 144.

(6) ابن حزم (أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى، ت: 456ه/1071م): "جمهرة أنساب العرب"، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط: الخامسة، 1982م، ص495 وما بعدها.

(7) تلكانة: هى فرع من فروع قبيلة صنهاجة البربرية التى ينتمى إليها الزيريون، وهى كانت تتفرع إلى فروع عديدة أهمها: فرع (تلكانة) التى ينتمى إليها بنو زيرى وبنو حماد، وفرع (لمتونة) الذين تمكنوا فيما بعد من إنشاء الدولة المرابطية، وفرع تلكانة

الأغلبية عام 296هـ/ 909م، وكان يحكم جزءًا من إفريقية والمغرب طبقًا لروايات أحد مؤرخى المغرب[1]. وقد بشره أحد العرافين المغاربة بابنه زيرى، وأنه سوف يحكم بلاد المغرب، وانتشرت هذه النبوءة بين التلكانة، ويقدر لهذه النبوءة أن تتحقق بميلاد زيرى بن مناد، وبزوغ نجمه من الصغر بتحليه بصفات الزعامة والشجاعة والفروسية، فكان أبوه يقدمه لقيادة صنهاجة فى هجماتهم ومعاركهم مع القبائل المغيرة، وهذه كانت عادة ملوك بنى زيرى حيث كانوا يعهدون غالبًا لأولياء عهدهم بمهام عسكرية[2].

وقد ذاع صيت زيرى وزادت قوته خاصة بعد أن أخضع الصنهاجيين لسلطته وشن بهم حربًا على الزناتيين وهزمهم وقتل منهم الكثير والذى أدى إلى زيادة عدد أتباعه ومؤيديه، مما دعاه إلى تأسيس مدينة (أشير)[3] جنوب المغرب الأوسط فى سنة 324هـ/ 935م، وسميت أشير زيرى، وكان ذلك فى عهد الخليفة الفاطمى الثانى القائم بأمر الله (322 - 334هـ/933 - 946م)، الذى أمده بالبنائيين والحرفيين وقدم له كل مساعدة فى إعمار هذه المدينة حتى أصبحت مدينة عامرة بالتجار والعلماء والفقهاء، وضرب فيها زيرى النقود وأجرى رواتب العسكريين وأصبحت فى مأمن من الزناتيين[4].

- **الثورات والصراعات ضد الفاطميين ودور زيرى فى إخمادها:**

استقر الأمر بعض الشيء لعبيد الله المهدى حيث أصبح فى مأمن من

التى ينتمى إليها بنو زيرى - موضوع بحثنا - كانوا أهل مدر (حضريين) بعكس لمتونة الذين كانوا أهل وبر (بدو رحل)، وكان التلكانة على ما يبدو قد استقروا فى المنطقة الغربية من المغرب الأوسط فى القرن الثالث الهجرى. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص148 وما بعدها؛ د/ سعد زغلول عبد الحميد: "تاريخ المغرب العربى، الفاطميون وبنو زيرى الصنهاجيون إلى قيام المرابطين"، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، ج3، ص289.

(1) ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص153.
(2) ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، ص233.
(3) أشِيْر: هى مدينة فى طرف إفريقية الغربى مقابل بجاية فى البر، وكان من بناها زيرى بن مناد الصنهاجى جد المعزب بن باديس، وقد شرع فى إنشاء هذه المدينة سنة 324هـ/936م، وتملكها بعده بنى حماد، ومن أشير هذه الشيخ/ أبو محمد عبد الله بن محمد الأشيرى إمام أهل الحديث والفقه والأدب. لمزيد من التفاصيل انظر: كاتب مجهول، الاستبصار، ص170؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج1، ص202 وما بعدها.
(4) ابن خلكان (أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان، ت: 681هـ / 1282م): "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ج2، ص343.

هجمات البربر الموالين للأمويين حتى وفاته بالمهدية عام 322هـ/934م، وذلك بفضل وجود زيرى بن مناد بالغرب وعليّ بن حمدون بالمسيلة[1] شرقًا، إلا أن ذلك لم يحل دون وجود القلاقل والثورات التى اندلعت فى عهد الخليفة الفاطمى الثانى (أبى القاسم القائم بأمر الله)، تحديدًا فى أواخر سنة 332هـ/944م، على يد الزناتى الخارجى (أبى يزيد مخلد بن كيداد)[2]، والمعروف بـ(صاحب الحمار)[3]، وبدأت الثورة فى جبل الأوراس الذى كان خارج قبضة الفاطميين، وانتشرت فى باقى مدن إفريقية فتمكنت من إخضاعها جميعًا عدا المهدية في أقل من ستة أشهر، كما خرجت القيروان بعلمائها وفقهائها لقتال الشيعة إلى جانب الخوارج الذين قابلوا ذلك بالخيانة والتخلى عن أهل السنة، فحسب رواية بن عذارى: "قال أبو يزيد لجنوده: إذا التقيتم مع القوم فانكشفوا عن أهل القيروان حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم، فيكونون هم الذين قتلوهم لا نحن فنستريح منهم"[4].

واستمرت الثورة حتى سنة 336هـ/ 948م، تخللتها معارك طاحنة دارت بين الفريقين حوصر فيها الخليفة الفاطمى (القائم بأمر الله) بالمهدية، واستعان بحليفيه زيرى بن مناد وعليّ بن حمدون، فى صد هجمات أبى يزيد الخارجي، واستمر الصراع إلى أن مات الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله في عام 334هـ/ 946م، وتولى الخلافة بعده ابنه المنصور بن القائم بأمر الله (334 - 341هـ/ 946 - 953م) الذى استكمل

(1) المسيلة: مدينة تقع على تخوم الزاب، بناها على بن حمدون لمنع تقدم الزناتيين سنة 313هـ/ 925م، وذلك بناءً على طلب الخليفة الفاطمى الثانى الملقب بالقائم والذى عينه واليًا عليها، وتحيط بها بعض الأسوار العتيقة وهى جيدة البناء. لمزيد من التفاصيل انظر: كاتب مجهول، الاستبصار، ص171 وما بعدها؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج5، ص130؛ الحميرى: مصدر سابق، ص558؛ مارمول كربخال: مرجع سابق، ج2، ص381.

(2) هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان وينتهى نسبه إلى يفرن وهو أبو الكاهنة، تعلم القرآن وخالط جماعة من النكارية ومال إلى مذهبهم، ثم سافر إلى تاهرت وأقام يعلم فيها، وكان مذهبه تكفير أهل الملة واستباحة أموالهم ودمائهم والخروج على السلطان، وصار جماعة يعظمونه فاشتدت شوكته وكثر أتباعه فى أيام القائم بن المهدى، وكان أبا يزيد هذا قصيرًا أعرج يلبس جبة صوف قصيرة، وقد أهداه رجل حمارًا أشهب فركبه أبو يزيد من ذلك اليوم وعرف به. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، ص188 وما بعدها؛ ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص 216 وما بعدها.

(3) جورج مارسيه: "بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي فى العصور الوسطى"، ترجمه عن الفرنسية: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1991م، ص170.

(4) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص309؛ البيان المغرب: ج1، ص218.

مسيرته فى إخماد الثورة حتى تمكن من القضاء على أبى يزيد الخارجى وابنه فى عام 336هـ/ 948م، وذلك بفضل مساندة كل من زيرى بن مناد وعلى بن حمدون، وبذلك تم إخماد ثورة كادت تقضى على الوجود الفاطمى كله ببلاد المغرب، هكذا أعان البيت الزيرى الخلافة الفاطمية فى القضاء على هذا الخطر المحدق الذى كان يهدد وجودها فى بلاد المغرب[1].

- **اتساع الدولة الفاطمية وانتقال الخلافة إلى مصر:**

توفى المنصور بن القائم بأمر الله الفاطمى فى نهاية شوال عام341هـ/953م[2]، تاركًا الملك لابنه (أبى تميم معد)، المعروف باسم المعز لدين الله الفاطمى، وهو آخر ملوك العبيديين بالمغرب الأدنى، وفى عهده قامت الجيوش الفاطمية بعمليات عسكرية بمعاونة الصنهاجيين لإخضاع سكان جبال الأوراس سنة 342هـ/ 954م[3]، كما أرسل قائده ذائع الصيت جوهر الصقلى إلى المغرب الأقصى سنة 347هـ/ 958م[4]، والذى تمكن من إخضاعه مدينة فاس[5] ودخولها حتى وصل إلى سواحل المحيط الأطلسى، وقام بطرد الولاة الأمويين وأبدلهم بولاة فاطميين، والحق تاهرت بالأقاليم الخاضعة لسلطة زيرى بن مناد الذى كان له دورًا عظيمًا فى نجاح هذه الحملة، حيث أنه قد اقتسم القيادة مع جوهر فى إدارة المعارك، وإلحاق الهزيمة بالقبائل الموالية للأمويين[6]، مما زاد من نفوذ الفاطميين بالمغرب الأقصى[7].

---

(1) ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، ص201.
(2) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص60.
(3) المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج1، ص93.
(4) د/ محمد جمال الدين سرور: "تاريخ الدولة الفاطمية"، دار الفكر العربى للطبع والنشر، القاهرة، ص32 وما بعدها.
(5) فاس: هى أعظم مدينة ببلاد المغرب الأقصى ويشقها نهر كبير يسمى بوادى فاس، ويذكر البكرى أنه يقسمها إلى مدينتين هما عدوة القرويين وأسست سنة 192ه/808م، وعدوة الأندلسيين وأسست سنة 193ه/809م، فى ولاية إدريس بن إدريس، وبينهما قناطر كثيرة ويدور عليهما سور عظيم، وقد نسب إلى فاس جماعة من أهل العلم، منهم: أبو عمر عمران بن موسى بن عيسى بن نجح الفاسى فقيه أهل القيروان فى وقته، فقد نزل بها وسمع من جماعة من أهل الفضل بها ثم طلب العلم بالمشرق. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن حوقل: مصدر سابق، ص90 وما بعدها؛ البكرى: مصدر سابق، ص115 - 117؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص180 - 186؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج4، ص230 وما بعدها.
(6) Stanley Lan - Poole: Catalogue of the collection of Arabic coins preserved in the Khedirvial Library in Cairo, Oxford, 1897, PP؛ 152 - 157.
(7) أبو الفداء (إسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه، ت: 732هـ -

وبعد أن تقلد زيرى ولاية تاهرت، سمح لابنه (بُلكين) بتأسيس مدن جديدة بالمغرب الأوسط[1]، كما أذن له بالهجوم على الزناتيين سنة 360هـ/ 971م ومحاربتهم، فهزمهم وكسر شوكتهم مما زاد من نفوذ زيرى بن مناد وابنه بُلكين عند الخليفة الفاطمى، وقد عرض المعز تولية الأمور فى المغرب على جعفر بن على بن حمدون الزناتى، فاشترط جعفر بن على بن حمدون أن يكون أميرًا مستقلًا يتصرف بما يراه دون انتظار رأى المعز وألا يرسل جباية إلى مصر، فرفض المعز ذلك، واستدعى بُلكين بن زيرى وعرض عليه الولاية فكان رد بُلكين "قتلتنى يا مولاى بغير سيف ولا رمح"[2]، فأوصاه المعز بألا يرفع الجباية عن أهل البادية، ولا السيف عن البربر، وألا يولى أحدًا من إخوته وبنى عمه وأن يستوصى بالحضر خيرًا[3]، وبعد أن تولى بُلكين أمور البلاد خلع جعفر بن على بن حمدون الفاطميين وحالف الزناتيين ودخل فى طاعة الأمويين[4].

وانتهز حلفاء بنو أمية بالأندلس فرصة إنشغال بُلكين بمشاكل إفريقية وقاموا بفرض نفوذهم على المغرب الأقصى وانضموا إلى جيوش الخليفة الأموى[5]، وفى شهر رمضان 360هـ/ 971م، توجه زيرى بن مناد على رأس جيش من الصنهاجيين للتصدى لهذا التحالف من الزناتيين وجعفر بن على وجنوده، ولكنه هزم شر هزيمة وتم قتله وحملت رأسه إلى الخليفة الأموى بالأندلس[6].

بسط زيرى بن مناد سلطانه على أشير وتاهرت وباغاية[7]، وأسس

1331م): "المختصر فى أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط: الأولى، ج1، ص218.

(1) ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص204.

(2) د/ حسين مؤنس: "معالم تاريخ المغرب والأندلس"، دار الرشاد، 2004م، ص154 وما بعدها.

(3) المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج1، ص101.

(4) ابن خلكان: مصدر سابق، ج1، ص360؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص205.

(5) د/ حسين سيد عبد الله مراد: "قبائل المصامدة منذ الفتح الإسلامى حتى قيام دولة الموحدين فى المغرب"، رسالة دكتوراة، غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1991م، ص168.

(6) ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى ابن الآبار البلنسى، ت: 658هـ / 1260م): "الحلة السيراء"، تحقيق وتعليق: د/ حسين مؤنس: دار المعارف، القاهرة، ط: الأولى، سنة 1963، ج1، ص305 - 308؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص205.

(7) باغاية: هى مدينة عظيمة فيها العديد من آثار الأول، وتقع فى أقصى إفريقية بين مجانة وقسنطينة، ولها أنهار عامرة وعيون ومزارع، وهى تحت جبل أوراس،

كل من الجزائر[1] ومليانة[2] ومدية[3]، وأمسك البربر بيد من حديد، حتى أصبح أول المرشحين من الخليفة الفاطمى لتولى حكم المغرب بأسره، وكذلك كان أبناؤه من بعده والذين زاد عددهم عن المائة فكانوا جميعهم فرسانًا وصناديد، وعهد إليهم بحملات عسكرية فى حياته، خاصة ولى عهده بُلكين[4].

وبموت زيرى بن مناد تبدأ مرحلة جديدة وهامة فى تاريخ المغرب الأدنى، حيث أن هذا الأمير قد أسس القواعد لنشأة دولة جديدة وقوية هى دولة بنى زيرى موضوع بحثنا.

2) نشأة دولة بنى زيرى:

بعد وفاة زيرى بن مناد انتقلت قيادة صنهاجة إلى ابنه بُلكين بن زيرى (363 - 373هـ/ 972 - 984م)، الذى سعى للأخذ بثأر أبيه وأمده المعز بالرجال والعتاد ورخّص له فى الاحتفاظ بالمناطق التى سيستولى عليها، وخرج بُلكين على رأس قوات غفيرة أواخر سنة 360هـ/971م، وبادر بتطهير ضواحى ومدن المغرب الأوسط من البربر وزناتة وطارد الأمير المغراوى حتى وصل سجلماسة وأعدمه، وخاض معارك عديدة قتل فيها الكثير من الزناتيين، ثم قفل راجعًا إلى أشير بعد أن أخذ بثأر أبيه ووهبه الخليفة الفاطمى إقطاع المسيلة والزاب[5][1].

وينسب إليها أحمد بن على بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعى الباغايى المقرى ويكنى بأبا العباس، وكان قد رحل إلى الأندلس سنة 376هـ/986م. لمزيد من التفاصيل انظر: كاتب مجهول، الاستبصار، ص163 وما بعدها؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج1، ص325 وما بعدها.

(1) الجزائر: جمع جزيرة، وهو اسم علم لمدينة بالمغرب الأوسط، بينها وبين بجاية أربعة أيام، وكانت من خواص بلاد بنى حماد بن زيرى، وتعرف بجزائر بنى مزغناى، وفيها آثار للأول ولها أسواق ومساجد. لمزيد من التفاصيل انظر: البكرى: مصدر سابق، ص66؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص132؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج2، ص132.

(2) مليانة: هى مدينة قريبة من أشير بينها وبين تَنَس أربعة أيام، وهى مدينة رومية قديمة حصينة فى سفح الجبل، جددها زيرى بن مناد، فيها آبار وأنهار. لمزيد من التفاصيل انظر: البكرى: مصدر سابق، ص61؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص171؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج5، ص196.

(3) المدية: هى بلد قديم وجليل من مدن إفريقية. لمزيد من التفاصيل انظر: البكرى: مصدر سابق، ص65.

(4) ابن خلكان: مصدر سابق، ج1، ص360.

(5) الزاب: عبارة عن مدن كثيرة وعمائر متصلة بأرض المغرب الأوسط بين تلمسان وسجلماسة، فيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة، ومن أهم مدنها طبنة الرومانية وهى قد اندثرت، ومدينة بسكرة التى تشتهر بواحات النخيل الواسعة،

استدعى الخليفة الفاطمي المعز بُلكين بن زيرى فى محرم 361هـ/ 24 أكتوبر 971م واستقبله استقبالًا رائعًا، وأوكل إليه اختيار عمالًا من بنى جلدته لولاية المدن الراجحة إليه، وهو ما يعد عملية تمهيدية لتنصيب بُلكين بالمغرب[2]، وبعدما أتم المعز جميع استعداداته للرحيل إلى مصر توجه إلى سردانية[3] فى شوال عام 361هـ/972م - والتى أقام بها أربعة شهور - وقبل أن يغادرها كتب سجلًا لبُلكين فسلم إليه إفريقية وأعمالها وسائر أعمال المغرب وفوض إليه أمور البلاد كلها عدا جزيرة صقلية وطرابلس[4]، وأمر الناس بالسمع والطاعة له، وعهد إليه بإدارة الأقاليم وقيادة الجيش وجمع الضرائب، وأهداه ثيابًا فاخرة وخيولًا مسرَّجة، وأوصاه بأمور كثيرة وأكد عليه فعلها، ثم قال: "إن نسيت ما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء: إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية. والسيف عن البربر، ولا تول أحدًا من أخوتك وبنى عمك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، وافعل مع أهل الحاضرة خيرًا"[5]، وفارقه على ذلك، وقد عوّض اسمه بُلكين البربرى باسم يوسف، وكنّاه بأبى الفتوح[6]، وأصبحت الرسائل تستهل بالعبارة التالية "من عبد الله أبى الفتوح يوسف ابن زيرى خليفة أمير المؤمنين"، كما أضفى عليه لقبًا فخريًا وهو (سيف الدولة)، وأمر الجباة وجميع الموظفين بالإنقياد ليوسف بن زيرى، واتباع أمره[7].

والمسيلة، وعلى مقربة من بسكرة يوجد قبر الفاتح العربى الصحابى الجليل عقبة بن نافع، وهذ البلاد تتسم بحر هوائها وكثرة نخلها، وقد خرج منها جماعة من أهل الفضل مثل محمد بن الحسن التميمي الزابى. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن الخطيب (الوزير الغرناطي أبو عبد الله لسان الدين بن الخطيب ت: 776هـ/1313م): "تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام"، تحقيق: د/ أحمد مختار العبادى، أ/ محمد إبراهيم الكتانى، نشر وتوزيع: دار الكتب، الدار البيضاء، ط: الأولى، 1964م، ص66؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص171؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج3، ص124.

(1) ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، ص333 وما بعدها.
(2) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص73.
(3) سردانية: هى جزيرة فى بحر المغرب كبيرة فى المساحة. لمزيد من التفاصيل انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج3، ص209.
(4) النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى، ت: 733هـ/1333م): "نهاية الأرب فى فنون الأدب"، تحقيق: الأستاذ عبد المجيد ترحينى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج28، ص74.
(5) ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، هامش ص414؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج1، ص101.
(6) ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص206.
(7) ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، 330 وما بعدها؛ ابن عذارى: مصدر سابق، ج1،

غادر المعز سردانية وصحبه بُلكين بن زيرى فى صفر 972/362م، ومر بصفاقس[1] وقابس[2] حتى وصل إلى المكان المعروف باسم آبار الخشب[3] جنوب قابس، وقبل أن يتوجه إلى طرابلس أمر بُلكين بالعودة، وكان ذلك فى ربيع الأول 362هـ/ ديسمبر 972م[4].

وعندما ودَّع بُلكين الخليفة بادر بالرجوع إلى القيروان فى نفس اليوم ونزل بقصر السلطان وخرج إليه أهل القيروان فهنّوْه وأظهروا السرور بقدومِه، وأقام بها شهران وبعث العمال والولاة إلى جميع البلاد، وعند عودته لأشير عام 363هـ/974م عيَّن على القيروان وصبرة عبد الله الكاتب[5] وهكذا أدار بُلكين البلاد وأظهر فى ذلك نشاطًا واسعًا وعملًا

ص228؛ ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص72.

(1) صفاقس: هى مدينة أزلية بناها القرطاجيون، عليها غابة كبيرة من الزيتون وزيتها أطيب من كل زيت، وكان يحمل بالمراكب إلى بلاد الروم، فهى لها مرسى على البحر وعليها سور من حجارة وأبواب حديد منيعة، وأسواقها عامرة. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن حوقل: مصدر سابق، ص70 وما بعدها؛ البكرى: مصدر سابق، ص19 وما بعدها؛ الحميرى: مصدر سابق، ص365 وما بعدها؛ د/ نقولا زيادة: مرجع سابق، ص131 وما بعدها.

(2) قابس: مدينة تقع فى الجنوب الشرقى من المغرب الأدنى على خليج (الخليج من البحر شرمٌ منه وهو أيضًا النهر وقيل جانباه خليجاه والجمع خُلُجٌ) يحمل اسمها، وكان قديمًا يسمى خليج سرت الصغير، ومدينة قابس جنوب مدينة صفاقس وتقع بينها وبين طرابلس، ويذكر صاحب الاستبصار أن المسافة بينهما ثمانية أيام، ويقول ياقوت: إنها ذات أودية وإنها تأتى من عين خرارة تأتيها من الجبل فى جنوبها ولها أودية وعيون كثيرة أكبرها عين سلام وعين الأمير، وحرير قابس أطيب الحرير وأرقه وساحلها مرفأ للسفن، فمدينة قابس مدينة بحرية صحراوية حيث أن الصحراء متصلة بها والبحر على ثلاثة أميال منها وعليها سور يحيط به خندق ولها سوق. لمزيد من التفاصيل انظر: الرازى (محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى، ت: بعد 666هـ/1269م): "مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص77؛ ابن حوقل: مصدر سابق، ص70؛ البكرى: مصدر سابق، ص17 - 19؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص112 وما بعدها؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج4، ص289 وما بعدها.

(3) آبار الخشب: تقع بين قابس وطرابلس، وتبعد 30 فرسخًا عن قابس. لمزيد من التفاصيل انظر: الإدريسى (أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودى الحسينى، المعروف بالشريف الإدريسى، ت: 649هـ/1251م): "نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق"، مكتبة الثقافة الدينية، ج1، ص297.

(4) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص74.

(5) عبد الله الكاتب: من نسل الأغالبة، وكان بارعًا فى كتابة الرسائل، وقد كان له دورًا بارزًا فى إدارة شئون البلاد ونال ثقة بُلكين، مما جعله ينفرد بإفريقية بعد تغلبه على زيادة الله بن القديم، المعين من قبل الخليفة الفاطمى والموالى للفاطميين، وذلك بعد أن زج به فى السجن إلى أن مات به عام 366هـ/977م، ويبدو أن ذلك كان برضا بُلكين وموافقته وبمباركة أهل القيروان أصحاب المذهب المالكى للتحرر من الهيمنة

دؤوبًا، ونفذت أوامره فى إفريقية والمغرب كافة عدا طرابلس وصقلية(1).

الشيعية. وقد زاد نفوذ عبد الله الكاتب زادت ثروته وعرف دومًا بسياسته الجبائية الشديدة، وعمل على توطيد علاقاته بالخليفة الفاطمى وإرسال الهدايا له. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص230.

(1) صقلية: هى جزيرة بالبحر المتوسط مقابلة للمغرب الأدنى، وهى مثلثة الشكل، وبينها وبين إفريقية مائة وأربعون ميلًا، وهى جزيرة خصبية كثيرة البلدان والقرى والأمصار، وبها عيون غزيرة وأنهار جارية، وفتحها المسلمون فى عهد بنى الأغلب على يد أسد بن الفرات، وكانت قليلة العُمُران قبل المسلمون إليها فعمروها وأحسنوا عمراتها. لمزيد من التفاصيل انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج3، ص416-419.

▪ الثورات والقلاقل فى عهد بُلكين بن زيرى:

وقد حدث فى عهد بُلكين عدة ثورات وقلاقل تمثلت فى ثورة الخوارج بمنطقة قابس والتى قضى عليها وتصدى لها بكل حسم(1)، ومن هذه الاضطرابات تمرد أهل باغاية، فأرسل إليهم عشرة رجال من القيروان ليحذرهم من مغبة الثورة عليه، واستطاع بكلين من توطيد أركان دولته خاصةً بعدما آتاه نبأ وفاة المعز لدين الله الفاطمى سنة (975/365م) وهو الأمر الذى اعتبر نهاية للتبعية لمصر وبداية للاستقلال بالمغرب(2).

ومع وفاة المعز لدين الله الفاطمي، وخلافة ابنه العزيز بالله (365 - 386هـ/975 - 996م)(3)، بعث الأخير بسجلًا إلى بُليكن لتجديد ولايته ودراهم من السكة ضربت باسمه(4)، واستقل بُلكين بالمغرب الأدنى بشكل شبه كامل سنة 367ه/ 977م، وذلك بعد أن بعث إلى الخليفة الفاطمى (العزيز بالله) يطلب منه سرت(5) وإجدابية(6) وطرابلس كى يضيفها إلى عمله وكان له ذلك(1).

---

(1) د/ محمود إسماعيل عبد الرازق: "الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى"، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406ه - 1985، ص41.
(2) سعد زغلول: مرجع سابق، ج3، ص306.
(3) الطبرى (أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، ت: 224 - 310ه/ 839 - 922م): "تاريخ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان، ج11، ص446.
(4) Stanley Lan - Poole: Catalogue of the collection of Arabic coins preserved in the Khedirvial Library in Cairo, Oxford, 1897, PP؛ 152 - 157.
(5) سُرت: تقع فى نصف الطريق بين مصراتة وبنغازى، وهى مدينة كبيرة قديمة على ساحل البحر، ويحيط بها سور من الطوب وبها جامع وحمَّام وبعض الأسواق، ولها ثلاثة أبواب القبلى والبحرى والثالث صغير يشرف على البحر، وبها نخل وبساتين وآبار عذبة الماء وعدد كثير من الصهارج، ويذبح بها المَعِز، ويذكر البكرى أن أهلها أخبث الناس أخلاقًا ومعاملة، فكانوا إذا رست سفينة بمرساهم وكان بها زيتًا وكانوا فى أشد الاحتياج إليه، فإنهم يتخذون قربًا فارغة ويسدون أفواهها بعد النفخ، حتى يظهر للناظر عدم حاجتهم للزيت، ثم يشترون بعد طول مقام السفن بالأثمان التى يقررونها، ولسانهم ليس بعربى، وأطوارهم تخالف أطوار أهل طرابلس، وبينها وبين طرابلس مسيرة عشرة أيام. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن حوقل: مصدر سابق، ص68؛ البكرى: مصدر سابق، ص6؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص109؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج3، ص206.
(6) إجدابية: تقع بين برقة وطرابلس، وبينها وبين زويلة مسيرة نحو شهر، وهى مدينة كبيرة فى الصحراء آبارها منقورة فى الصخر، طيبة الماء وبها عين ماء عذبة ولها بساتين لطاف، ونخل يسير وبها جامع وله سوق عامرة، وينسب إليها أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد الطرابلسى الأجدابى (ت: ق5/11م)، وكان أديبًا

ثم قام بُلكين بحملة على برغواطة فى سنة 371هـ/ 981م، وقتل صاحبها الذى ادعى النبوى وهزمه شر هزيمة، وفي سنة 372هـ/982م، غادر بُلكين برغواطة وقفل راجعًا من المغرب الأقصى بعد أن استمر بها ما يقرب من خمس سنوات ولكنه أصيب في طريقه وأقعده المرض وأدركته المنية فى مكان بين سجلماسة وتلمسان[2] فى سنة 373هـ/984م[3]، بعد أن حكم اثنتى عشرة سنة كرَّس فيها كل جهوده لخدمة الخليفة الفاطمى بوصفه خليفة له، وترك بعده عددًا كبيرًا من الأبناء[4].

ترك يوسف بُلكين قبل وفاته وصية لأحد قواده بأن يتولى ابنه المنصور (374 - 386هـ/ 984 - 996م) الإمارة من بعده[5]، وقد عمل المنصور منذ اليوم الأول على توطيد أركان دولته خاصة بعد تسلمه الوثيقة الرسمية للخليفة الفاطمى لتأكيد ولايته على كل بلاد المغرب فبعث بهدية جليلة إلى مصر، ثم أرسل أخاه يطوفت على رأس جيش كبير إلى المغرب الأقصى ولكنه منى بالخسارة أمام الزناتيين، مما دعا المنصور إلى عدم مطاردة الزناتيين بالمغرب الأقصى، وتكريس جهوده بالمغرب الأدنى والأوسط، فنراه يبنى قصرًا كبيرًا بصبرة المنصورية وينفق عليه الكثير من الأموال، ولكنه أخطأ فى سياسته مع عبد الله الكاتب، حيث أطلق يده فى ولاية إفريقية حتى أصبح ممثل الخليفة الفاطمى والمقرب إليه، فلم يجد المنصور سوى قتله هو وابنه للقضاء على نفوذه الذى أصبح يهدد وجود بنى زيرى[6].

واستمر المنصور طوال مدة عهده فى توطيد أركان دولته فى المغرب الأدنى إلى أن توفى سنة 386هـ/ 996م، وتوفى فى نفس السنة

فاضلًا وله تصانيف حسان. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، ت:257ه/871م): "فتوح مصر والمغرب"، تحقيق: عبد المنعم عامر، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ج1، هامش ص270؛ ابن حوقل: مصدر سابق، ص67؛ البكرى: مصدر سابق، ص5؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص144.

(1) ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص206.

(2) تلمسان: وهما مدينتان بالمغرب الأوسط، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب فهما كالفسطاط والقاهرة. لمزيد من التفاصيل انظر: البكرى: مصدر سابق، ص76 وما بعدها؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص176 وما بعدها؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج2، ص44.

(3) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص237؛ ابن الخطيب: مصدر سابق، ج3، ص67.

(4) ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، هامش ص414.

(5) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص75.

(6) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص241 وما بعدها.

الخليفة الفاطمى العزيز بالله فكان لابد من تجديد ولاية العهد لباديس[1].

ارتقى عرش الدولة الزيرية أبو مناد باديس ابن المنصور نصير الدولة (386 - 406هـ/ 996 - 1016م) [2]، وكان عمره حينئذٍ لا يتجاوز اثنتى عشرة سنة[3]، وإن كان ذلك قد لقى معارضة من أقاربه إلا أن عبيده تمكنوا من إحباط هذه المعارضة، وذهب عمه يطوفت إلى المنصورية للتعزية والتهنئة، وقد جدد باديس ولاية فلفل على مدينة طبنة، كما أمر محمد بن أبى العرب على إفريقية[4]، وعهد ولاية أشير لعمه حماد بن أبى الفتوح يوسف بن زيرى[5].

يعتبر عهد باديس من المراحل الهامة فى تاريخ الدولة الزيرية وذلك من وجهين أولهما: يتعلق بالخلافة فكان لزامًا تجديد العهد من القاهرة مع تولى الخليفة الجديد الحاكم بأمر الله (386 - 411هـ/996 - 1021م) فى ظل علاقات متوترة بين الخلافة والبيت الزيرى، والوجه الثانى: هو استعمال عمه حماد بن بُلكين واليًا لأشير، وهو ما يعد تمهيدًا لانقسام الدولة الزيرية إلى مملكتين أحدهما فى القيروان والمهدية، والأخرى فى القلعة وبجاية لأبناء حماد[6]، وسوف يتسبب ذلك التعيين فيما بعد فى استقلال حماد بالمغرب الأوسط وتأسيس دولة تحمل اسمه وهى (بنى حماد)[7]، ولكن باديس ذلك الأمير الصغير السن كان مضطرًا لذلك لتجنب سخط وغضب أقاربه الصنهاجيين فى المغرب الأوسط الذين اتسعت عمالتهم وعظم شأنهم[8]. فقبل التنازل لحماد عن مهد الأسرة الأول وأرض الوطن وتركة مؤسسها زيرى بن مناد، مما أدى إلى إنقسام الدولة إلى مملكتين زيرية وحمادية، لكل منهما عاصمتها وكتَّابها ووزرائها ودواوينها المختلفة، إلى جانب جيوشها وأساطيلها الخاصة

---

(1) التجانى: مصدر سابق، ص181 ، 218؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص613؛ ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص77 وما بعدها.
(2) الزركلى (خير الدين بن محمود بن محمد بن على بن فارس الزركلى، ت: 1396هـ/ 1976م): "الأعلام"، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: الخامسة عشر، 2002م، ج2، ص41.
(3) ابن خلكان: مصدر سابق، ج1، ص265.
(4) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص247.
(5) ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، ص485.
(6) ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص210.
(7) د/ عبد الحليم عويس: "دولة بنى حماد - صفحة رائعة من التاريخ الجزائرى"، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الثانية، 1411هـ - 1991م، ص114.
(8) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص78.

وسياستها وعلاقاتها الدولية المختلفة[1].

ونظرًا لصغر سن باديس فإن المرأة كان لها دورًا فى الحياة السياسية مثل أخته الأميرة (أم ملال) ومربيته المعروفة باسم (حاضنة باديس)، اللتان تمتعا بنفوذ لا يستهان به[2]. هذا ولم يتم تنصيب باديس أو تلقيبه من قبل الخليفة الفاطمى إلا بعد وفاة العزيز بالله وخلافة الحاكم بالله سنة 387هـ/ 997م، وأخذ عليه العهد للحاكم وتلقيبه بنصير الدولة فأرسل الخليفة الهدايا والمال الكثير[3].

- **الصراعات والقلاقل فى عهد باديس:**

منذ أن تولى باديس الحكم والصراعات والاضطرابات تتوالى عليه سواء فى الشمال فى المسيلة وثورة فلفل بن سعيد والزناتيين أو من قِبل أقاربه بأشير أو بالغرب حيث الهجمات المتتالية من الأمير المغراوى زيرى بن عطية[4].

توجه باديس إلى المسيلة لمواجهة فلفل بن سعيد بن خزرون الزناتى الذى تمرد عليه فى عام 389هـ/ 999م، ودارت بينهم معارك طاحنة انهزم فيها فلفل بن سعيد وعاد باديس إلى المنصورية ظافرًا[5]، توجه فلفل بعدها إلى طرابلس وأقام بها واستولى عليها وعلى ضواحيها، ولكن باديس دفع إليها جيشًا لإحكام السيطرة عليها[6].

وتحالف أعمام الأمير باديس بزعامة ماكسن مع فلفل بن سعيد، فتفرغ لهم حمَّاد بن بُلكين ودارت بينهم معارك شديدة، كان النصر فيها حليف حمَّاد بن بُلكين الذى قضى عليهم وقتل ماكسن وأبنائه شر قتلة، وكان ذلك فى رمضان 391هـ/ 1001م، فاستقر له الأمر فى أشير والمغرب الأوسط[7].

---

(1) ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، ص485. سعد زغلول: مرجع سابق، ج3، ص336 - 338.
(2) الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصارى الأسيدى، ت: 696هـ/1297م): "معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان"، أكمله وعلق عليه: (أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجى التنوخى، ت:839هـ/1435م)، تحقيق: د/ محمد الأحمدى أبو النور، محمد ماضى، الناشر: مكتبة الخانجى بمصر، والمكتبة العتيقة بتونس، ج3، ط: الثانية، 1388هـ - 1968، ص140.
(3) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص249؛ ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص78.
(4) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص249 - 250.
(5) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص7 وما بعدها.
(6) التجانى: مصدر سابق، ص182.
(7) ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص209.

وفى أثناء انشغال باديس بقتال فلفل بن سعيد استغل ذلك الأمير المغراوى زيرى بن عطية وتقدم إلى أشير وحاصرها أكثر من مرة حتى داهمه المرض وعاد إلى بلاده، وتوفى فى عام 391هـ/ 1001م[1].

وطالت الفتنة بين باديس وفلفل بن سعيد حتى استطاع فلفل أن يحتفظ لنفسه بإمارة صغيرة فى طرابلس[2] إلى أن مات بها سنة 400هـ/ 1009م[3]، وولى مكانه أخوه ورو بن سعيد الذى قاد الزناتيون فى إحكام السيطرة على طرابلس وضواحيها، فزحف إليه باديس ودخل طرابلس، ولكن ورو طلب منه الأمان والدخول فى طاعته فعفا عنه باديس على أن يرحل من طرابلس، ولكنه خالف العهد، فدارت بينهما معارك قتل فيها من زناتة الكثيرة وانهزم فيها ورو بن سعيد[4].

واستمرت الاضطرابات طوال عهد باديس، آخرها كان الصدام بينه وبين حماد بن بُلكين الذى شق عصا الطاعة لباديس عام 405هـ/ 1014م، وبلغ الصراع بينهما أشده وكاد باديس أن يفتك به لولا أن أدركته المنية فى 30 ذى القعدة عام 406هـ/ 10 مايو 1016م وهو فى أوج نشاطه وسنه 33عامًا[5]، فقد كان ملكًا حازمًا شديد البأس، أبلى بلاءً حسنًا فى مواجهة الصراعات والقلاقل التى حدثت فى عهده[6].

بويع المعز بن باديس بالإمارة فور وفاة والده فى سنة 406هـ/ 1016م[7]، وكان عمره حينذاك ثمانى سنوات[8]، وقامت بالوصاية عليه

---

(1) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص9.
(2) د/ بشير رمضان التليسى: "معالم الحضارة الإسلامية فى ليبيا"، دار الكتب الوطنية، ط: الأولى، 2008، ص76.
(3) المقريزى (تقى الدين أحمد بن على المقريزى، ت: 845هـ/ 1453م): "كتاب المقفى الكبير"، اختيار وتحقيق: محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1407هـ - 1987م، ص405.
(4) أحمد بك النائب الأنصارى الطرابلسى: "المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب"، مكتبة الفرجانى، طرابلس ليبيا، ص98.
(5) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص266 وما بعدها.
(6) ابن العماد (شهاب الدين أبى الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى الحنبلى الدمشقى، ت:1089ه/ 1668م): "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1410 - 1989م، ج5، ص38.
(7) محمد بن محمد بن عمر مخلوف (ت: 1360ه/1941م)، "شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية التتمة"، المطبعة السلفية، القاهرة، 1350هـ - 1932م، ص128 وما بعدها.
(8) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص87 - 90؛ النويرى: مصدر سابق، ج24، ص111؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص158.

السيدة/ أم ملال [عمته] والتى قامت بمهمتها على أكمل وجه حتى وفاتها سنة 414هـ/ 1023م، فكانت أولى النساء التى اشتهرت فى البلاط الملكى للمعز بن باديس، يشاركها فى ذلك السيدة فاطمة والمعروفة "بحاضنة باديس"(1)، وكذلك زوجته (أم يوسف زليخاء)(2)، والتى تزوجها المعز بن باديس فى سنة 413هـ/ 1022م، وعمره حوالى 15 سنة، والتى عرفت أيضًا بكرمها وسيرتها الحسنة فى فعل الخير.

وتقبلت السيدة أم ملال العزاء فى أخيها المتوفى والتهنئة بولاية ابن أخيها الصغير، فكان ذلك اعترافًا من رجال الدولة بوصايتها على المعز(3). ومارست مهامها كوصية على الأمير الصغير الذى انتقل من المهدية إلى المنصورية سنة 407هـ/1016م، وأصبحت هى المسئولة عن تدبير أمور المعز فى بداية ولايته، وأهم ما ينسب إليها هو اختيارها للوزير العالم والفقيه أبى الحسن بن أبى الرجال(4)، ليحمل على عاتقه تأديب المعز طفلًا وتنشئته على حب السنة ومذهب مالك بن أنس، وما كان ذلك ليتم إلا تحت رعاية هذه السيدة وإشرافها(5).

وخلال سبع سنوات كانت فيها السيدة أم ملال موضع كل تقدير ورعاية من جانب المعز ورجال دولته، إلى أن اعتلت سنة 414هـ/1023م لعدة أيام قبل وفاتها، كان المعز يعودها كل يوم ويسمح لعبيده ورجال دولته بزيارتها(6)، وعندما ماتت دفنت فى المهدية فى موكب مهيب يليق بمقام الوصية الرفيع، وصُلى على جنازتها بالبنود والطبول(7).

وكان المعز حسن الخلق حليمًا مكرمًا لأهل العلم كثير العطاء لهم(8)، كما يذكر صاحب المؤنس بأنه كان عالمًا بالمنثور والمنظوم من الكلام وكان متوقد الذهن حاضر الخاطر حاذقًا بطرائق الألحان يرعى الفنون

---

(1) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص267.
(2) حسن حسنى عبد الوهاب: شهيرات التونسيات، مكتبة المنار، تونس، سنة 1966، ص83 وما بعدها.
(3) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص81.
(4) القلقشندى: مصدر سابق، ج14، ص366 وما بعدها.
(5) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص295؛ سعد زغلول: مرجع سابق، ج3، ص382.
(6) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص293.
(7) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص83؛ سعد زغلول: مرجع سابق، ج3، ص380.
(8) ابن خلكان: مصدر سابق، ج5، ص233.

والآداب فقد جلب إلى بلاده ثلة من الشعراء[1].

إلى جانب هذه الصفات الرقيقة نجد أن المعز بن باديس كان ملكًا مهيبًا سريًا شجاعًا[2]، فيذكر صاحب كتاب الذخيرة: "لم يكن أحد فى زمانه أشد بأسًا فى الملاحم ولا أطول يدًا بالمكارم، ولا أغنى بلسان العرب عدلًا أحنى على أهل الأدب"[3]. كما كان كريمًا وجوادًا والبلاط الصنهاجى فى عهده قد بلغ أوجَّه من ناحية الأبهة والفخامة[4].

وكان عهد المعز بن باديس هو العصر الذهبى للدولة الزيرية من حيث وصولها إلى ذروة المستوى الحضارى فى الثروة وكثرة الجند النظامى من العبيد، أو على المستوى السياسى حيث وصلت إلى الاستقلال وقطع الصلة مع الخلافة الفاطمية بالقاهرة[5].

أهم ما ينسب إلى المعز بن باديس من أعمال هو العودة إلى مذهب السنة والقضاء على مذهب الشيعة بالمغرب الأدنى، يقول صاحب المؤنس عن المعز: "هو الذى طهر الله تعالى على يديه إفريقية من مذهب الشيعة وإن كان من عمالهم إلا أنه كان لا يتمذهب بمذهبهم، وجعل الناس فى أيامه على مذهب الإمام مالك رضى الله تعالى عنه، وقطع ما عداه"[6]، ويوجد عدة روايات دارجة تنسب إلى المعز وأنه افتتح ملكه بتلك السياسة[7].

---

(1) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص82.

(2) الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، ت: 748هـ/ 1347م)، "سير أعلام النبلاء"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1405هـ - 1984م، ج18، ص140.

(3) ابن بسام (أبى الحسن على بن بسام الشنترينى، ت: 1144/542م): "الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة"، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417هـ - 1997م، ج4، ص614 وما بعدها.

(4) ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص158.

(5) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص265؛ أبو الفداء: مصدر سابق، ج1، ص263؛ سعد زغلول: مرجع سابق، ج3، ص442.

(6) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص81.

(7) أكثر الروايات الخاصة بهذه المسألة تأخذ شكلًا قصصيًا، إذ تذكر أن المعز وهو غلام خرج فى إحدى الأعياد إلى المصلى، فكبابه فرسه فقال: "أبو بكر وعمر"، فكادت الشيعة التى فى عسكره أن تفتك به وتقتله لولا عبيده ورجاله الذين اندفعوا يقتلون الشيعة فى كل مكان، وتذكر روايات أخرى بأنه ترَّضى على أبى بكر وعمر ردًا على الشيعة فانتصر العامة من ساعتها لقتل الشيعة؛ ومن الروايات المقبولة فى هذا السياق أن المعز مرَّ بجماعة وسأل عنهم فقيل رفضة وعلم منهجهم من أنهم يسبون أبا بكر وعمر، فترضى هو عليهما فانصرف العامة من فورها لقتل الشيعة، فهى رواية مقبولة، وذلك لصغر سنه فإن الأمير الصغير لم يكن قد اختتن بعد، وفور هذه

▪ علاقة أمراء بنى زيرى بالخلافة الفاطمية ومحاولاتهم الانفصال:

منذ بداية عهد بنى زيرى وهم فى محاولات مستمرة للاستقلال عن الفاطميين، وخاصة وأنهم كانوا بالفعل لهم سلطات مطلقة فى بلاد المغرب، فهذا بُلكين أول ملوك هذه الدولة يتمتع بكل السلطات، فهو قائد الجيش ويملك جميع السلطات الحربية، ويتملك السلطات المالية لأنه يشرف على جمع الضرائب، كما أن السلطات الإدارية جميعها تحت إشرافه حيث أن جميع الولاة تحت إمرته، ومع ذلك استمر بُلكين يدين بالولاء للخليفة الفاطمى المعز لدين الله إلى أن توفى سنة 365ه/975م بعد أن أقطعه إقليم المسيلة الخصبة[1].

بدأ بُلكين يتطلع للاستقلال خاصة بعد أن أقطعه الخليفة الجديد مدن أجدابية وسرت وطرابلس والبلاد التابعة لها، مما زاد من توطيد مركزه، ويظهر ذلك من رواية ابن الأثير: "واستبد بالملك وكان يظهر الطاعة مجاملة ومراقبة لا طائل من ورائها"[2]، واستمر الأمر هكذا بين بُلكين والخلافة فى القاهرة ما بين طاعة فى الظاهر واستقلالية وسلطات مطلقة على أرض الواقع، إلى أن مات بُلكين سنة 373ه/ 984م[3].

تولى المنصور بعد وفاة أبيه، وقد كان مستعدًا لعبور مرحلة جديدة نحو الاستقلال وذلك بميله لاكتساب شعبية في إفريقية، فاختلفت علاقته مع الفاطميين، ففى أول خطبة له يتحدث قائلًا: "... إنَّ أبى وجدى أخذا الناس بالسيف قهرًا، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان، وما أنا فى هذا الملك ممن يولى بكتاب، ويعزل بكتاب لأنى ورثته عن آبائى وأجدادى،

الواقعة انطلق العامة لقتل الرافضة ومهاجمة درب المعلى وهو الحى الشيعى بالقيروان ونهب دورهم، وقتل منهم خلقٌ كثير بالقيروان والمهدية؛ ونهبت دورهم وتعتبر هذه الأحداث بمثابة مقدمة لخلع المعز لطاعة الفاطميين والتى ما هى إلا نتاج لسياسات أمراء بنى زيرى فى الاستقلال والتى ظهرت منذ العهد الأول. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن الأثير: مصدر سابق، ج9، ص294؛ ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص268؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص159؛ سعد زغلول: مرجع سابق، ج3، ص383 - 386.

(1) جورج مارسيه: "بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى"، ترجمه عن الفرنسية: محمد عبد الصمد هيكل، راجعه: د/ مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص182 وما بعدها.

(2) الكامل فى التاريخ: ج7، ص361.

(3) الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، ت: 748ه/ 1347م)، "العبر فى خبر من غبر"، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1405ه - 1985م، ج2، ص141.

وورثوه عن آبائهم وأجدادهم حمير"[1].

وبالفعل أدار شؤون دولته باستقلالية مطلقة، وبدا ذلك واضحًا بتغيير الجهاز الإدارى للدولة دون الرجوع للخليفة[2]، ثم التخلص من عبد الله الكاتب بسبب قوة نفوذه وعلاقته الوطيدة بالقاهرة، ولم يخش رد فعل الخليفة الفاطمي، وبلغ من القوة ما أثار حفيظة الفاطميين فنرى ثورة كتامة[3] التي دبرها الخليفة الفاطمي، ولكن المنصور تمكن من قمعها والقضاء عليها بعد قتل (أبو الفهم) مبعوث الخليفة الفاطمي[4]، فما كان من الخليفة الفاطمي إلا إتباع سياسة المهادنة معه سواء بإرسال الهدايا أو تنصيب ابنه كولي للعهد في سنة ولادته[5].

تولى باديس بعد وفاة والده المنصور سنة 386ه/996م، وكانت سنوات حكمه في ظاهرها الود السائد بين الطرفين إلا أن أحداث القلاقل والاضطرابات في طرابلس في عهده تؤكد على أن سياسة الخليفة العزيز التحريضية[6] لم تنته ضد عامله بالمغرب الأدنى[7].

واستمرت العلاقة بين باديس والخلافة بالقاهرة في وفاق شكلي إلا أنه على المستوى الشعبي فإن المشاعر المضادة للشيعة تزيد والكراهية للفاطميين لم تنته إلى أن مات باديس سنة 406ه/1016م في إحدى معاركه مع بني حماد، وتم مبايعة ابن المعز بن باديس بالمهدية[8].

عند وصول خبر وفاة باديس، رفع الجيش الحصار عن قلعة بني حماد وعاد لتشييع جثمان الأمير باديس، وكانت الطبول والرايات تتقدم التابوت حتى وصل المهدية، وكان الأمير المعز بن باديس رغم صغر

---

(1) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص240؛ ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص76.
(2) ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، ص415.
(3) كتامة: قبائل بربرية منحدرة من البرانس، وتعيش في جبال منطقة القبائل، وهي منطقة تابعة نظريًا لأمراء القيروان ولكنها فعليًا تحت سيطرة زعماء كتامة الذين يحسدون صنهاجة، لأنهم رغم كونهم أبناء عمومة وأهل حضر مثلهم، إلا أن صنهاجة دار ملك وتمتلك أراضي أوسع وموارد أوفر، وقادرة على مواجهة ومقاومة عدوهم المشترك زناتة الرحل. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن حوقل: مصدر سابق، ص96؛ البكري: مصدر سابق، ص 104؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 152.
(4) ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، ص431.
(5) التجاني: مصدر سابق، ص181 ، 218؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص613؛ ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص77 وما بعدها.
(6) اللواء الركن/ محمود شيت خطاب: "قادة فتح المغرب العربي"، دار الفكر للطباعة والنشر، العراق، ط: السابعة، ج2، ص229.
(7) التجاني: مصدر سابق، ص181 ، 218؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص613.
(8) جورج مارسيه: مرجع سابق، ص187 وما بعدها.

سنه ثابتًا على جواده وجاءته وحدات الجيش الواحدة تلو الأخرى تبايعه، وبعد شهر ترك المعز المهدية واتجه إلى صبرة (المنصورية)، ودخلها وسط الفرح العام، فقد كسب قلوب الناس الذى كان يطعمهم بين يديه، وبدأ فى توطيد أركان دولته، وإتمام عملية الإنفصال عن الخلافة الفاطمية والتى بدأها أسلافه من أمراء البيت الزيرى، والتى ترتب عليها أحداث غيرت الخريطة السياسية فى المغرب الأدنى[1].

- **جهود المعز بن باديس لتوطيد سلطانه:**

استمر الصراع مع العديد من القبائل البربرية وبالخصوص زناتة، خاصة وأن القائد الزناتى خليفة بن ورّو الذى كان قد استسلم لباديس ثار من جديد على ابنه المعز، ففى سنة 413هـ/ 1022م، قام الزناتيون بغارات على قابس وطرابلس[2]، فى الوقت الذى كانت فى البلاد تعانى من العديد من المشاكل الاقتصادية وذلك بسبب حدوث مجاعة فى إفريقية فى هذا العام[3]، مع نقصان موارد الدولة، فى حين كان وزير المعز بن باديس وصاحب جيشه (أبو عبد الله محمد بن الحسن) ذو ثروة طائلة فكان يجمع الجباية ولا يرسل منها شيئًا إلى المعز وكان على علاقة وطيدة مع الفاطميين خاصة وأن أخوه عامل طرابلس يرعى الزناتيين، كل ذلك جعل المعز بن باديس يتحرك جديًا فى التخلص من وزيره والذى قتله بالفعل فى عام 413هـ/ 1022م، وصادر أمواله وأملاكه[4].

وإن كان المعز بن باديس قد أجَّل محاربة الزناتيين بسبب هذه الظروف الاقتصادية الصعبة من ناحية، ومرض عمته ووصيته العزيزة عليه أم ملال ثم وفاتها[5] من ناحية أخرى، إلا أنه سيَّر إليهم جيشًا عرمرم سنة 415هـ/ 1024م، خاصة بعد زيادة إفسادهم بقسطيلية[6] ونفزاوة واشتداد شوكتهم، فاقتتلوا وكان النصر حليف المعز بن باديس،

---

(1) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص267.
(2) ابن عذارى: مصدر سابق، ص270.
(3) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص146.
(4) د/ إحسان عباس، د/ محمد يوسف نجم: "ليبيا فى كتب التاريخ والسير"، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازى، ليبيا، ص137.
(5) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص270.
(6) قَسْطيلية: مدينة بالأندلس وهى حاضرة نحو البيرة كثيرة الأشجار متدفقة الأنهار وعليها سور حصين، ومن أكبر مدنها توزر، وهى بلاد الجريد الحالية فهى جزء من ولاية قفصة، وتشمل منطقة الشطوط، والثروة الرئيسية لها تتمثل فى النخيل المثمر. لمزيد من التفاصيل انظر: البكرى: مصدر سابق، ص48 وما بعدها؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج4، ص348.

وقتل منهم الكثير حتى عقدوا بينهما صلحًا[1]. ولكن لم يستمر الصلح طويلًا مع الزناتيين ففى سنة 420هـ/ 1029م، زحفت جموع زناتة إلى القيروان، فخرج إليهم المعز بنفسه وهزمهم وقتل منهم الكثير، وتكرر الصدام والقتال مع الزناتيين فى معارك عدة كان للمعز النصر فى جميعها[2].

أدخل المعز بن باديس جربة[3] فى طاعته فى سنة 431هـ/ 1039م، بعد قمع الزناتيين بها، وفى سنة 433هـ/1041م، استولى بن باديس على قلعة درجين غرب قسطيلية بعد حصارها وقتل الكثير من الخوارج وكان على رأس جيش المعز ابنه نزار ابن المعز الذى أنشده وقتئذٍ ابن شرف قائلًا:

طلعت من الغربى شمس الدين *** بالسعد والإقبال والتمكين

وردت رسل المعز فى سنة 437هـ/1045م إلى القيروان تخبره بانتصار جيشه ضد لواتة وقتل منهم الكثير وغنم الكثير فضربت الطبول وأنشد بن شرف قائلًا:

باليمن والسعد عد وبالظفر *** موفق الورد غانم الصدر[4]

- **خلع المعز لطاعة الفاطميين:**

وصلنا إلى الحدث الأكثر أهمية فى تاريخ الدولة الزيرية وهو خلع طاعة الفاطميين والولاء للعباسيين وورود العهد من الخليفة العباسى القائم بأمر الله[5]، وذلك على المستوى السياسى، وعلى المستوى الدينى إعلاء المذهب السنى وجعله المذهب الرسمى بدلًا من المذهب الشيعى الذى استمر زهاء قرن ونصف قرن[6]، ويجدر بنا فى هذا المقام أن نسأل

---

(1) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص157.
(2) ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص210.
(3) جربة: هى جزيرة تقع شرقى قابس، بها بساتين كثيرة وزيتون ومشهورة بالزيت والزبيب والرطب، وقد ذكر البكرى أن أهلها مفسدون فى البر والبحر وهم خوارج. لمزيد من التفاصيل انظر: البكرى: مصدر سابق، ص19؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان: مصدر سابق، ج2، ص118؛ د/ نقولا زيادة: مرجع سابق، ص90.
(4) ابن عذارى المراكشى، البيان: مصدر سابق، ج1، ص267.
(5) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص82.
(6) سعد زغلول: مرجع سابق، ج3، ص379.

عن الأسباب المباشرة للأمير المعز بن باديس والتى أدت إلى هذا التحول الخطير فى خريطة الولاء لدولة بنى زيرى؟ فهل المصالح السياسية هى المعول فى ذلك، أم أنه الدور العقائدى فحسب؟ هذه الأسئلة تحتاج للكشف عنها كى نستطيع الوقوف على حقيقة الأحداث وتطورها.

فإن الدبلوماسية الزيرية استمرت كما ذكرنا تدين بالولاء للخلافة الفاطمية بمصر فى عهد المعز بن باديس، واستمر المذهب الشيعى مذهب الدولة الرسمى، كما استمر المعز فى تبادل الهدايا المعهودة مع الخليفة الفاطمى، حتى بعدما حدث من قتل للشيعة، ففى سنة 407هـ/1017م وصلت خلع الحاكم الفاطمي إلى المعز بن باديس مع لقب شرف الدولة وتتابعت الهدايا المنسوجة بالذهب والخلع والأفراس المسرَّجة[1].

إلا أن هذا الموقف قد بدأ يتغير شيئًا فشيئًا خاصة بعد تولى اليازورى الوزارة بالقاهرة سنة 427هـ/ 1036م، وانتقال إدارة شئون البلاد فى يده فى ظل ولاية الخليفة الفاطمى المستنصر الذى لم يتجاوز عمره سبع سنوات، فاتسمت المراسلات بين المعز بن باديس وهذا الوزير بالحدة وبالقدح فى شرعية الفاطميين[2]، خاصة وأن سلطة الدولة الفاطمية فى هذه الأثناء قد وهنت وتقهقرت بسبب المجاعات الشديدة التى لحقت بالبلاد والنزاعات المستمرة بين الجنود المرتزقة بالقاهرة، هذا إلى جانب انفصال بعض الأقطار عن الخلافة الفاطمية بسبب الاضطرابات العديدة مثل الشام[3].

وهذه الاضطرابات بين الدولة الزيرية والخلافة الفاطمية ما هى إلا مقدمات للانفصال الكامل والرسمى عن التبعية للدولة الفاطمية والتى اتبعها الأمير المعز بن باديس ببعض المساعى الدبلوماسية مع الأمويين فى الأندلس، وكذلك تبادل الهدايا مع الإمبراطور البيزنطى فى صقلية[4].

وقد قام بهذه المساعى الدبلوماسية أحد رجال المذهب المالكى بداية من سنة 432هـ/ 1040م، مما يؤكد اتجاه المعز بن باديس إلى إعلاء المذهب المالكى وجعله المذهب الرسمى للدولة بعد الانفصال عن التبعية الفاطمية والتى أرخ لها الإخباريون بتواريخ مختلفة تمتد من سنة 433هـ/1041م إلى سنة 443هـ/1051م، فيذكر ابن عذارى أن المعز

(1) المقريزى: اتعاظ الحنفا، ص115.
(2) رحلة التجانى: مصدر سابق، ص19.
(3) المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج2، ص19.
(4) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص82.

أظهر الدعوة للدولة العباسية منذ سنة 433هـ/1041م[1]، ومصادر هامة أخرى ذكرت سنة 435هـ/1043م بداية لهذا الانفصال منها ابن الأثير[2]، وأبو الفدا[3]، إلا أن تاريخ 439 - 440هـ/ 1047م[4]، الذى اعتمده المؤرخ الرسمي وشاعره المعروف ابن شرف يكاد يكون الأصوب، ويؤكد ذلك النقود المضروبة بصورة لا تدعو إلى الشك حيث أن الدنانير الزيرية فى عهد المعز بن باديس حتى سنة 438هـ/ 1046م، من الطراز الشيعى، وكانت تضرب فى المهدية أو المنصورية باسم الخليفة الفاطمى، أما فى سنة 439هـ/ 1047م، فأصبحت الدنانير الزيرية تحمل اسم صبرة وإن كان بها بعض العبارات الشيعية إلى أن تغيرت نهائيًا فى 441ه/1049م، إلى الطراز السنى وحذف العبارات الشيعية[5].

على أى حال فمن الأكيد أن قطع الدعوة الفاطمية بالمغرب الأدنى كان أمرًا واقعًا فى سنة 443هـ/ 1051م[6]، واختلاف الإخباريين فى تحديد التاريخ ليس هو الأهم حيث أن هذا الانفصال قد اتخذ إجراءات وخطوات تمت فى سنوات متلاحقة، أما الهدف الأهم والغاية الأسمى لذلك الحدث يتمثل فى القضاء على المذهب الشيعى والرجوع إلى المنهج الصحيح للدين وهو منهج أهل السنة والجماعة والمتمثل فى المغرب الأدنى فى المذهب المالكى فكان ذلك واضحًا منذ السنوات الأولى لعهد الأمير المعز بن باديس، وقد ساعده على ذلك الأحداث السياسية المتغيرة والاضطرابات التى تعرضت لها الدولة الفاطمية، فتتابع بعد ذلك ضرب السكة على الطراز السنى، ثم مجيء وثيقة التقليد من الخليفة العباسى[7]، وقد قرئ كتاب الخليفة العباسى إلى المعز بالجامع الأعظم بالقيروان ونشرت الأعلام السوداء رمز العباسيين عوضًا عن الأعلام البيضاء رمز الفاطميين التى أصبغها المعز بالسواد[8]، كما عمل على صهر

---

(1) البيان المغرب: ج1، ص275.
(2) الكامل فى التاريخ: ج8، ص265.
(3) المختصر فى أخبار البشر: ج1، ص263.
(4) اليافعى (أبى محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى اليمنى المكى، ت: 768ه/م): "مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1417هـ - 1997م، ج3، ص47.
(5) ابن خلكان: مصدر سابق، ج5، ص233.
(6) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص280.
(7) ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال، ت:578هـ: 1280م): "الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم"، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامى، تونس، ط: الأولى، 2010م، ج2، ص236.
(8) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص280.

العملات ذات الطراز الشيعي وضرب عملات أخرى لها طراز سني، كل هذه الإجراءات قد أدخلت البهجة والسرور على أهل القيروان المالكية، بل وامتد ذلك إلي برقة حيث أن أهلها قد أحرقوا المنابر التي كان يدعى فيها للعبيدين وأحرقوا رايتهم وتبرؤوا منهم(1).

وقد أحدث انفصال بني زيرى عن الفاطميين صدى عميقًا في جميع أنحاء المغرب، ففي طرابلس اقتدى الناس بالمعز بن باديس، وقام الفقيه أبو الحسن بن المنتصر بتحريض العامة على الشيعة، واشترك معهم في قتلهم، ثم قطع من الآذان عبارة "حي على خير العمل"، وأذّن آذان أهل السنة، وفي سنة 443هـ/ 1051م كتب الأمير جبارة بن مختار العربي من برقة إلى المعز يبايعه على الطاعة، ويخبره بأنه وأهل برقة قد أحرقوا المنابر التي كان يدعى عليها للعبيديين، وأحرقوا راياتهم، وتبرأوا منهم ولعنوهم على المنابر ودعوا للقائم العباسي(2).

هكذا استقل الأمير الزيرى عن الخلافة الفاطمية بالقاهرة، بعد رحلة طويلة للأمراء الزيريين بمحاولة الاستقلال، كللت بالنجاح على يد هذا الأمير المعز بن باديس، الذى خطب للخليفة العباسي في بغداد على منابر إفريقية(3).

وإن كان هدف الانفصال هو التحرر السياسي، فإن الأهم والأخطر هو التحرر العقائدى والديني من هذا المذهب المارق عن سنة النبي ρ، والفضل في ذلك يرجع لتنشئته على حب أهل السنة. فنجده يلعن سلالة المهدى "عبيد الله"، ويمجد الرسول ρ وصحابته الكرام وعلى رأسهم الشيخين أبي بكر وعمر، ويظهر ذلك جليًا في وثيقة عبارة عن غلاف مصحف أهداه الأمير للمسجد الجامع في القيروان يكتب فيه بخط يده "يقول عبد الله وحبيبه المعز لدينه: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ρ وأن أحسن الرجال بعد رسول الله هو أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضى الله عنهم جميعًا، يا إلهي: إلعن بني عبيد أعداؤك وأعداء رسولك..."، ويستعيد الاهتمام بالمسجد الجامع بالقيروان والذى بناه الصحابي الجليل عقبة بن نافع، وكان قد أهمل من قبله فقام الأمير

---

(1) جورج مارسيه: مرجع سابق، ص194 وما بعدها.
(2) د/ عبد الرؤوف جرار: "سقوط الدولة الفاطمية في المغرب ونبذ التشيع"، مجلة جمعية القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد العشرون، حزيران 2010م، ص131.
(3) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص277 وما بعدها.

بالوقف للمسجد[1] وإصلاح ما تم تدميره[2].

وبهذا نكون قد تيقنًا أن أهداف المعز بن باديس السياسية والدينية، قد اجتمعت فى الانفصال عن الخلافة الفاطمية بالقاهرة، فتتمثل المساعى السياسية فى جهوده ومن سبقوه من أمراء البيت الزيرى فى الانفصال، خاصة وأن أمراء البيت الزيرى كان لهم كافة السلطات، ودعم هذه الأهداف السياسية توجهه المذهبي والعقائدى الذى زكّاه علماء المالكية بالقيروان وعامة المسلمين بكافة البلدان، فإن الأمر لم يقتصر على اضطهاد الشيعة فحسب، ولكن أخذ يحمل الناس على اعتناق المذهب المالكى، وترك ما دونه من المذاهب الأخرى، حتى يتم له بذلك الانفصال الروحى والمذهبى عن مصر[3].

- **غزوة بنى هلال ونهاية عهد المعز بن باديس:**

لم ينته الأمر عند هذا الحد، حيث أن الخليفة الفاطمى لجأ إلى حيلة شيطانية أشار عليه بها وزيره المحنك اليازورى[4] وتتمثل فى توجيه القبائل العربية الموجودة بصعيد مصر إلى المغرب الأدنى وهى قبائل بنى هلال وبنى سُلَيْم، ولطالما سببت هذه القبائل المتاعب والمشاكل للخلافة الفاطمية بالقاهرة، فأراد الخليفة الفاطمى استخدامها لضرب المعز بن باديس والقضاء عليه وكذلك التخلص منها للأبد[5].

وينحدر بنو هلال وأبناء عمومتهم بنى سليم من قيس عيلان، وأصل موطنهم بلاد الحجاز وبعض تخوم نجد، فهى قبائل عربية بدوية رعوية، تعيش عيشة فقيرة مضطربة تضطرها فى بعض الأحيان إلى احتراف الغارة على الجيران، أو قطع السبيل حتى على قوافل الحجاج، وهذا مما دعاهم إلى الانضمام إلى حركة القرامطة، واشتراكهم فى الحرب ضد الفاطميين في الشام ومصر والحجاز، وعندما تغلب المعز لدين الفاطمى على القرامطة، أرغمهم على الارتداد إلى البحرين، فانفصل بنو هلال وبنو سليم عنهم ومالوا إلى الفاطميين فنقلهم العزيز بالله إلى صعيد

---

(1) Dr. Badi Al-Abed: Historical Kan Periodical, Vol.8, No.3, ISSN: 2090-0449, p.104.

(2) جورج مارسيه: مرجع سابق، ص195 وما بعدها.

(3) د/ عبد الرؤوف جرار: مرجع سابق، ص131.

(4) ابن أيبك الدوادارى (أبى بكر بن عبد الله بن أيبك الدوادارى، ت: بعد 736ه/1335م): "كنز الدرر وجامع الغرر"، تحقيق: صلاح الدين المنجد، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألمانى للآثار بالقاهرة، 1380هـ - 1961م، ج6، ص359.

(5) ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص211.

مصر، وأسكنهم الضفة الشرقية من النيل[1].

وبالفعل توجهت هذه القبائل إلى المغرب الأدنى بداية من برقة، وذلك بعد أن أغدق عليهم الخليفة الفاطمى العطايا وأمدهم بالعدة وأطلق أيديهم فى جميع أقاليم المغرب الأدنى[2]، حيث قال لهم اليازورى وزير المستنصر "أعطيتم المغرب وما يملكه المعز بن باديس الصنهاجى العبد الآبق"[3]، كما كتب إلى المعز: "أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولًا فحولًا، وحملنا عليها رجالًا كهولا، ليقضى الله أمرًا كان مفعولا"[4]، ودخلت بالفعل القبائل الهلالية بلاد المغرب الأدنى فى سنة 442هـ/ 1050م، واحتلت برقة وما والاها فوجدوا بلادًا كثيرة المرعى خالية من الأهل، لأن زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز، فاستولوا على مدنها وقراها وخربوها وعاثوا فى أطراف البلاد وبلغ ذلك المعز فاحتقرهم، ثم أرسلوا إلى من خلفهم من القبائل بمصر للحاق بهم[5].

وتتابعت بطون العرب [بنو زغب، بنو رياح، بنو الأثبج، بنو عدى]، على برقة وطرابلس، واستمرت جحافلهم تجتاح إفريقية، فقطعوا السبيل وعاثوا فى الأرض، وشنوا الغارات وأفسدوا الزرع وقطعوا الثمار[6]، فضاق الناس بالأمر وساءت أحوالهم وانقطعت أسفارهم، ولم يشعر المعز بعد بمدى الخطر الذى يتهدده ولم يعره أى أهمية، وكان على رأس هذه القبائل أمير قبيلة رياح والمسمى (مؤنس بن يحيى الصنبارى) الذى اتصف بالصلابة والسداد فى الرأى وكان مطاعًا فى قومه، فقام بعدة غارات خاطفة على البلاد والقرى وتحاشى المدن الكبيرة لتجنب مقاومتها فى البداية فغنموا الكثير ونهبوا الكثير[7].

وأحل بالبلاد بلاء عظيم فجمع المعز بن باديس عساكره وكانوا ثلاثين ألف فارس ومثلهم رجالة وقام بقيادة العمليات الحربية بنفسه، وكان عدة العرب ثلاثة آلاف فارس، فهال العرب ذلك وعظم عليهم فقال

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص16؛ د/ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص166 - 168..
(2) ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص83.
(3) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص 296؛ النويرى: مصدر سابق، ج24، ص116 وما بعدها.
(4) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص 296.
(5) ابن غلبون: مصدر سابق، ص25. انظر بالملاحق: (خريطة رقم 2/1 - ص244).
(6) Marcais, G.: Les Arabes en Berbérie du XI au XIV siécles, Paris, 1913 P. 150.
(7) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص296؛ ابن عذارى: مصدر سابق، ص288 وما بعدها؛ ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص83.

موسى بن يحيى: "ما هذا اليوم يوم فرار، اليوم يوم العينين"، وعند جبل حيدران[1] والذي عرفت المعركة باسمه، والتحم القتال واشتدت الحرب وكانت مقتلة عظيمة انهزم فيها الصنهاجيون وتركوا المعز الذي صبر صبرًا عظيمًا ومات بين يديه من العبيد خلق كثير، ورجع إلى القيروان مهزومًا، وأخذ الهلاليون الخيل والخيام وما فيها من المال وغيره[2].

وعندما عاد المعز إلى القيروان جمع في يوم النحر سبعة وعشرين ألف فارس وسار إلى العرب ثانية وحمل عليهم في صلاة العيد فركبت العرب خيولها وهزمت صنهاجة وقتل منهم الكثير، وثبت المعز ثم عاد إلى صبرة (المنصورية) ووقعت بها الحرب، وقتل من زناتة خلق كثير، فرحل إلى القيروان التي باتت في خوف وهلع من هول ما حدث وواصل المعز استعداداته الدفاعية مثل بناء سور مزدوج بين صبرة والقيروان وبناء أسوار في زويلة[3]، كما أنشأ الأهالي بعض التحصينات والمنشآت الدفاعية المرتجلة لصد هذا التهديد[4]، ولكن دون جدوى فقد قام الأعراب بمحاصرة المدينة[5]. وفي محاولة من المعز لتخفيف حدة الخناق، قام بتزويج بناته من الأمراء الهلاليين وكان ذلك سنة 444هـ/ 1052م[6]، كما سمح للعرب بالقيام بالبيع والشراء داخل القيروان مما أحدث فتنة عظيمة بين العرب وأهل القيروان قتل فيها الكثير من أهل القيروان، وفي سنة 446هـ أمر المعز الرعية بالانتقال إلى المهدية بعد اشتداد الحصار على المدينة[7].

استمر الأعراب في استيلائهم على مدن وقرى المغرب الأدنى واحدة تلو الأخرى وبدأ يقتسمونها فيما بينهم، وفي سنة 445هـ/ 1053م ولي المعز ابنه تميم على المهدية، وبدأ ينقل إليها أهله وذخائره إليها شيئًا فشيئًا[8]. واستمر هو بالقيروان حتى سنة 449هـ/ 1057م، حيث خرج

---

(1) جبل حيدران: بينه وبين القيروان ثلاثة أيام. لمزيد من التفاصيل انظر: التجاني: مصدر سابق، ص21.
(2) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص297؛ التجاني: مصدر سابق، ص21؛ ابن غلبون: مصدر سابق، ص27.
(3) الكرخي: مصدر سابق، ص40.
(4) الونشريسي (أبي العباس أحمد بن يحيى، ت:914هـ/ 1508م)، "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب"، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ - 1991م، ج5، ص183 وما بعدها.
(5) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص 297.
(6) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص279.
(7) ابن غلبون: مصدر سابق، ص27.
(8) الوزير السراج: مصدر سابق، ص239.

منها متخفيًا فى حراسة رجلين من أصهاره الأعراب، تاركًا بها قائده ميمون الصنهاجي، واستقبله ابنه تميم بالمهدية وقبل الأرض بين يديه[1]. أما القيروان فلاقت مصيرها المحتوم بعد فرار أميرها منها بيومين، حيث هجم عليها الأعراب ونهبوها وخربوا عمائرها ولاقى أهلها سوء العذاب حتى اضطر الكثير منهم إلى مغادرتها إلى المغرب الأوسط وقلعة بنى حماد[2].

هذا وقد حدثت عديد من الثورات والانفصالات لبعض المدن نتيجة الفوضى العارمة التى سادت المدن والقرى ببلاد المغرب الأدنى وانحسر ملك بنى زيرى فى ساحل إفريقية فأسس تميم بن المعز أسطولًا ضخمًا بدار الصناعة بالمهدية[3]، وانقسمت البلاد إلى دويلات متشاحنة على نحو ما حدث فى الأندلس عشية سقوط الخلافة الأموية بقرطبة، فقد استولى بنو هلال على المناطق الممتدة فى الداخل من قابس إلى المغرب، وظل بنو زيرى يحتفظون بالمهدية وما يليها، واستقل حمو بن مليل البرغواطى بصفاقس وكان قد تحالف مع عرب زغبة ورياح وعدى والأثبج، واستقل موسى بن يحيى بقابس، واستقل حاكم قفصة[4] الزيرى بها بعد أن خرج على سيده واستعان بالهلالية لتوسيع نفوذه[5].

توفى المعز بن باديس يوم 24 شعبان سنة 454هـ/ 1062م، عن عمر يناهز ستًا وخمسون سنة، ودفن فى مقبرة بنى زيرى فى رباط المنستير[6]، هذا بعد حكم دام لمدة سبع وأربعون سنة تاركًا إياه لابنه وولى عهده تميم، خلع فيها الطاعة عن الدولة الفاطمية وعاد بها إلى المذهب السنى، وإن كانت بعض المصادر تشير إلى عودته إلى الحظيرة الفاطمية مرة أخرى إنقاذًا للموقف، ولكن لم يقم على ذلك دليل سوى

---

(1) ابن دينار: مصدر سابق، ص284.
(2) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص294.
(3) ابن الخطيب: مصدر سابق، ج3، ص78.
(4) قفصة: هى مدينة بونيقية الأصل بين تونس والقيروان، أهم ثرواتها بساتين الفاكهة والتين وكروم العنب، وفيها عيونًا كثيرة، وسكانها خوارج من قبائل لواتة وزغاوة ومكناسة. لمزيد من التفاصيل انظر: د/ محمد الطالبى: "فى تاريخ إفريقية"، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1994م، ص123 - 125.
(5) ابن الأثير: مصدر سابق، ج9، ص403 وما بعدها؛ ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص294.
(6) المنستير: مدينة قديمة بناها الرومان على الساحل على بعد أربعة فراسخ من سوسة إلى جهة المشرق، تحيط بها أسوار منيعة عالية، تحيط بها أجنة وبساتين بها أعداد وفيرة من أشجار الزيتون، وعرفت بالرباط الشهير بها والذى أوقفت له العديد من البساتين. لمزيد من التفاصيل انظر: مارمول كربخال: مرجع سابق، ج3، ص67.

بعض المسكوكات التى استردت الطابع الشيعى، فى وقت فقد المعز فيه السيطرة على مقاليد الأمور بالبلاد[1].

تولى تميم المهدية سنة 445ه/ 1053م، وعمره حينذاك ثلاثة وعشرون سنة، وأقام بها حتى وصل إليه والده سنة 449ه/ 1057م، فخرج إليه تميمًا مترجلًا، وقبل الأرض بين يديه فدعا له والده[2]، وعندما توفى المعز سنة 454ه/ 1062م، كان تميم قائمًا بالأمر كله (454 - 501ه/ 1062 - 1108م)، ولكن كان أمامه دولة مفككة عليه أن يعيدها إلى سالف عهدها[3].

كما حاربت مجموعات كبيرة من عرب رياح وزغبة تحت راية تميم بن المعز سنة 455ه/ 1063م ضد الولايات التى انفصلت عن الدولة الزيرية مثل صفاقس وسوسة[4] وقفصة وقسطيلية، وهكذا كان تميم يملك من المزايا والذكاء ما جعله يستعيد أجزاء من دولته المفككة، وقد تميز بالشجاعة والحزم وكانت فترة ولايته فترة ازدهار خاصة فى الأدب والفنون حيث أنه كان شاعرًا وله دواوين شعرية ذائعة الصيت، وكان راعيًا للآداب ومستضيفًا لأهل الشعر من كل مكان[5].

وقد استولت الأعراب على تونس[6] وأرسلوا إليها واليًا من قبلهم وهو

---

(1) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص295؛ ابن غلبون: مصدر سابق، هامش ص28 وما بعدها.

(2) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص298.

(3) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص21؛ ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص303 وما بعدها.

(4) سوسة: مدينة قديمة أزلية قديمة فيها آثار الأول، وهى خصبة على ساحل البحر، وفيها بنيان عظيم يسمى الملعب، وداخل السور هيكل عظيم يسميه البحريون الفنطاس، وبينها وبين صفاقس يومان، وأهلها قوم لونهم لون الحنطة يضرب إلى الصفرة وأكثرهم حاكة ينسجون الثياب، ولها أسواق حسنة وفنادق وحمامات طيبة، وبينها وبين القيروان مرحلة، وقد خرج منها محدثون وفقهاء وأدباء مثل يحيى بن خالد السوسى. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن حوقل: مصدر سابق، ص72 وما بعدها؛ البكرى: مصدر سابق، ص34 وما بعدها؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص120؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج3، ص281 وما بعدها؛ التجانى: مصدر سابق، ص25 وما بعدها.

(5) الذهبى (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، ت: 748ه/1347م): "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق وضبط: د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1424ه - 2003م، ج11، ص24.

(6) تونس: هى بلدة إسلامية تم بنائها بعد الثمانين من الهجرة، وهى تقع فى الجزء الثانى من الإقليم الثالث طولها ستة أميال وعرضها ثمانية أميال، ولها جزء متصل بالبحر يسمى فم

عبد الحق بن خراسان، مما دفع تميم فى سنة 458هـ/ 1065م إلى الزحف على تونس فدخلها دون قتال بالاتفاق مع شيخها عبد الحق بن خراسان الذى أقره تميم على تونس كرئيس لمجلس شيوخ[1]. وتولت أسرة بنى خراسان أمر تونس، وكان أشهرهم أحمد بن خراسان الذى ألغى سلطة الشيوخ واستبد بالأمر وبلغت تونس فى عهده ذروة ازدهارها، وبنى بها قصرًا سُمِىَ "قصر بنى خراسان"[2].

حاول تميم بن المعز استعادة المدن التى خرجت عن الطاعة بالإضافة إلى مواجهة الأعراب، ففى سنة 476هـ/ 1083م، تحالف والى قابس إبراهيم الصنهاجى مع مجموعة الأعراب من قبيلة الأثبج ضد تميم، فحاصروا المهدية، فأرسل تميم إلى حلفائه من الأعراب من قبيلة رياح وهم فى خصومة دائمة مع قبيلة الأثبج، وبالفعل قام بمحاصرتهم وهزيمتهم هزيمة نكراء[3].

واستولى جيش تميم على القيروان، وقام بمحاصرة قابس وصفاقس سنة 479هـ/ 1086م، وفى سنة 481هـ/1088م اجتمع الروم فى 400 قطعة وأعانهم الفرنج وأخربوا ونهبوا وملكوا مدينة زويلة وهى بالقرب من المهدية،[4] وتسبب صراع تميم الدائم مع جزر البحر المتوسط إلى إضعاف قوته ووضع حدًا لحملاته العسكرية والتى كان آخرها سنة 499هـ/ 1105م ضد جربة[5] ولم تحقق أدنى نجاح[1].

الوادى، بينها وبين قرطاجنة عشرة أميال، وبينها وبين القيروان أربع مراحل، وكان اسمها فى القديم (ترشيش)، واسمها تونس مشتقة من التانيس، كما سميت بالخضراء لكثرة زيتونها، أو لأن خيراتها كثيرة؛ وتونس من أطيب مدن المغرب الأدنى وأطيبها ثمرة وأنفسها فاكهة، وجامعها رفيع البناء مطل على البحر، قد بنى فى عهد زيادة الله بن الأغلب كما بنى سورها وقصبتها. وبتونس أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة وفنادق كبيرة رفيعة وحمامات، ودورها رخام. وتونس دار علم وفقه، فينسب إليها العديد من العلماء مثل أبو الحسن بن زياد التونسى ومحرز بن خلف. لمزيد من التفاصيل انظر: الكرخى: مصدر سابق، ص38؛ ابن حوقل: مصدر سابق، ص73 وما بعدها؛ البكرى: مصدر سابق، ص33 - 37؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص120 وما بعدها؛ ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص6 - 10؛ د/ نقولا زيادة: مرجع سابق، ص124.

(1) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص299.
(2) المصدر السابق، ج1، ص299 ، 315.
(3) التجانى: مصدر سابق، ص331
(4) ميخائيل أمارى: "المكتبة العربية لصقلية، نصوص فى التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع"، دار صادر، بيروت، 1857م، ص454.
(5) جربة: هى جزيرة تقع شرقى قابس، بها بساتين كثيرة وزيتون ومشهورة بالزيت والزبيب والرطب، وقد ذكر البكرى أن أهلها مفسدون فى البر والبحر وهم خوارج. لمزيد من التفاصيل انظر: البكرى: مصدر سابق، ص19؛ ياقوت الحموى: معجم

وتوفى تميم بالمهدية سنة 501هـ/ 1108م، عن عمر يناهز تسعة وسبعون سنة، وولايته كانت ما يقرب من ستة وأربعون سنة قام فيها بمحاولة استعادة دولة زيرى إلى عهدها، ولكنه لم يستعد منها سوء صفاقس وسوسة، أما تونس فكانت تحكم فعليًا من قبل بنى خراسان، والقيروان كانت خاضعة فعليًا لحلفائه من القبائل الهلالية من بنى رياح[2].

تولى يحيى بن تميم (501 - 509هـ/ 1108 - 1116م) الحكم وعمره ثلاثًا وأربعين سنة، وكانت سيرته فى الناس طيبة كما وصفه الشعراء والمؤرخون، فقد كان كريمًا عادلًا رحيمًا بالفقراء حريصًا على رعيته، وقد ساس العرب فى بلاده فهابوه وأطاعوه[3]، ووجه يحيى كل اهتمامه إلى البحر، فأولى أسطوله عناية فائقة، وزاد عدد السفن وكثر من الغزو في البحر عن طريق غارات خاطفة ومناوشة السفن التجارية النصرانية بلا انقطاع[4]، كما أخضع صفاقس بعد ثورتها ضد ابنه أبو الفتوح وقضى على القلاقل فيها[5] كما تعرض لمحاولة اغتيال اختلفت الروايات فى سردها ولكنه نجا منها[6]. وتوفى فجأة فى عيد الأضحى سنة 509هـ/1116م بعد فترة ولاية قصيرة استمرت لما يقرب من تسع سنوات[7]، واتصف بعدله ورحمته بالضعفاء والفقراء، وكان محبًا لأهل العلم والفضل عالمًا بالأخبار وأيام الناس والطب[8].

ارتقى على بن يحيى بن تميم (509 - 515هـ/ 1116 - 1121م) العرش وعمره ثلاثين عامًا، وكالعادة تلقى التعازى فى موت أبيه والتهانى والبيعة، وخلع على رجال الدولة ومدحه الشعراء ووصفته المصادر بأنه كان كريمًا جوادًا[9]، وتمكن من إخضاع جربة وتونس ومغراوة كما قام بعدة عمليات عسكرية ضد قابس وحاكمها الأمير العربى رافع سنة 511هـ/1117م، فاستقوى الأخير بالروم والحاكم

البلدان، ج2، ص118؛ د/ نقولا زيادة: مرجع سابق، ص90.
(1) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص303.
(2) ابن الأثير: مصدر سابق، ج9، ص120؛ أبو الفداء: مصدر سابق، ج1، ص301.
(3) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص304.
(4) ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص88.
(5) ابن الأثير: مصدر سابق، ج9، ص138.
(6) ابن خلكان: مصدر سابق، ج6، ص211؛ ابن الخطيب: مصدر سابق، ج3، ص80 ، 81.
(7) ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص88.
(8) ابن الأثير: مصدر سابق، ج9، ص161.
(9) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص306.

الصقلى رُجار الثانى Ruggero[1]، ولكن كان النصر حليف على بن يحيى حيث حاصر قابس حتى سقطت فى يده[2]، كما قام بعدة حملات عسكرية ضد القبائل المغراوية فى جنوب إفريقية وتمكن من إرجاع الأمن إلى نصابه، إلا أنه توفى متأثرًا بمرضه سنة 515هـ/ 1121م، وكان يبلغ من العمر ستة وثلاثون سنة[3].

تولى الحسن بن على بن يحيى بن تميم (515 - 543هـ/ 1121 - 1148م) الحكم وكان عمره اثنتى عشرة سنة وكان يكنى بأبى يحيى، ولصغر سنه تكفل بأمر دولته الخادم صندل ثم تبعه أبو عزيز موفق[4]، وحيكت المؤامرات بالأمير الشاب وإن كانت قد باءت بالفشل إلا أنها زادت من الاضطرابات وعدم الاستقرار بالبلاد، هذا إلى جانب توتر العلاقات بين بنى زيرى وصقلية والتى بدأت منذ عهد والده على والذى مات وهو يُعد العدة لقتال النورمان، واستولى النورمان على جزيرة جربة سنة 529هـ/1135م بعد أن دافع أهلها عنها وقاتلوا قتالًا شديدًا ومات منهم بشر كثير وغنم النورمان أموالها وسبوا نسائها[5].

جهز رُجار الثانى Ruggero أسطولًا عظيمًا بقيادة جرجى الأنطاكى إلى المهدية[6]، مستغلًا سوء الأوضاع الاقتصادية[7]، حيث أصابت البلاد مجاعة رهيبة منذ سنة 537هـ/1142م واستمرت لمدة خمس سنوات مما أدى إلى ظهور مرض الطاعون فأهلك العباد وفر العديد من أهل المغرب الأدنى إلى صقلية[8]. فجمع الحسن الناس من الفقهاء والأعيان وشاورهم فى الأمر، وكان الرأى على تسليم المدينة وحقن دماء المسلمين فى معركة خاسرة، فتسلم جرجى المهدية وزويلة، وكان ذلك فى سنة 543هـ/ 1148م، ثم سَيَّر أسطولًا للاستيلاء على

---

(1) رُجّار الثانى (بالإيطالية Ruggero): هو ثانى ملوك النورمان الذين انتزعوا صقلية من يد العرب فى القرن الخامس الهجرى، وقد جاء بعد موت أبيه رُجار الأول، وأهم ما يشتهر به هو محبته لأهل العلوم الفلسفية واستقدامه للجغرافى العربى الشهير الإدريسى (ت: 649ه/1251م) صاحب كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، وقد توفى رجار الثانى 553ه/1154م. لمزيد من التفاصيل انظر: الصفدى: مصدر سابق، ج3، ص72.

(2) التجانى: مصدر سابق، ص334.

(3) ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص89.

(4) ابن الأثير: مصدر سابق، ج9، ص207.

(5) التجاني: مصدر سابق، ص336.

(6) ابن الأثير: مصدر سابق، ج9، ص286.

(7) ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص89.

(8) ابن الأثير: مصدر سابق، ج9، ص350 وما بعدها.

سوسة وصفاقس ودخلوها بعد قتال شديد مع الأعراب المتحصنين بها، وبذلك أصبح رُجار الثانى Ruggero يسيطر على جميع سواحل المغرب الأدنى، بعد القضاء على نفوذ الحسن بن يحيى ليعلن نهاية دولة بنى زيرى[1].

أما الحسن فسار بأهله وأولاده وكانوا اثنى عشر ولدًا ذكرًا غير الإناث قاصدًا محرز بن زياد فلقيه وأقام عنده شهورًا ثم توجه إلى المغرب الأوسط عند ابن عمه يحيى بن العزيز صاحب بجاية الذى قابله مقابلة لا تليق به وأنزله فى أمكنة لا تليق به وبأهله، وضَّيق عليه حتى لا يكون بينه وبين عبد المؤمن بن على أى اتصال، وأقام الحسن عنده حتى نزل عبد المؤمن[2] إلى المغرب الأوسط سنة 547هـ/ 1151م[3]، وتم للموحدين فتح المغرب الأوسط سنة 548هـ/1152م، واتجه عبد المؤمن لفتح المغرب الأدنى عام 555ه/1159م مصحوبًا بالحسن بن على، واستولى على المهدية وأقام الحسن بن على بها إلى أن توفى عبد المؤمن سنة 558هـ/ 1163م، وأجلاه خليفته من المهدية سنة 566هـ/ 1170م، فخرج الحسن بأهله وولده وحاشيته إلى المغرب الأقصى، ومات فى عامه هذا فى مكان يعرف بتامسنا جنوب الرباط[4].

ونجد أن هذا الأمير التعيس الحظ لم يتمكن من إنقاذ دولته بعد الهجمات المتتالية من النورمان من ناحية وإنهيار الأوضاع الاقتصادية بالبلاد من ناحية أخرى، إلا أن التفكك الحقيقى وضعف النفوذ للدولة الزيرية قد بدأ مع غزوة بنى هلال والفوضى العارمة التى تسببوا بها فى البلاد، بعد ما بلغ ملوكها ملكًا عظيما فيصفهم ابن أبى دينار بأنهم بلغوا

(1) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص313.
(2) عبد المؤمن بن على: زعيم دولة الموحدين، بدأت خلافته سنة 542هـ/1174م، أى بعد وفاة محمد بن تومرت مؤسس الدولة، وكان عبد المؤمن بن على هذا أول خليفة بعد وفاة المهدى بن تومرت، فأتم افتتاح المغرب من يد المرابطين وقضى على دولتهم بافتتاح مراكش، ثم افتتح الأندلس من يد المرابطين وحلفائهم، وتوفى فى رباط سلا سنة 558هـ/1163م وهو فى طريقه إلى الأندلس، واستمرت الدولة الموحدية بعده حتى سنة 668ه/1269م. لمزيد من التفاصيل انظر: الغبرينى (أبو العباس الغبرينى أحمد بن أحمد بن عبد الله ت:644هـ/ 714هـ): "عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية"، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: الثانية، 1979، هامش ص28.
(3) ابن الأثير: مصدر سابق، ج9، ص372.
(4) ابن القطان المراكشى (أبى محمد حسن بن على بن محمد بن عبد الملك الكتامى، ت: منتصف القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى): "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان"، تحقيق: د/ محمود على مكى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الثانية، هامش ص78.

رتبة السلاطين وكان لهم ناموسًا عظيما وعساكر عديدة، وبلغوا ما لم يبلغوا بنو حفص وإن كانوا لم يخطب لهم بلقب أمير المؤمنين مثل بنو حفص. وكانوا أهل نجدة وشجاعة وإحسان ومعروف، وتعتبر دولتهم هى أول دولة مغربية خالصة يقيمها البربر الذين استعربوا وأصبحوا عضوًا أساسيًا فى جماعة العروبة والإسلام، وبذل أمرائها جهدًا مشكورًا فى تنظيم البلاد وحكمها، وكانوا حريصين دومًا على التمسك بالدين واحترام العلماء، كما كانوا موضع احترام ملوك النورمان، إلى أن حطمت الغزوة الهلالية قواهم واستولوا على معظم بلادهم[1]، وعلى كلٍ فهذه سُنة الله فى خلقه - تذهب الدول وتبقى مآثرها خالدة - وسوف نتناول ثقافة هذه الدولة ومدى ازدهارها بشيء من التفصيل بعون الله وتوفيقه، ونبدأ بالعوامل التى أدت إلى هذا الازدهار، والأسباب الرئيسية فى هذا التطور العلمى والثقافى.

(1) المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس: ص93؛ د/ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص176 وما بعدها.

الفصل الأول

عوامل الازدهار الثقافى فى المغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية

- **أولًا: الموقع وأهميته**
- **ثانيًا: الرخاء الاقتصادى**
- **ثالثًا: تشجيع الأمراء والولاة للآداب والعلوم**
- **رابعًا: الرحلة فى طلب العلم**

ازدهرت الحياة الثقافية فى عهد بنى زيرى وأسهمت عدة عوامل فى ذلك، وتعددت هذه العوامل وتباينت فى مدى إسهامها فى ازدهار النشاط الثقافى، فكان الموقع وأهميته أول هذه العوامل، كما ساعد الرخاء الاقتصادى فى التطور الثقافى والحضارى، هذا إلى جانب تشجيع أمراء الدولة الزيرية وولاتهم للعلم والعلماء، وأخيرًا كانت الرحلة فى طلب العلم من العوامل الهامة فى التطور الثقافى فى بلاد المغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية ونبدأ بالحديث عن دور الموقع الجغرافى وأهميته فى هذا الازدهار.

أولًا: الموقع وأهميته:

أتاح موقع مدن المغرب الأدنى المتوسط بين أقطار العالم الإسلامى فرصة مرور العلماء والأدباء والمشايخ إلى الوفود إليه من بلاد المغرب الأقصى والأندلس، مما دفع الطلاب للتزود من العلم والالتقاء بكبار العلماء فنهلوا من علومهم، كما التقى العلماء الوافدون مع العلماء والأدباء المحليين مما أعان على تبادل الآراء والأفكار، وكان من بين أسباب تلك الرحلات أداء فريضة الحج فكانت بعض المدن فى المغرب الأدنى مثل أجدابية وتونس وقابس وصفاقس وغيرها مكانًا لاستراحة الحجيج، والإقامة بها وقتًا للتزود بما يحتاجونه للسفر فأتاح ذلك مرور بعض العلماء والزهاد من هذه المدن، وإقامتهم بها فكانوا يتدارسون العلم ويتبادلون الأفكار فى شتى الفنون[1].

وكان ركب الحُجاج المغاربة والأندلسيين يخرج إلى مدينة صفاقس ومنها يتجه إلى مدينة طرابلس فيمر الركب ما بين قابس وطرابلس بزوارة[2] وولول[3] وتليل[4] وزواغة[1] وصبرة القديمة،[2] ثم يمر بقرية

(1) صلاح عثمان أحمد عثمان: "الحياة الاجتماعية والثقافية فى برقة وطرابس منذ القرن الثالث الهجرى وحتى منتصف القرن الخامس الهجرى"، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2003م، ص231.

(2) زوارة: قرية كبيرة تقع على الساحل وتسمى أيضًا (كوطين). للمزيد من التفاصيل انظر: رحلة التجانى، مصدر سابق، ص210؛ إتورى روسى: "ليبيا منذ الفتح العربى حتى سنة 1911"، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسبى، مكتبة الإسكندرية، توزيع: الدار العربية للكتاب، ص253.

(3) ولول: هى قرية مشابهة لقرية زوارة، وتبعد عنها حوالى عشرون ميلًا، فهى منتهى أرض زوارة، وسميت بذلك لأن أقوامًا من البربر يعرفون ببنى ولول نزلوا بها فعرفت بأرض بنى ولول، لمزيد من التفاصيل انظر: رحلة التجانى: مصدر سابق، ص210.

(4) تليل: هو حصن فى رأس تل مشرف على البحر، وأهلها بربر نكارة. للمزيد انظر:

تعرف بصرمان[3] وزنزور[4]، ومن طرابلس يستمر الركب في المسير متجهًا إلى الشرق فيمر ببعض المدن والقرى الساحلية مثل تاجورا[5] فكان أهلها يقوموا بضيافة الحجاج، فيقيم الركب بإحدى هذه القرى وقتًا كي يتزود بما يحتاجه من مؤن وزاد[6] ويبيتون في محارسها ويتدارسون العديد من الأمور والمسائل الفقهية من خلال حلقات النقاش ومجالس العلم، بل وكان يقوم العلماء والفقهاء خلال الرحلة بنسخ العديد من الكتب رغم المشقة والمعاناة للسفر[7].

وساعد الموقع على توطيد العلاقة بين مدن المغرب الأدنى ومدن المغرب الأقصى، حيث ظلت بلاد الشمال الإفريقي طوال فترات تاريخها الطويل مترابطة ومتواصلة فيما بينها من خلال الوحدة الجغرافية والطبيعية والتي كانت الأساس لهذا الترابط مما ساعد على سرعة التأثر سواء باللغة أو العلوم فأصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية للغالبية العظمى من سكان بلاد المغرب.

وكانت هناك عدة طرق ربطت مدن المغرب الأدنى بمثيلاتها بالمغربين الأوسط والأقصى وكذلك المدن الهامة بالأندلس، ومن هذه الطرق **الطريق الداخلي البري** وهو عبارة عن شبكة كبيرة من الطرق التي تربط المراكز والمدن المغربية تبدأ من مدينة فاس مركز التقاء هذه

المصدر السابق: ص211.

(1) زواغة: قرية على الساحل تقع على بعد 25 ميل غربي طرابلس، وهي أكبر قرية في ذلك الموضع، وبها نخل كثير. للمزيد انظر: المصدر السابق: ص211؛ إتوري روسي: مرجع سابق، ص253.

(2) صبرة القديمة: كانت في القديم قاعدة ذلك الموضع كله، استفتحها عمرو بن العاص رضي الله عنه، بعد افتتاحه لطرابلس وكانت قرية محصنة. للمزيد انظر: رحلة التجاني: مصدر سابق، ص212.

(3) صرمان، هي قرية لها غابة زيتون ممتدة، وبها قصر كبير. للمزيد انظر: المصدر السابق، ص319.

(4) زنزور: قرية من قرى طرابلس تقع على بعد اثني عشر ميلًا غربي طرابلس، لها غابة متسعة الأقطار. انظر: إتوري روسي: مرجع سابق، ص253.

(5) تاجورا: هي قرية كبيرة محصنة وعامرة من قرى طرابلس. للمزيد انظر: رحلة التجاني: مصدر سابق، ص307.

(6) المالكي (أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، ت: 4هـ/10م): "رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسَّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم"، تحقيق: بشير البكوش، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج2، ص383.

(7) القاضي عياض: مصدر سابق، ج5، ص293؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص10 - 13؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص427 - 429.

الشبكة من الطرق التى تسير فى قرى كثيرة عامرة حتى يصل إلى مدينة كُرت ومنها نهر ردات ثم مدينة البصرة (أو الحمراء) وبها كثير من العيون والآبار العذبة، ويستمر الطريق إلى قصر نهاجة ثم العديد من القرى المتصلة على نهر زلول حتى يصل إلى قلعة ابن خروب ثم طنجة وباقى مدن إفريقية[1].

كما وُجِد طريق آخر عرف **بطريق الجادة**[2] وهو طريق ساحلى يبدأ من سبتة وبعض المناطق الساحلية بالمغرب الأقصى ثم يتجه إلى بعض المدن الساحلية ثم يجتاز وهران وتنس ويواصل مسيره إلى جزائر بني مزغنة ثم مرسى الخرز ثم يمر على مدينة باجة ومنها يصل إلى طبرقة ثم تونس، ومن تونس يستمر الطريق إلى سوسة البحرية وبعدها إلى المهدية ثم يسير الطريق إلى مدينة صفاقس ومنها يتجه إلى مدينة طرابلس فيمر الركب ما بين قابس وطرابلس بعدة مدن منها مدينة صبرة[3]، ومن طرابلس يستمر الركب فى المسير متجهًا إلى الشرق[4].

وقد سلك العلماء وطلبة العلم هذه الطرق، سواءً فى رحلتهم لطلب العلم أو التجارة أو لأداء فريضة الحج، فنجد كل من **أحمد بن حذافة، وبشار بن بركانة** قد قاما برحلة الحج فى عام واحد، وهما من فقهاء بصرة المغرب الأقصى، وسمعا من ابن اللباد وفضل بن سلمة[5]. فقد كانت مدن المغرب الأدنى وخاصة القيروان هى المركز الرئيسى للعلم والثقافة بالنسبة للمغرب الأقصى، وهى المنارة العلمية الأولى التى امتد إشعاعها إلى هذه البلاد، ولذلك لم يكن غريبًا أن نجد أبناء المغرب الأقصى يقصدون القيروان للتزود من العلوم والمعارف بها والتلقى عن علمائها، والمشاركة فى الحياة الفكرية، ومنهم من أكمل رحلته فى طلب العلم إلى المشرق فيتلقى العلم والمعارف ثم يعود ويستقر بها.

ومن هؤلاء العلماء **أبو عمران الفاسى** (ت: 430هـ/1039م) أصيل فاس، والذى استوطن القيروان وتفقه بها على يد الشيخ أبى الحسن القابسى وغيره، ثم رحل إلى المشرق، وأخذ بمصر القراءات على أبى الحسن عبد الكريم بن أحمد ابن أبى جدار، وأخذ بمكة عن أبى اسحاق عبيد الله السرقسطى، وقد حج حجات كثيرة ثم انصرف إلى القيروان

---

(1) البكرى: مصدر سابق، ص109 - 111.
(2) المصدر السابق، ص84 - 86.
(3) التجانى: مصدر سابق، ص210 وما بعدها.
(4) د/ حسن خضيرى أحمد: "علاقات الفاطميين فى مصر بدول المغرب (362 - 567هـ/ 973 - 1171م)"، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط: الأولى، ص96.
(5) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص149.

فأقرا بها القرآن مدة، ودرس الفقه واسمع الحديث وتفقه عليه جماعة كثيرة[1].

ورحل أيضًا **أبو جعفر بن أبى جمرة** (ت: 444هـ/1052م) - أحمد بن وليد بن محمد بن وليد بن مروان - إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وكان من بيت علم ودين فروى عن أبيه وتفقه به وبغيره[2].

كما انتقل بعض العلماء من المغرب الأدنى إلى مدن المغرب الأقصى فهذا **الخُشنى** (ت: 371هـ/981م) الذى تفقه بالقيروان على أحمد بن نصر وأبى بكر بن اللباد وأبى الفضل عباس الممسى وغيرهم، وسمع بالأندلس من ابن أيمن وقاسم بن أصبغ وغيرهما، ودخل سبتة فحبسه أهلها عندهم وتفقه عليه قومٌ منهم[3].

كذلك استقر **أبو جعفر الداودى** (402هـ/ 1111م) - أصيل طرابلس - بالمغرب الأوسط، وقد كان عالمًا وفقيهًا مشاركًا فى الحديث والنظر واللسان، أصّل كتابه فى شرح الموطأ وكان له رحلات عدة، واستقر به المقام بتلمسان وظل بها حتى توفى[4]. وهكذا شكلت شبكة الطرق ما بين مدن المغرب الأدنى والمغربين الأوسط والأقصى عاملًا هامًا لتنقل العلماء بين كافة مدن المغرب الإسلامى مما ساعد على توطيد وازدهار العلاقات الثقافية بين مدنه.

كما ساعد الموقع أيضًا على توطيد العلاقات بين مدن المغرب الأدنى وبلاد الأندلس الذى يواجه بشواطئه شواطئ بلاد المغرب البوابة الرئيسية للمشرق وعلومه فكان لزامًا على أبناء الأندلس المرور بمدن المغرب الأدنى عند رحلاتهم إلى المشرق سواء كانت للحج أم الدراسة،

---

(1) الحميدى (أبى عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله الأزدى ت: 488ه/1095م): "جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس"، تحقيق: إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصرى، القاهرة، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ج2، ص537؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص159 - 164.

(2) ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص231.

(3) المالكى: مصدر سابق، ج1، المقدمة، ص15م وما بعدها؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص81 - 83؛ الذهبى: العبر فى خبر من غبر، ج2، ص112؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص212 وما بعدها؛ هذا وقد وجد اختلاف فى عام وفاته هل هو عام 361 أم 371ه، ويرجح العلامة حسن حسنى عبد الوهاب عام 371ه، وقد أوضح ذلك فى كتابه العُمُر، ج2، ص397.

(4) القاضى عياض (أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتى اليحصبى، ت: 544هـ/1149م): "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1418هـ - 1998م، ج1، ص18.

وكانت الرحلات المتتابعة فى هذه الفترة من كافة مدن الأندلس وتتجه إلى المرية بالأندلس ثم إلى المناطق الساحلية بالمغرب الأقصى مثل سبتة ثم تأخذ الرحلة الطريق البرى أو الطريق الساحلى الذى يبدأ من سواحل المغرب الأقصى ويتجه مارًا بالمغرب الأوسط حتى يصل إلى بجاية ثم تونس ثم يستمر إلى المشرق،[1] فساعد هذا الطريق بشكل رئيسى فى رحلات الأندلسيين إلى المشرق وممن رحل إلى المشرق من الأندلس **عبد الله بن محمد بن أمية الأنصارى** (ت: 372ه/ 982م) - يعرف بابن غلبون - من طليطلة ورحل إلى المشرق وسمع بالمغرب الأدنى من أبى عبد الله محمد بن أبى منظور القروى[2]. وكذلك **عباس بن عمرو بن هارون الكنابِى الوراق** (ت: 379ه/989م)، من أهل صقلية يكنى أبا الفضل، خرج من صقلية إلى القيروان، كان عالمًا بالكلام وبصيرًا بالرد على أصحاب المذاهب[3].

ورحل **عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصارى** - فقيه محدث زاهد - من الأندلس قبل 380ه/990م فتفقه بالقيروان، وسمع من أبى محمد بن أبى زيد وطبقته، ثم أكمل رحلته للمشرق، ومات ببيت المقدس[4]. وسمع **عبد الرحمن بن يحيى بن محمد** على أبى الحسن على بن مسرور الدباغ بإفريقية، وحدَّث عنه أبو عمران الفاسى فقيه القيروان[5].

كما رحل **عيسى بن موسى بن أحمد بن يوسف الأموى** (ت: 386ه/ 996م) من تطيلة إلى المشرق فسمع بالقيروان من أبى قاسم بن الصقلى وغيره[6]. ومثله فى ذلك **حسن بن وليد بن نصر** (ت: 390ه/ 1000م) من قرطبة، يعرف بابن العريف، كان نحويًا عالمًا بالعربية رحل إلى المشرق مع بداية دولة بنى زيرى، وسمع بمصر وإفريقية ثم عاد إلى الأندلس[7]. وقدم **الوليد بن بكر بن مخلد أبو العباس الغمرى** (ت: 392ه/ 1002م) من أهل سرقطسة إلى إفريقية، وسمع بأطرابلس المغرب على أبى الحسن على بن أحمد المعروف بابن زكرون، وأكمل

(1) محمد الفاسى: "ابن رشيد الفهرى ورحلته إلى المشرق"، مجلة دعوة الحق، العدد الثانى، السنة الثالثة، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، ربيع الثانى 1379 - نوفمبر 1959م، ص33 وما بعدها.
(2) ابن الفرضى: مصدر سابق، ج1، ص196 وما بعدها.
(3) المصدر السابق، ج1، ص509.
(4) الحميدى: مصدر سابق، ج2، ص420.
(5) المصدر السابق، ج2، ص443.
(6) ابن الفرضى: مصدر سابق، ج1، ص275 وما بعدها.
(7) المصدر السابق، ج1، ص100.

رحلته إلى المشرق لطلب العلم[1].

كما وفد **يحيى بن اسحاق بن يحيى الليثى** (ت: 393هـ/ 1003م) - من أهل قرطبة يعرف بالرقيعة - إلى إفريقية وسمع من يحيى بن عمر[2]. ورحل إلى إفريقية فى طريقه إلى المشرق **أحمد بن محمد بن عبيدة الأموى** (ت: 400هـ/1009م)، يعرف بابن ميمون وهو من أهل طُليطلة، سمع بها وبقرطبة، وكانت رحلته إلى المشرق سنة 380ه/990م، فحج وسمع بمكة والمدينة والقلزم ومصر، وفى طرابلس الغرب سمع من أبى جعفر المؤدب وبالقيروان من أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد البكرى والذى يعرف بابن الصقلى، وأبى بكر بن عزرة، وأبى محمد بن أبى زيد[3].

كما رحل **عبد الرحمن بن عثمان بن ذنين ابن بهلول الصدفى** (ت: 403هـ/1012م)، من أهل طليطلة إلى المشرق سنة 381هـ/991م، فحج ولقى العلماء بمكة ومصر وكذلك بالقيروان لقى أبا محمد بن أبى زيد وأبا جعفر بن دحمون وغيرهما[4]. وسمع بالقيروان **موسى بن عيسى بن أبى حاج** (ت: بعد420هـ/1029م)، من أبى الحسن على بن محمد القابسى وغيره، استوطن القيروان ومات بها[5]. وكذلك **هشام بن سعيد الخير بن فتحون أبو الوليد الكاتب** (ت: بعد430ه/ 1039م)، محدث جليل وفى رحلة الحج سمع فى طريقه بالقيروان، ومن شيوخه أبو عمران الفاسى وأبو اسحاق إبراهيم المكناسى وأبو عبد الله محمد بن عباس المعروف بابن الخواص صاحب أبى محمد عبد الله بن أبى زيد[6].

أما المحدث **عثمان بن أبى بكر بن حمود الصدفى أبو عمرو السفاقسى**، فقد رحل إلى العراق وغيرها بعيد 420هـ/1029م، وعرف كثيرًا من أخبار البلاد ومن فيها من أهل الرواية والعمل، ووصل المغرب 436هـ/1044م، ثم الأندلس ثم عاد إلى إفريقية، ومات مجاهدًا فيها[7]. **ومروان بن محمد الأسدى أبو عبد الملك البونى** (ت: قبل440هـ/ 1048م)، أصله من الأندلس ورحل إلى القيروان وطلب العلم بها، ثم استقر ببونة من بلاد إفريقية فسكنها ونُسب إليها وبها مات، وكان فقيهًا

(1) الحميدى: مصدر سابق، ج2، ص576 - 578.
(2) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص160 وما بعدها.
(3) القاضى عياض: مصدر سابق، ج1، ص54 - 57.
(4) المصدر السابق، ج1، ص405 وما بعدها.
(5) المصدر السابق، ج2، ص537 وما بعدها.
(6) المصدر السابق، ج2، ص582 وما بعدها.
(7) القاضى عياض: مصدر سابق، ج2، ص481.

محدثًا، وله كتاب كبير شرح فيه الموطأ[1].

وأقام بإفريقية **عبد الملك بن سليمان الخولانى أبو مروان** (ت: قبيل 440هـ/1048م)، وهو محدث سمع بالأندلس وإفريقية ومصر ومكة[2]. ومنهم **عبد الملك بن زيادة الله بن على بن حسين التميمى** (ت: 456هـ/1064م)، من بيت علم وأدب، روى بقرطبة، وكان له رحلتان إلى المشرق، كتب فيهما عن جماعة من أهل العلم بمكة مصر والقيروان، وكان له عناية تامة بالعلم والحديث، كما برع فى الأدب والشعر[3]. و**أحمد بن سعدى الإشبيلى**، من اشبيلية، رحل إلى المشرق حوالى 380هـ/990م، فلقى أبا محمد بن أبى زيد بالقيروان، واستقر بالمهدية واستوطنها ومات بها ودفن بمقبرة المنستير[4].

وقد ساعد الموقع أيضًا على استمرار العلاقات التجارية بين إفريقية والأقطار المحيطة بها على مر العصور عن طريق شبكة الطرق البرية والبحرية، وإن كانت التجارة قد تأثرت بالأحوال السياسية وهجرة القبائل العربية إلا أن الحركة التجارية قد استمرت، فهذه وثائق الجنيزة [5] تعطينا الكثير من المعلومات عن الأسفار ونقل البضائع عبر هذه الطرق الساحلية والبرية، مما يدل على ازدهار التجارة بين البلدين فى هذه الفترة، وقد وفد العلماء مع هذه القوافل مما كان له أكبر الأثر فى الإسهامات الثقافية والتبادل الفكرى بين التجار الذين كانوا دائمًا سببًا فى نشر الإسلام وعلومه، فكان التجار المسلمين دائمًا ما يهتموا بالمسائل الفقهية والمجادلات والمناظرات الفقهية، خاصة وأن الكثير من تجار المسلمين كانت رحلاتهم لطلب العلم والتجارة معًا، فحرصوا على التزود

---

(1) المصدر السابق، ج2، ص546.
(2) المصدر السابق، ج2، ص450 وما بعدها.
(3) المصدر السابق، ج1، ص456 - 459؛
(4) المصدر السابق، ج1، ص71.
(5) وثائق الجنيزة: هى مجموعة وثائق تم العثور عليها فى حجرة مظلمة فى سينا جوج (معبد اليهود) بالفسطاط، وكذلك على مجموعة وثائق عثر عليها فى مقبرة البساتين القريبة من القاهرة، وكلمة جنيزة كلمة عبرية مشتقة من الكلمة الفارسية (جنك) بمعنى خزانة، وفى العصور الوسطى أطلقت كلمة جنيزة على تلك الحجرة التى كان اليهود يخزنون فيها أوراقهم الخاصة من خطابات وعقود وإيصالات وخلافه. لمزيد من التفاصيل انظر: الهادى روجى إدريس: "الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية فى عهد بنى زيرى من القرن 10 إلى القرن 12م"، نقله إلى العربية حمَّادى الساحلى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1992، ج2، ص377 - 379؛ Goitein, S. D.: Jews and Arabs. Their Contacts Through the ages, New York, 1955. Mediterranean Society, PP, 1 - 28.

بالمعرفة وتحصيل العلوم من خلال مرورهم بالبلدان الإفريقية خاصة وأن هذه المدن كانت قبلة لتلقى العلوم الدينية فى ذلك الوقت، فكانوا يحملون معهم التجارة الدينية والدنيوية فى ركب واحد[1].

ثانيًا: الرخاء الاقتصادى:

المال هو مادة الحياة وبه يتحدد مستوى معيشة الأفراد، ويتعين ثقل الدول وقوتها من خلال اقتصادها ومدى قوته أو ترديه، وبالتالى يتم قياس مستوى المعيشة للفرد ما بين مرتفع أو متدنى. ومن المعلوم أن أبهة الملك تزيد بزيادة المستوى الحضارى، وفى هذا السياق يتحدث ابن خلدون عن ملك المعز بن باديس: "واستمر ملك المعز بإفريقية والقيروان وكان أضخم ملك عرفه البربر بأفريقية، وأترفه وأبذخه"[2]. ويربط ابن خلدون بين ضخامة الحضارة وكثرة المال، وأن الدولة هى السوق التى تنفق فيه أسباب الحضارة، وتتضح مظاهر هذه الحضارة في الاحتفالات سواء كانت شعبية كالختان والاحتفالات الدينية أو اجتماعية كالزواج فى البيت الزيرى[3]، وأحوالهم فى الولائم والجنائز والأعطيات. وكذلك تظهر فى مراسم استقبال الوافدين من العلماء والسفراء وكبار رجال الدولة فيتطلب ذلك إقامة المواكب وتقديم الهدايا والأموال والتحف والدواب[4].

وتكررت مظاهر الترف والرخاء الاقتصادى بالبيت الزيرى خلال عهد أمراء البيت الزيرى منذ عهد المنصور بن بُلكين عام 377ه/ 987م، ومرورًا بعهد باديس بن المنصور (386 - 406ه/ 996 - 1016م)، حتى وصلنا إلى قمة الرخاء الاقتصادى خلال حكم المعز بن باديس (406 - 454ه/ 1016 - 1062م)، فكانت مظاهر البذخ والبذخ واضحة فى كل مناسبات البيت الزيرى سواء كانت زواج أو وفاة أو غير ذلك بما تحتويه من جواهر وذهب وأحجار كريمة، واستعراضات للفرسان، دلت على مدى قوة الدولة وازدهارها وحضارتها[5].

---

(1) أ/ نجيب زبيب: "الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس"، تقديم المستشار/ أحمد ابن سودة، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1415ه - 1995م، ص66.
(2) العبر، ج6، ص210.
(3) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص170.
(4) سعد زغلول: مرجع سابق، ج3، ص412.
(5) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص82 وما بعدها؛ جورج مارسيه: مرجع سابق، ص213 وما بعدها.

ويرجع الرخاء الاقتصادى لدولة بنى زيرى إلى تنوع موارد البلاد بفضل الأموال الطائلة التى ترد على بيت المال من الزراعة والتجارة والصناعة، وكذلك الهدايا التى كانت تشكل مصدرًا من مصادر الدخل سواء كانت آتية من الخلافة الفاطمية فى مصر أو من السودان وملوك فيما وراء الصحراء، أو جباية الضرائب وغيرها من مصادر الدخل[1].

وإن كانت المصادر لم تشر إلى جباية الضرائب فى الدولة الزيرية إلا النذر اليسير، إلا أنه ومن الواضح أن الضرائب المختلفة وضرب السكة وغيرها كانت تمثل مصدرًا من مصادر الدخل بدولة بنى زيرى، ومنها ما أورده ابن خلدون من أن: "أعشار بعض أعمال الساحل بناحية صفاقس على عهد المعز، كان يبلغ 50 (خمسين) ألف قفيز"[2]، كما أمدتنا كتب الجغرافية بمعلومات مفيدة عن الثروات المختلفة بالمغربين الأدنى والأوسط والتى أدت إلى الاستقرار السياسى للدولة الزيرية على مدار حكمها[3]. كما شكلت مصادرة الأموال مصدرًا من مصادر الدخل، كما حدث للوزير محمد بن الحسن الذى قتل سنة 413ه/1022م، حيث كان يجبى الأموال دون أن يرفع منها شيء لبيت المال، فزادت ثروته وظهرت عليه، حتى تم قتله ومصادرة أمواله، وكذلك كان الحال مع القائد سيف الملك وعباد بن مروان سنة 441ه/1049م[4]. وتعددت مصادر الدخل فى الدولة الزيرية:

1- الثروات الزراعية:

تتميز دولة بنى زيرى بأنها كانت تضم أراضى بالمغربين الأدنى والأوسط قبل ظهور أبناء عمومتهم من بنى حماد، فاستفاد أمراء البيت الزيرى من تقوية اقتصادهم وازدهاره من خلال الاهتمام بالزراعة واستغلال المقومات الطبيعية لهذا النشاط المتمثلة فى خصوبة التربة، ووفرة المياه فى العيون والجبال الشامخة التى تنسال مياهه بين صخوره، وإحاطة المياه فيما يعرف بالمواجل وذلك لعدم انتظام سقوط الأمطار اتجه أهل المغرب الأدنى لحفظ المياه فى المواجل[5] للاستفادة بها، لذلك

---

(1) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص169؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج2، ص380.
(2) العبر، ج6، ص210.
(3) سعد زغلول: مرجع سابق، ص412.
(4) المرجع السابق، ص405 - 412.
(5) المواجل: هى عبارة عن أحواض مكشوفة من الحجر وتُغطى من الداخل بالملاط الشديد الصلابة، وكانت توجد بالعديد من المدن مثل بجاية وقابس وغيرها. لمزيد من التفاصيل انظر: المالكى: مصدر سابق، ج1، ص357 وما بعدها؛ ابن منظور (محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصارى الرويفعى الإفريقى،

انتشرت البساتين التي عرفت بعمرانها وجودة ثمارها، واستخدمت الأشجار فى استخراج أجود أنواع الخشب(1).

وتنوعت الثروات الزراعية فى الدولة الزيرية فى إنتاج كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية مثل القمح والزيتون والبلح، واشتهرت باجة(2) منذ القدم بإنتاج القمح، وكان التصدير للقمح فى بعض الأوقات يفوق حمولة ألف دابة يوميًا دون أن يؤثر على الأسعار، كما انتشرت أشجار الزيتون فيحدثنا البكرى عن ذلك قائلًا: "ومن عجائب القيروان أنهم يحتطبون الدهر من زيتونها ليس لهم محطبة غيره، وإن ذلك لا يؤثر فى زيتونها ولا ينقص منه"(3).

أما عن ثروة بلاد الجريد فهي "النخيل" فكانت توزر تخرج منها أكثر من ألف بعير من التمر والنخيل فى اليوم الواحد، كما عرفت قابس بإنتاج جميع الفواكه(4). هذا إلى جانب زراعة قصب السكر والقطن الذى كان يزرع فى قرطاج وواد سهر بالمسيلة(5).

كما تنوعت الثروة الحيوانية فانتشرت بها من الدواب الخيول العِرابُ والإبل والبغال والحمير والبقر والغنم والمعز، وكذلك النعام والغزال وغير ذلك(6). هكذا كانت بلاد المغرب الأدنى في عهد الدولة الزيرية غنية بالمنتجات الزراعية، ويدل على ذلك ما تحدثت عنه المصادر بأن الأوزنة عندهم كانت أزيد عن مثيلاتها بالبلاد الأخرى، كما أن السكة كانت من موارد البلاد الرئيسية ولم تتأثر بقطع العلاقة مع الفاطميين السكة عند قطع العلاقة مع الفاطميين لم يؤثر على مستوى التعامل فى أسواق البلاد(7).

وقد أعانت الثروة الزراعية والحيوانية فى توفير كافة الاحتياجات

ت: 711هـ/ 1311م): "لسان العرب"، دار المعارف، القاهرة، مادة مجل، ص4142.

(1) البكرى: مصدر سابق، ص62 - 67.
(2) باجة: هى مدينة كبيرة أزلية أسسها الرومان على منحدر جبل فى الطريق الرئيسية المؤدية إلى قسطنطينة، عليها سور حجارة قديم، وهى قريبة من مدينة تونس، متوفر بالمدينة جميع أرباب الصنائع خصوصًا النساجون، وهى شاسعة الأطراف وافرة الإنتاج. لمزيد من التفاصيل انظر: ليون الإفريقى: مرجع سابق، ص66.
(3) البكرى، مصدر سابق، ص26.
(4) البكرى، المصدر السابق، ص17 ، 48.
(5) ابن حوقل: مصدر سابق، ص86.
(6) العُمُرى: مصدر سابق، ج4، ص142.
(7) البكرى: مصدر سابق، ص85 - 91.

اللازمة للكتابة والتعليم مثل الدفاتر والرقوق والحبر وغيرها من الأدوات التى هي فى الأصل عبارة عن منتجات زراعية أو حيوانية، مما كان له أكبر الأثر فى التطور والازدهار التعليمى والثقافى.

2- النشاط الصناعى:

بالإضافة إلى الثروات الزراعية التى أسهمت فى دعم النشاط العلمى فإن هناك بعض الحرف والصناعات أسهمت فى ازدهار الحركة العلمية فى بلاد المغرب الأدنى فى العهد الزيرى منها.

- **صناعة الورق والأحبار:**

استغل الزيريون النشاط الزراعى في دعم النشاط الصناعى، فقد تأكد من كتاب "عمدة الكتَّاب وعدة ذوى الألباب" لمؤلفه الأمير المعز بن باديس أنه كان يوجد منظومة صناعية كاملة تتعامل بمنتهى الدقة والمهنية فى صناعة الورق وأدوات الكتابة والتجليد وكل ما يخص هذا الفن بكل تفاصيله، مما يدل على مدى تطور الوعى الثقافى وانتشاره، فنجد المؤلف يتحدث باستفاضة عن صناعة الأصباغ وأنواعها وألوانها، وعن الكتابة بالذهب والفضة والنحاس وصناعة ما يلزم لذلك، كما تحدث عن صناعة ما يمحى به الكتابة من الدفاتر والرقوق والكاغد، وصناعة التجليد[1]، وتعلُم أهل القيروان لصناعة ورق الكاغد ساعد على كثرة الكتب التى لا تزال نماذج قيمة منها موجودة فى المكتبة العتيقة بجامع القيروان.[2]

- **صناعة الخشب:**

كما كان الخشب المستخدم من النخيل والأشجار يستخدم فى صناعة المنابر والمقاصير الخشبية بالمساجد، فكان أمراء بنى زيرى يستخدموا المقصورة لأداء الصلاة فى الجامع بمعزل عن المصلين، وكانت تتميز بالفخامة والتجديد مثل مقصورة المعز بن باديس فى جامع القيروان، ويظهر فن النقش على الخشب فى تحكم بارع وعرفت الشبابيك المصنوعة من الخشب (المشربيات)[3]. هكذا استخدم الخشب فى بناء المساجد التى كانت تعد من دور العلم والثقافة.

- **النحاس والحلىِ والبرنز والمصابيح:**

(1) المعز بن باديس: مصدر سابق، ص62 - 69 ، 70 - 78 ، 81 - 83 ، 95 - 109.
(2) حسن حسنى عبد الوهاب: "ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية"، مكتبة المنار، تونس، ط: الثانية، 1972م، ج2، ص207.
(3) جورج مارسيه: مرجع سابق، ص217.

عرفت صناعة النحاس فى الدولة الزيرية والذى كان يستخرج من منطقة القبائل الصغرى، وصنعت منه الثريا ومصابيح المسجد الجامع بالقيروان، منها مصباح كبير يحمل اسم المعز بن باديس. كما اكتشف وعاء مصنوع من الصلصال يحتوى على حليّ ونقود من الذهب[1].

- **صناعة الزجاج:**

أسفرت الاكتشافات عن وجود صناعة الزجاج، فقد تم اكتشاف فرنًا للزجاج فى زويلة وهى ضاحية من ضواحي المهدية، كما عُثر فى صبرة (المنصورية) على مجموعة رائعة من الأوانى المصنوعة من الزجاج المنقوش، والمشتملة علـى أقداح وقوارير عطـور، مماثلـة للأوانـى المصرية التابعة لنفس الفترة، وقد كانت الكؤوس والأقداح والقوارير وأوعية العطور مُقَوْلبة أو منفوخة، ومزدانة بزخارف منقوشة بالمدقة ومرصعة بخيوط الزجاج ومزخرفة فى أغلب الأحيان بصور الحيوانات، مما يدل على مدى تطور هذا الفن آنذاك[2].

وفى صبرة كانت توجد بكثرة "عبرات الزجاج"، وهى قطرات من الزجاج تتولد عند اتصال الزجاج الذائب بالماء البارد، كما كانت تطبع الصنوج المصنوعة من الزجاج.

كما استخدم الزجاج فى ترصيع الجص الموجود بالدرابزينات، وحملت ألوانًا مختلفة ما بين الأبيض والأزرق والأخضر والأحمر، وقد عُثر على قطعة من وعاء مصبوغ فى صلب الرخام الأبيض والأسود فى بجاية. كما اكتشفت في صبرة بعض المصابيح الزجاجية المعلقة بواسطة سُلَيْسلات أو الموضوعة فى أطواق دولاب ولا يوجد ما يؤكد أن صنعت بإفريقية، فربما تكون مستوردة من الشرق[3].

- **التسفير (التجليد):**

تسفير الكتاب أى تجليده، وقد انتشرت صناعة التجليد فى المغرب الأدنى فى عهد بنى زيرى خاصة في عهد الأمير المعز بن باديس، حيث استخدمت أدوات التجليد من البلاطة والمسَن والشفرة والمقص والخيط والغرة وغيرها من الأدوات والآلات المستخدمة فى التجليد[4].

وتوجد عدة مخطوطات مجلَّدة من الصنع المحلى فى الجامع الأعظم

(1) المرجع السابق، ص208.
(2) الهادى روجى إدريس: مرجع سابق، ج2، ص439.
(3) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ص419 - 424.
(4) المعز بن باديس: مصدر سابق، ص95 وما بعدها. انظر بالملاحق: (شكل رقم 2/2).

بالقيروان، وكان فى العموم المجلد عبارة عن نموذج مستطيل وعريض أكثر مما هو مرتفع، ويوضع المجلد في علبة مغلقة، وتتميز المجلدات بأنها كانت فى تطور كبير، فنجد ظهور أنواع جديدة من التجليد تتمثل فى نمط نواته لم تكن مصنوعة من الخشب، بل من الورق المقوَّى أو الرقّ، مع بعض الأوراق العادية أحيانًا، ويشتمل على أجزاء مسطحة خالية من الحواشى، أما المجلدات الصلبة المتخذة لشكل العلب فمازالت رائجة. كما أضيفت إلى التزويق زخارف ذات تركيبات بارعة ودقيقة، كما ظهر أنماط أخرى لمجلدات فى شكل عُلب ذات سيور ورزَّات، وتشتمل على زخارف زهرية بديعة، وكان لهذه الصناعة أثر كبير فى انتشار الكتب المخطوطة التى حبست على المساجد الجامعة فى مدينة القيروان وتونس وفى الأربطة[1].

فساهم النشاط الصناعى المتعدد كما رأينا فى تطور الحركة الثقافية بالبلاد وتسهيل عملية انتشار العلم والثقافة بكافة المدن الإفريقية بالدولة الزيرية.

3- التجارة:

ارتبطت التجارة بدولة بنى زيرى بالنشاطين الزراعي والصناعى سواء كانت تجارة داخلية أو خارجية، وكانت القيروان أنشط مركز للتبادلات التجارية، وكذلك صبرة (المنصورية)، حيث أخذت هذه المدينة أهمية اقتصادية كبيرة بعد أن نقل إليها العبيديون جميع الأسواق والمصانع الموجودة بالقيروان فور إنشائها سنة 336ه/947م[2]. وازدهرت التجارة فى عهد الدولة الزيرية فزادت صادراتها من المنسوجات خاصة التى يتخللها الخيوط الذهبية[3]، والتى بلغت شهرة واسعة حتى عرف سوق فى القاهرة عرف بسوق السوسيات نسبة إلى منسوجات سوسة[4]، وكذلك الحرير بكل أنواعه خاصة حرير قابس فحريرها أطيب الحرير[5]، كما كان يرد من قفصة إلى مصر نوع خاص من النسيج يسمى بالكساء الطراقى وهو عبارة عن قطع من الصوف

(1) الهادى روجى إدريس: مرجع سابق، ج2، ص440 وما بعدها.
(2) جورج مارسيه: مرجع سابق، ص208 وما بعدها.
(3) البكرى: مصدر سابق، ص34 - 36؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص120.
(4) ابن حوقل: مصدر سابق، ص72 وما بعدها؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج3، ص281 وما بعدها؛ التجانى: مصدر سابق، ص25 وما بعدها.
(5) البكرى، المصدر السابق، ص17.

الكبيرة يتم نسجها[1].

كما اشتملت صادرات بنى زيرى أيضًا على القماش الأشقر والفوط الحمراء وجباب الخز[2]. وأسهمت الصادرات المصرية فى سد مطالب أمراء بنى زيرى من هذه السلع بسبب الرخاء الذى عاش فيه البلاد فى هذه الفترة[3]، كما صدرت مصر بعض خامات تصنيع الجواهر مثل اللؤلؤ والأحجار الكريمة والفيروز[4]، كما كان الخزف من الصناعات المتبادلة بين البلدين، مما يدل على وجود صناعة الخزف وانتشارها[5].

وتشير بعض النوازل إلى أن كل سوق كان يختص بنوع معين من السلع فنجد سوق للغزل[6] والعطارة واللحم وأسواق أخرى للرقيق فلقد كانت قصور الأسرات الحاكمة تعج بالخصيان والجوارى من بلاد السودان والصقالبة[7]، ففى مدينة المهدية كان هناك سوقًا يختص بالجوارى الروميات اللاتى يجلبن من بلاد الفرنجة والصقالبة، بالإضافة إلى السودانيات اللاتى كن يجلبن من بلاد السودان[8].واشتهرت المدن الساحلية بالنشاط الاقتصادى واستخدمت موانئ هذه المدن التجارية فى الصيد خاصة بحيرة بنزرت[9] وقابس[10]، فكان للازدهار التجارى بمعظم بلاد المغرب الأدنى أكبر الأثر على التطور الحضارى وازدهار الحركة الثقافية بالدولة الزيرية آنذاك.

---

(1) البكرى: مصدر سابق، ص47؛ إلهام حسن دحروج: "مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية"، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2000م، ص154.

(2) Mass Latrie, A. R.,: Op. Cit., P21.

(3) حسن خضيرى أحمد: مرجع سابق، ص117 - 119.

(4) كاتب مجهول، الاستبصار، ص86.

(5) حسن خضيرى أحمد: مرجع سابق، ص121 وما بعدها.

(6) الونشريسى: مصدر سابق، ج3، ص242.

(7) Sachar, A.L.: A history of The Jews, New York, 1953, P170.

(8) د/ كمال السيد أبو مصطفى: "جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية فى المغرب الإسلامى من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسى"، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996م، ص70.

(9) بنزرت: هى مدينة صغيرة على البحر، وهى مدينة عامرة حصينة ومرسى، بينها وبين تونس نحو يومين، فيها آثار الأول وسور صخر قديم ولها نهر كبير يصب فى البحر، فيها ثمار كثيرة وأنهار واسعة غزيرة وبها من الحيتان الكثير، ويصطاد من البحيرة كمية وافرة من السمك خاصة سمك المرجان. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن حوقل: مصدر سابق، ص74؛ البكرى: مصدر سابق، ص58؛ كاتب مجهول، الاستبصار، ص125؛ العُمُر: مصدر سابق، ج4، هامش ص143.

(10) Mas Latrie: Op. Cit., PP.57 - 59.

هكذا دعم الرخاء الاقتصادى الذى ساد الدولة الزيرية الحياة الثقافية من خلال الدعم المادى الذى أعان فى بناء المساجد وتعميرها بالإضافة إلى توفير كافة الأدوات المستخدمة فى عملية التعليم والتعلم وانتشار صناعة التسفير والوراقة ومن ثم تسهيل عملية الكتابة والتأليف والطباعة حتى وصل الازدهار الثقافى إلى درجة النضج.. كما وفر الاقتصاد الأموال التى منحت كأعطيات للعلماء والشعراء[1].

ثالثًا: تشجيع الأمراء والولاة للآداب والعلوم:

كان الملوك والأمراء على مر عصور الحضارة الإسلامية الدور الأكبر فى الازدهار الثقافى والعمرانى، وذلك تبعًا لثقافتهم ونشأتهم، فكلما كان الملوك والأمراء على قدر من الوعى والفكر والثقافة كلما ارتفعت نسبة التعلم وتوجيه المجتمع إلى الثقافة والرقى فى جميع مناحى الحياة، وأينما وجد الأمن والاستقرار، وجدت الحضارة وانتشر العمران[2].

وحافظ بنو زيرى على احتضان النظم الاجتماعية والمجالس العلمية والأدبية، مما أدى إلى ترعرع العلوم والآداب معًا، فقبيل دولة بنى زيرى كانت الثقافة منحصرة فى العلم والرواية، أما الأدباء والشعراء والكتاب ورواة الأخبار، فكانوا فى الغالب وافدون من المشرق أو من الأندلس، ولكن فى عصر دولة بنى زيرى كانت الثقافة العربية قد تأصلت إلى حد أن نبغ من أبناء القيروان من كان لهم كل الأثر فى تطور التاريخ الأدبى العام، ومنهم من ذاع صيته فى جميع أنحاء العالم الإسلامى مما أثبت أن إفريقية فى ذلك الوقت أصبحت مركزًا مستقلًا للثقافة العربية[3].

وإذا تأملنا تاريخ أمراء البيت الزيرى نجد أن العلماء كانوا لهم دور سياسى ونشاط دينى واسع عمل دومًا على ارتباط القاعدة العامة من الأهالى بالمذهب السنى خاصةً المذهب المالكى، هذا وإن دل فإنما يدل على أن الأمراء الزيريين رغم تبعيتهم للخلافة العبيدية والمذهب الشيعى فى القاهرة إلا أنهم لم يتشددوا فى مطالبة الناس بالتشيع ولم يضيقوا

---

(1) ابن الأثير: مصدر سابق، ج9، ص161؛ ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، 304 وما بعدها.

(2) أحمد أمين: "ضحى الإسلام"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة 1998م، ج2، ص55.

(3) عبد الله العروى: "مجمل تاريخ المغرب"، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، المغرب، ط: الثانية، 2000م، ص89.

الخناق على علماء أهل السنة فانفسح المجال نسبيًا أمامهم وبدأت الحياة العلمية تعود إلى المساجد والكتاتيب شيئًا فشيئًا[(1)]. فعقدت مجالس العلم والمناظرات والمجادلات الدينية وكان دومًا ما ينهزم فيها المذهب الشيعى أمام علماء المالكية[(2)].

واستمر الأمر هكذا حتى نجد أن المذهب المالكى يتسلل لبيت الحكم عن طريق الوزير العالم والفقيه أبى الحسن ابن أبى الرجال، الذى حمل على عاتقه تأديب المعز بن باديس طفلًا وتنشئته على حب السنة ومذهب مالك بن أنس[(3)]. كما أن أمراء بنى زيرى لم يتعرضوا منذ بداية دولتهم لعلماء السنة بأى أذى كما فعل أسلافهم العبيديون من قبل، وسار ولاتهم على نفس النهج مما شجع على إثراء النشاط الثقافى[(4)].

بل واهتم أمراء البيت الزيرى برعاية العلم والعلماء مما شجع على إثراء النشاط الثقافي، فهذا الأمير **باديس بن منصور** (386هـ - 406هـ/ 996 - 1015م) يأمر بكتابة سجل لجميع الطلبة بالحفظ والرعاية، وأن يصرف عنهم ما وقع عليهم من المظالم، وهذا القرار يبين مدى تشجيع هذا الأمير لطلاب العلم ورعايته لهم ماديًا ومعنويًا[(5)].

وفى عهد هذا الأمير امتد تشجيعه للعلماء اليهود ويتضح ذلك من خلال أبراهام بن عطا - وكان طبيبًا فى بلاطه وبلاط ابنه المعز من بعده - عمل على ارتباط اليهود بالسلطان مما ساعد الرابى يعقوب بن نسيم من إنشاء مدرسة دينية فى القيروان تتبع المدارس العراقية الشهيرة، درست فيها التوراة والتلمود وعلوم اللاهوت الأخرى وحدث ترابط بين مدارس اليهود بالقيروان ومثيلتها فى العراق[(6)]، واشتهر من العلماء

---

(1) د/ علي محمد الصلابى: "الدولة العبيدية فى ليبيا - صفحات من التاريخ الإسلامى فى الشمال الإفريقى"، دار البيارق، الأردن، عمان، ط: الأولى، 1418هـ - 1998م، ص110.
(2) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص177 - 179.
(3) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص295؛ القلقشندى: مصدر سابق، ج14، ص366 وما بعدها.
(4) ابن شاكر الكتبى (محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبى، ت: 764هـ/ 1363م): "فوات الوفيات"، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، لبنان، 1974م، ج2، ص300 وما بعدها.
(5) ابن أبى الضياف (أحمد بن أبى الضياف بن عمر بن أحمد، ت: 1291ه/1874م): "اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان"، تحقيق: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب، الدار العربية للكتاب، 1999م، ج1، ص170.
(6) الونشريسي: مصدر سابق، ج2، ص259؛ الهادى روجى إدريس: مرجع سابق، ج2، ص383.

اليهود فى بلاد المغرب دوناش بن لبراث Duansh B. Labrat (ت:380هـ/990م) من أصل بربرى، وذهب إلى العراق ودرس بها اللغة العربية وآدابها كما درس العلوم الدينية اليهودية، ومن العلماء المهاجرين أيضًا اسحق بن يعقوب الفاسى ت: 497هـ/1104م[1]، درس بالقيروان على يد نسيم بن يعقوب ثم تولى قيادة الدراسات التلمودية فى المدينة، ثم هاجر إلى فاس وأسس بها معهدًا للدراسات اليهودية قبل هجرته إلى الأندلس. ومن علماء اليهود المغاربة سلمون بن يهودا ت: 443هـ/1051م، وكان من اللافت للنظر هجرة علماء اليهود من المغرب إلى المشرق ومصر، وحققوا به شهرة وصيتًا لم ينالوه فى بلادهم الأصلية[2]. فكان لتنوع العلوم بين أصحاب الديانات المختلفة ببلاد المغرب الأدنى أكبر الأثر فى إثراء الحياة الثقافية وتطورها.

وأعان الأمير **المعز بن باديس** (406 - 454هـ/ 1015 - 1062م) فى تطور الحركة العلمية والأدبية فى عهده تطورًا كبيرًا، فقد عرف عنه تشجيع أهل الأدب والعلم، وكانت القيروان فى عهده وجهة العلماء والأدباء حيث كانت تُشد إليها الرحال من كل مكان، فكان المعز لا يسمع بعالم جليل أو شاعر فصيح إلا ويدنيه من حضرته، ويضمه لخاصته حتى سار بذكره الركبان، فيقول ابن بسام: "ولم يكن أحد فى زمانه أطول يدًا بالمكارم ولا أعنى بلسان العرب ولا أحنى على أهل الأدب منه"[3]، فصار بلاطه كما يصفه ابن خلكان "محط بنى الآمال"[4].

وتتعدد جهود المعز بن باديس للعلم والعلماء فنجده يقوم بإهداء العديد من الكتب والمؤلفات إلى العلماء والمشايخ مثلما فعل مع أبى بكر بن عتيق السوسى (ت: 462هـ/1070م) فلما علم بمكانته وفقره أرسل إليه مالًا ولكن الشيخ ردها عليه، فأرسل إليه كتبًا جليلة مثل المدونة والنوادر والموازية وغيرها من المؤلفات الهامة، ولم يستلمها إلا بعد أن أمر الرسول بأن يكتب على جزء منها حبس على طلبة العلم، فلما علم المعز

---

(1) Abbou, Is, D.: Muslmans Andalous et Judeo-Espagnols, Casablanca, 1953. P.281.

(2) د/ عبد الرحمن بشير: "اليهود فى المغرب العربى (22 - 462هـ / 642 - 1070م)"، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط: الأولى، 2001م، ص71؛

Abbou, Is, D.: Muslmans Andalous et Judeo-Espagnols, Casablanca, 1953؛ P.281.

(3) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة: ج4، ص614 وما بعدها.

(4) وفيات الأعيان: ج5، ص233 وما بعدها.

بذلك قال أردنا أمرًا فغلبنا فيه[1].

بل إن الأمير المعز بن باديس قد قام بالكتابة والتأليف عن فن صناعة وتزويق الكتب فى الحضارة الإسلامية وهو الكتاب المسمى "عُمدة الكُتّاب وعُدة ذوى الألباب - فى صفة الخط والأقلام والمداد والليق والحبر والأصباغ وآلة التجليد"، فهو من المؤلفات القيمة والهامة فى هذا الفن، خاصة وأنه من أقدم الرسائل فى ثقافة هذا الفن[2].

وقد بدأ بحثه بتوضيح مدى أهمية القلم والخط فى الإسلام، ثم سرد المؤلف فى أنواع الأقلام والجيد منها، وصفة الدواة وما يصلح لها من الآلات، وصفة المداد وأنواعه، وفى عمل الأحبار وكيفية صناعتها سواء كانت سوداء أو ملونة[3].

فالقارئ لهذا البحث يتأكد من وجود منظومة صناعية كاملة تتعامل بمنتهى الدقة والمهنية فى صناعة كل ما يخص هذا الفن بكل تفاصيله، مما يدل على مدى تطور الوعى الثقافى وانتشاره، فنجد المؤلف يتحدث باستفاضة عن الأصباغ وأنواع وألوانها وصناعتها، وعن الكتابة بالذهب والفضة والنحاس، وعن صناعة ما يمحى به الكتابة من الدفاتر والرقوق والكاغد، كما أنه يخصص بابًا للتجليد ليختم به هذا البحث الهام[4].

وسار الأمير **تميم بن المعز** (454 - 501ه/ 1062 - 1108م) على درب أبيه فى تقديره للعلماء وأصحاب الفضل فهذا ابن الحداد المهدوى (ت: 490ه/ 1097م)، هو أبو الحسن على بن محمد بن ثابت الخولانى، كان عالمًا يجلِّه ويقدره الأمير تميم بن المعز، واختص بتدريس النحو وألف عدة كتب فيه[5].

واهتم **يحيى بن تميم** (501 - 509ه/ 1108 - 1116م) بالعلوم الدينية والعلوم الطبيعية، فأنشأ دارًا لتدريس الكيمياء وأسكنها الطلاب[6]، كما أمر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز(ت: 529ه/ 1135م) بتأليف

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص181.
(2) المعز بن باديس (المعز بن باديس بن المنصور بن بُلكين بن زيرى بن مناد الحميرى الصنهاجى (ت: 454ه/1062م): "عُمدة الكُتّاب وعُدة ذوى الألباب - فى صفة الخط والأقلام والمداد والليق والحبر والأصباغ وآلة التجليد"، تحقيق: نجيب مايل الهروى - عصام مكية، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، 1409ه، مقدمة المحقق ص10.
(3) المصدر السابق، ص32 ، 37 ، 45 ، 53.
(4) المعز بن باديس، المصدر السابق، ص69 ، 78 ، 83 ، 109.
(5) ابن غلبون: مصدر سابق، هامش ص 27 وما بعدها.
(6) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، 304 وما بعدها.

كتاب يتضمن وصف مصر كما شاهدها المؤلف والذى عرف باسم "الرسالة المصرية"، كما ألَّف أبو الصلت أيضا كتابه الشهير "الحديقة" وألف أيضًا كتاب فى علم المنطق تحت عنوان "تقويم الذهن فى المنطق" نزولًا على رغبة الأمير **الحسن بن على** (515 - 543ه/ 1121 - 1148م)[1].

كذلك فتح أمراء بنى زيرى قصورهم للشعراء، وحبوهم بكرمهم ورعايتهم وعقدوا لهم مجالس المناظرة، وجعلوا منهم ألسنة تلهج بمدحهم، وكان فى مقدمة هؤلاء الشعراء الحسن بن رشيق (ت: 456ه/ 1064م)[2]، ومحمد بن شرف (ت: 460ه/ 1067م)[3]، وكان المعز بن باديس ورجال بلاطه، يستمتعون بمناظرات هذين الشاعرين إلى جانب غيرهم ممن يزخر بذكرهم فى كتاب "الأنموذج" لابن رشيق.

وقد بلغ من شدة اهتمام الأمراء بالشعر والشعراء، أنهم كانوا يخصصون لهم وقتًا يلقونهم فيه ويستمعون إلى شعرهم وقصائدهم، ويغدقون عليهم الأموال الكثيرة والجوائز السنية، فكان حضرة المعز بن باديس يطرأ عليها نحو مائة شاعر يرأسهم ابن أبى الرجال الكاتب الشيبانى[4]. وسار على نفس الدرب الولاة فى العديد من المدن فى إفريقية مثل قفصة وقابس وسوسة وتونس وبنزرت، مما كان له أكبر الأثر فى ازدهار الشعر ونموه واعتناء الشعراء بالإجادة فى أشعارهم والتدقيق فى معانيهم مما أدى على النضج الأدبى[5].

وتبعًا لذلك تسابق الكثيرون من العلماء إلى المعارف والآداب

(1) ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى ت: 622ه/1225م): "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، معجم الأدباء"، ج1، ص740 - 743؛ ابن خلكان، ج1، ص243 - 247؛ المقرى: مصدر سابق، ج1، ص194.

(2) أبو الحسن القفطى (الوزير جمال الدين أبى لاحسن على بن يوسف القفطى، ت: 624ه/1227م): "انباه الرواة على أنباه النحاة"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربى، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: الأولى، 1406ه - 1986، ج1، ص333 - 339.

(3) ابن بسام: مصدر سابق، ج4، 598 وما بعدها؛ ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص242؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص193 وما بعدها؛ الصفدى: مصدر سابق، ج3، ص82 - 86.

(4) أبو البركات عبد العزيز الميمنى الراجكوتى السلفى: "النتف من شعرى ابن رشيق وابن شرف"، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1343ه، ص28.

(5) د/ محمد محمد زيتون: "القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية"، دار المنار، ط: الأولى، 1408ه - 1988م، ص301.

وأبرزوا نتائج أفكارهم، طمعًا فى عطايا الأمراء والأغنياء، ومن الجدير بالذكر أن الأمير المعز بن باديس كان له معرفة تامة بالفن، فكان يجيد الأغانى والتلحين، ويجيد التوقيع على العود والرباب فكان عارفًا بعدة صنائع من الألحان والتوقيعات[1]. وحاجبه عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الذى يصفه المقرّى بقوله: "... واحد عصره فى الغناء الرائق، والشعر الرقيق واللفظ الأنيق... وكان أعلم الناس بضرب العود واختلاف طرائقه وصنعته اللون"[2].

أما تميم بن المعز فعرف بفصاحته وشعره وحبه للشعراء والأدباء، فكان شاعرًا مفلقًا، تغنى بملذت الحياة، ومن شعره:

طمعت تقبله عقارب صدغهِ *** فاستلّ ناظرُه عليها خنجرًا

وانتجع حضرته جماعة من شعراء إفريقية والمغرب، وممن خدمه من شعراء إفريقية: **أبو الحسين بن خصيب** و**أبو عبد الله محمد ابن على القفصى الأعمى** و**أبو الحسن على بن محمد الحداد الأقطع**، ومدحه قبل هؤلاء من شعراء - أبيه المعز - أبو عبد الله **محمد بن شرف** (ت: 460ه/ 1067م)[3]، وأبو على **حسن بن رشيق** (ت: 456ه/ 1064م)[4]، وخدمه من شعراء المغرب والأندلس **ابن بشير**، وهو من أحسن الشعراء الذين مدحوا عليًا بن يحيى بن تميم. و**ابن حمديس**، وهو شاعر صقلى ذائع الصيت، هاجر إلى إفريقية ثم إلى الأندلس، ثم قدم إلى المهدية، والتحق بخدمة على ثم الحسن، وهو من أكثر الشعراء الذين مدحوا مخدوميهم من أمراء بنى زيرى[5].

وعاش فى ربوع أفريقية **أبو الصلت أمية بن عبد العزيز** (ت: 529ه/ 1135م)، إلى أن أدركته المنية ودفن بالمنستير، وكان متبحرًا فى شتى العلوم والفنون، فتألق فى عدة مواد أدبية وعلمية، وقد برع فى مدح أمراء بنى زيرى الثلاثة الأخيرين، ونزولًا عند رغبة الأمير المتنور

(1) ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص82.
(2) نفح الطيب، ج1، ص194.
(3) ابن بسام: مصدر سابق، ج4، 598 وما بعدها؛ ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص242؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص193 وما بعدها؛ الصفدى: مصدر سابق، ج3، ص82 - 86.
(4) أبو الحسن القفطى: مصدر سابق، ج1، ص333 - 339؛ اليافعى: مصدر سابق، ج3، ص60؛ ابن العماد: مصدر سابق، ج5، ص237 وما بعدها؛ إسماعيل باشا البغدادى: مرجع سابق، ج1، ص311 وما بعدها.
(5) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص22 - 24.

وراعى الأدب يحيى بن تميم الذى كانت ثقافته تجمع بين الأدب وعلم الفلك والكيمياء، فألف أبو الصلت فى علم المنطق كتاب بعنوان (تقويم الذهن فى المنطق)[1]، كما ألَّف (الرسالة المصرية)، التى تتضمن وصف مصر كما شاهدها المؤلف، وألف أيضًا للأمير الحسن كتابه الشهير (الحديقة)[2]، وهكذا كان لأمراء البيت الزيرى أكبر الأثر فى رعاية العلماء والأدباء، والعمل دومًا على الازدهار الثقافى.

كما كان لأميرات البيت الزيرى دور بارز فى إثراء الحياة الثقافية، نبدأ منهن **بأم مِلَال** واسمها السيدة بنت المنصور بن يوسف الصنهاجى، ولدت بقصر المنصورية، وبعد وفاة أبيها المنصور تولى الأمر أخيها نصير الدولة باديس (386 - 406هـ/ 996 - 1016م)، فأشركها أخيها فى تدبير أمره[3]، وبعد وفاته بويع المعز بن باديس بالإمارة سنة 406هـ/ 1016م[4]، وكان عمره حينذاك ثمانى سنوات[5]، وقامت بالوصاية عليه السيدة/ أم ملال وقامت بمهمتها على أكمل وجه حتى وفاتها سنة 414هـ/ 1023م، فكانت أولى النساء التى اشتهرت فى البلاط الملكى للمعز بن باديس، ومارست مهامها وأصبحت هى المسئولة عن تدبير أمور المعز فى بداية ولايته، وأهم ما ينسب إليها هو اختيارها للوزير العالم والفقيه أبى الحسن بن أبى الرجال، ليحمل على عاتقه تأديب المعز طفلًا وتنشئته على حب السنة ومذهب مالك بن أنس[6].

فكانت السيدة أم ملال له دور كبير فى الحفاظ على المذهب السنى بالبلاد من خلال تنشأة الأمير الصغير على تلقى العلم والعقيدة السليمة، ومن ثم إعلاء المذهب السنى وجعله المذهب الرسمى بالبلاد بدلًا من المذهب الشيعى، فما كان ذلك ليتم إلا تحت رعاية هذه السيدة وإشرافها، فهذا يعد إسهامًا منها فى تطور الحياة الثقافية فى البلاد[7].

---

(1) حاجى خليفة وكاتب جلبى (مصطفى بن عبد الله، ت: 1068ه/1657م): "كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون"، تصحيح: محمد شرف الدين، رفعت بيلكه الكليسى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ج1، ص469.
(2) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج1، ص740 - 743؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج1، ص243 - 247؛ المقرى: مصدر سابق، ج1، ص194.
(3) حسن حسنى عبد الوهاب: شهيرات التونسيات، ص72 وما بعدها.
(4) محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص128 وما بعدها.
(5) ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص158؛ سعد زغلول: مرجع سابق، ج3، ص380.
(6) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص295؛ القلقشندى: مصدر سابق، ج14، ص366 وما بعدها.
(7) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص295؛ سعد زغلول: مرجع سابق، ج3، ص382.

ومن أميرات البيت الزيرى والتى كان لها دور بارز فى حياة الدولة الزيرية، **أم العلو**، وهى بنت نصير الدولة باديس وأخت المعز، فقد تربت فى قصور المهدية والمنصورية فى كفالة عمتها السيدة أم ملال، ثم تزوجت من ابن عمها وانتقلت إلى القلعة، فزفت فى أبهة عظيمة، وقد اشتهرت بسعة الإدراك والحكمة[1]، وكانت من إسهامات أم العلو وعمتها أم ملال تلك المصاحف المحبسة بمسجد القيروان والتى تميزت بجمال الخط ورونق التذهيب والزركشة والتزويق مع كبر الحجم ومتانة الرقوق[2] مما يدل على مدى تقدم صناعة الزخرفة والرسوخ فيها، واهتمام أميرات البيت الزيرى فى المشاركة فى الحياة الثقافية.

ومن سيدات البيت الزيرى أيضًا **السيدة فاطمة** حاضنة باديس، والتى أسلمت ورسخت عقيدتها ورفع المعز بن باديس مقامها وزاد احترامها لكونها حاضنة أبيه، وقد امتازت بالبر والإحسان، واشتهرت بالفضيلة والورع، وباهت بأعمالها الخيرية كبار رجال ونساء عصرها وكان لها كتب حبستها على جامع عقبة بالقيروان فيذكر العلامة/ حسن حسنى عبد الوهاب وقفها على جامع عقبة بالقيروان بأنه ضم: "الكتب النفيسة والمؤلفات النادرة والتى مازال بعضها يشاهد ليومنا هذا، فمن يزر الخزينة العتيقة بجامع عقبها يربها رقوقًا مقنطرة من المصاحف المخطوطة بالذهب المذاب المكتوبة بالخط الكوفى العجيب"[3].

ومن أميرات البيت الزيرى أيضًا **أم يوسف زليخاء** زوجة المعز بن باديس تزوجها المعز فى سنة 413هـ/ 1022م، وعمره حوالى 15 سنة، وكانت موفورة العقل والعلم وعرفت بكرمها وسيرتها الحسنة فى فعل الخير، فقد أمدت مكتبة الجامع الأعظم بالقيروان بالعديد من الكتب والمصاحف المزخرفة[4]،

ومن أميرات البيت الزيرى **بلارة**، بنت تميم بن المعز بن باديس، وكان مولدها بالمهدية، واعتنى تميم بتربيتها تربية عربية متينة مبنية على العلم والدين[5]. وممن اشتهر بالشعر من النساء فى العهد الزيرى **خدوج الرصفية**، وهى من عائلة عربية عاشت على الساحل الشرقى لتونس، ولم نعلم عنها سوى ما ذكره عنها ابن رشيق فى الأنموذج فقال:

---

(1) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص284؛ حسن حسنى عبد الوهاب: شهيرات التونسيات، ص77 - 80.
(2) الونشريسي: مصدر سابق، ج7، ص 18 - 21 ، 37.
(3) شهيرات التونسيات، ص80 - 82.
(4) شهيرات التونسيات، ص83 وما بعدها.
(5) المرجع السابق، ص84 وما بعدها.

"هى خديجة بنت أحمد بن كلثوم، المعافرى وخدوج لقب لها، شاعرة حاذقة مشهورة"[1]. ويتبين لنا مما سبق أن أميرات البيت الزيرى كانوا على درجة عالية من العلم والثقافة، فقد تربين تربية عربية متينة مؤسسة على العلم والدين، فأسهمن فى تطور العلوم والثقافة بالبلاد آنذك.

هكذا تطورت الحركة الأدبية والعلمية فى عهد أمراء بنى زيرى وولاتهم تطورًا كبيرًا وذلك بما عرف عنهم من تشجيع أهل الأدب والعلم وعنايتهم بهام مما أدى إلى إثراء النشاط الثقافى والفكرى وتطوره.

(1) الأنموذج: ص123 - 125.

رابعًا: الرحلة فى طلب العلم:

كان الأساس الأول للثقافة والأدب فى المغرب والأندلس هو القرآن الكريم وعلوم الدين واللغة والأدب الجاهلى تمامًا كما كان الأمر فى المشرق، فكانت العناصر الأساسية التى كونت الثقافة العربية والأدب العربى فى المشرق والمغرب واحدة، وذلك يدل على أن أحدهما كان منبعًا للآخر، فكان المشرق بمثابة الشجرة التى تفرعت منها فروع العلم فى كافة أرجاء العالم الإسلامى[1]، فكان طلبة العلم يتكبدون الصعاب والمشاق لكى يتعلموا على العلماء والمشايخ بالمشرق ويدونون سماعهم عنهم، ثم يُحضرون تلك المرويات إلى القيروان[2]، والرحلة فى طلب العلم، تعنى فى ميدان التربية العلمية وتقويم أسس التفكير فى الإسلام من خلال أمرين:

الأول: التأكد من سلامة المنهج النقلى ومن كماله، ويتطلب ذلك تصحيح المتون المروية، والبحث عن أصولها، ووصل أسانيدها بأصحابها، والبحث عن أعلى هذه الأسانيد وأُومها وأصحها، فهذه المادة المروية، إذا لم تثبت بصورة صحيحة نسبتها إلى أصحابها، لا تصلح أن تتخذ إمامًا للبحث والدرس وبناء أحكام عليها، سواء كانت هذه الأحكام دينية أو علمية أو أدبية.

والأمر الثاني: تصحيح منهج التفكير، وإقامة أسسه على قواعد ثابتة، ومن ثم الحصول على الإجازة العلمية[3].

والحرص على إكمال المنهج النقلى وسلامته واضح فى عناية كافة علماء المغرب الأدنى بلقاء العلماء والأخذ عنهم ومقابلة أفكارهم بما عندهم من علم، فتكون منهج نقدى تكاملت أصوله على أساس من المقارنة والاختيار[4].

(1) أبو القاسم محمد كرو، "عصر القيروان"، دار طلاس للدراسات والترجمة، ط: الأولى، تونس، 1973م، ص56 - 58.
(2) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ج2، ص196.
(3) الإجازة العلمية: هى إذن أو رخصة يمنحها الأستاذ للطالب الذى أنهى مرحلة تعليمية بنجاح، وتمنح الإجازة بطريقتين إما أن تكون شفهية أو تحريرية، ولمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة: عبد الله فياض: "الإجازة العلمية عند المسلمين"، مطبعة الرشاد، بغداد، ط: الأولى، 1967م، ص21.
(4) محمد بن تاويت الطنجي: "مقدمة كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب،

وهناك العديد من علماء المغرب الأدنى ممن جابوا البلاد شرقًا وغربًا طلبًا للعلم وتكبدوا مشقة السفر. ولا نستطيع حصر كل من رحل للتعلم كما يقول المقرّى: "حصر أهل الترحال لا يمكن بوجه ولا حال"[1]، ونجمل منهم على سبيل المثال لا الحصر من رحل من علماء المغرب الأدنى إلى المشرق **أبو عبد الله محمد بن حسن الزويلى السرتى** (ت:383هـ/983م)، كان من أهل العلم والقرآن والفرايض، وقد سمع بإفريقية من ابن مسرور العسال وابن اللباد وغيرهم، ورحل إلى المشرق، وكان يجتمع بالناس ويفتى فى المسائل، صحب مروان العابد وكان يسرد الصوم حتى ذهب بصره[2].

ومن الأعلام المعروفين **أبى الحسن القابسى** (ت: 403هـ/ 1012م)[3] - هو على بن محمد بن خلف المعافرى المعروف بالقابسى - إمام المذهب المالكى، لاسيما بعد وفاة ابن أبى زيد، قد كانت له رحلة إلى الشرق بعدما سمع بإفريقية من أبى العباس الإبيانى، وأبى محمد بن مسرور التجيبى والسبائى واليحصبى السدرى والدباغ وكذلك السبائى والجبنيانى الساحلى، فرحل إلى المشرق سنة 352ه/963م وحج سنة سنة 353هـ/964م ثم عاد إلى مصر فأقام بها يسمع الحديث، فسمع بالإسكندرية من أبى الحسن على بن جعفر الثابيانى وغيره من أهل العلم، وكان له مؤلفات عديدة، ثم عاد إلى القيروان، وتوفى بها[4].

وكان **أبو محمد عبد الله بن محمد اللمائى** (ت: 403ه/1013م)، من العلماء الأجلة ذا خلق حسن وإشارة جميلة وسمت وسكينة ومنطق بليغ، وكان الشيخ القابسى يكرمه ويصله، وقد لقى عبد الله بن جعفر بن الورد البغدادى بمصر وحدثه باختصار السير لابن هشام عن البرقى عنه، ولقى أبا بكر بن أبى الموت[5].

ورحل للمشرق **ابن الكاتب** (ت: 408ه/ 1017م) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن على بن محمد الكنانى، أخذ عن ابن شبلون وسمع من

العدد الخامس، السنة الثامنة، ذو القعدة 1384هـ - مارس 1965م، ص53 وما بعدها.

(1) نفح الطيب، ج2، ص5.

(2) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص105.

(3) ابن فرحون المالكى (الإمام القاضى إبراهيم بن نور الدين، ت: 799هـ/1397م): "الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب"، تحقيق وتعليق: د/ محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ج2، 101 وما بعدها.

(4) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 134 - 143؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج3، ص322 - 324؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، ج9، ص61 وما بعدها.

(5) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص144.

القابسي، وكان أحد الفقهاء المستنبطين والعلماء الراسخين، ورحل إلى المشرق وحج، وسأله الطائي بمصر عن فروق أجوبة فى مسائل مشتبهة من المذهب فقال الطائى: "وقد كان أعضل جوابها كل من لقيت من علماء العراق، فأجبنى أبو القاسم فيها ارتجالًا على ما كان عليه من شغل البال بالسفر، وقد وقفت على جوابه فى جزء منطو على احد وأربعين فرقًا"، وكان قويًا فى المناظرة[1].

ومن علماء المغرب الأدنى الذين رحلوا إلى مصر **القزّاز** (ت: 412هـ/ 1022م)[2] - هو محمد بن جعفر بن محمد أبو عبد الله التميمى النحوى المعروف بالقزاز - ولد فى القيروان ورحل إلى المشرق لطلب العلم، وتتلمذ على عدد من الشيوخ نخص منهم بالذكر الآمدى تلميذ ابن دريد والأخفش، وأقام مدة طويلة بمصر والتحق فيها بخدمة الفاطميين[3]، ثم رجع إلى القيروان 386هـ/996م ودرَّس بها اللغة والأدب وله كتاب الجامع فى اللغة[4].

أما الفقيه **أبو العرب تميم** (417هـ/1027م) - هو أبو العرب محمد بن تميم بن أبى العرب التميمى الفقيه - كان من أهل العلم والفضل والثقة واسع الرواية عارفًا بالتاريخ صحيح النقل كثير التحرى معروفًا بالصدق، كان حافظًا لمذهب مالك وأخذ عن أصحاب سحنون، ورحل إلى المشرق سنة 371هـ/981م، ولقى العلماء بمصر والشام والحجاز والأندلس وعاد إلى القيروان ومات بها وله مصنفات عديدة منها: [كتب المحن، وطبقات علماء إفريقية، وفضائل مكة وفضائل سحنون، وعباد إفريقية][5].

ورحل للمشرق أيضًا **أبو بكر الخولانى**، (ت: 432هـ/ 1028م) - هو أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الخولانى - قرأ على الشيخ أبى سعيد ابن أخى هشام، ثم على الشيخ أبى محمد بن أبى زيد، ثم لزم الشيخ أبا الحسن القابسي، وانقطع إليه وأباح له الفتيا، ثم رحل إلى المشرق سنة 377هـ/987م، فلقى أبا عتيق بن موسى الحاتمى المصرى وأبا بكر محمد

---

(1) المصدر السابق، ج3، ص155.
(2) السيوطى (عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد سابق الدين الخضيرى الأسيوطى، ت: 927هـ/ 1505م): "بغية الوعاة فى طبقات اللغويّين والنحاة"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ج1، ص71.
(3) المقريزى: المقفى الكبير، ص418 وما بعدها.
(4) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ص2475 - 2479؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج4، ص374 - 376.
(5) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 158؛ المقريزى: المقفى الكبير، ص424.

بن بكر النعالى وغيرهما، وأجازوه كلهم إجازة عامة[1].

وممن أخذ العلم عن جماعة من أعيان العلماء بالمشرق **أبو الحسن على بن محمد المنمر** (ت: 432هـ/1040م)، كان من أعيان العلماء ورحل إلى المشرق وأخذ عن جماعة من المشايخ، ثم عاد إلى طرابلس[2].

أما الفقيه **أبو الحسن بن المنتصر الطرابلسى** (ت: 432هـ/1040م)، الذى رحل إلى المشرق وأخذ من علماء مكة وكان فقيهًا وعالمًا محاربًا للبدعة وناصرًا للسنة ومن مؤلفاته (الكافى فى الفرائض)[3].

وقام **أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى** (ت: 437هـ/1045م)[4] بعدة رحلات في المشرق، تخللتها فترات إقامة بالقيروان، كما رحل إلى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة 368هـ/978م فتلقى علوم القراءات على الفقيه المصرى أبى الطيب بن غلبون مدة ثلاث عشرة سنة ثم عاد إلى القيروان، ثم رحل إلى الأندلس، وكان من الراسخين فى علوم القرآن واللغة، ومن تواليفه كتاب "مشكل إعراب القرآن" والذى قصد فيه تفسير مشكل الإعراب وذكر علله وصعبه ونادره، واستقى فيه من كتب النحاس[5].

كما رحل إلى المشرق **أبو عبد الله محمد بن عبد الله المالكى** (ت: 438هـ/1046م)، رحل إلى مكة وسمع عليه البخارى، توفى بالقيروان ودفن بباب تونس[6].

هكذا كانت العديد من الرحلات لطلب العلم من المغرب الأدنى إلى مصر والمشرق، وكذلك قطعت الأسفار لدراسة العلوم وتدريسها سواء إلى الشرق أو إلى الغرب، فهناك من العلماء من رحل إلى المغرب

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص165 - 169؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص177 وما بعدها.
(2) أحمد بن الحسين النائب الأنصارى: "نفحات النسرين والريحان، فيمن كان بطرابلس من الأعيان"، تقديم وتعليق: د/ محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجانى للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ص84.
(3) صلاح عثمان: مرجع سابق، ص237.
(4) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص273؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج5، ص275 وما بعدها؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 171 وما بعدها.
(5) أبى الحسين الأصبهانى (أبى الحسن على بن الحسين الأصبهانى الباقولى، ت: 543هـ/1148م): "كشف المشكلات وإيضاح المعضلات"، تحقيق: د/ محمد أحمد الدالى، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص53.
(6) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 173.

الأوسط مثل **أبو جعفر الداودى** (402هـ/ 1111م) هو أحمد بن نصر الداودى الأسدى الطرابلسي من طرابلس، كان عالمًا وفقيهًا مشاركًا فى الحديث والنظر واللسان، أصّل كتابه فى شرح الموطأ وكان له رحلات عدة، واستقر به المقام بالمغرب الأوسط فى تلمسان وظل بها حتى توفى[1].

كما رحل العديد من علماء هذا العصر من أهل المغرب الأدنى إلى الأندلس فهذا **الخُشنى** (ت: 371هـ/981م) هو أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشنى، تفقه بالقيروان على أحمد بن نصر وأبى بكر بن اللباد وأبى الفضل عباس الممسى وغيرهم، وسمع بالأندلس من ابن أيمن وقاسم بن أصبغ وغيرهما، واستوطن بعد ذلك قرطبة، ودخل سبتة[2] قبل 320ه/932م، فحبسه أهلها عندهم وتفقه عليه قومٌ منهم، واستقر آخرًا بقرطبة وتولى الشورى بها وتمكن من ولى عهدها الحكم وألف له تآليف حسنة، منها: أصول الفتيا فى الفقه على مذهب الإمام مالك، وكتابه فى الاتفاق والاختلاف فى مذهب مالك، وكتابه فى تاريخ علماء الأندلس، وتاريخ قضاة الأندلس، وتاريخ الإفريقيين، وبعد موت الحكم آلت به الحال إلى الجلوس فى حانوت ليبيع الأدهان، وكان يتعاطى صناعة الكيمياء[3].

وممن رحل من الأدباء بعد الغزوة الهلالية **أبو الطاهر التجيبى** (ت: حوالى سنة 450هـ/ 1058-1059م) هو شاعر قيروانى أقام بالمهدية، وأخذ عن الحصرى والنهشلى، وزار الأندلس ومصر وأقام مدة فى صقلية، وكان عالمًا بفنون الأدب، متضلعًا فى اللغة، شاعرًا مجودًا وكاتبًا

---

(1) القاضى عياض: مصدر سابق، ج1، ص18؛ ناصر الدين محمد الشريف: "الجواهر الإكليلية فى أعيان علماء ليبيا من المالكية"، دار البيارق، عمان، الأردن، ط: الأولى، 1420هـ - 1999م، ص81.

(2) سبتة: هى مدينة على البحر المتوسط، من المدن الهامة بالمغرب الأقصى، وتعتبر أجود مرسى على البحر، وهى مدينة حصينة ضاربة فى البحر تشبه فى ذلك المهدية، ونسب إليها جماعة من أعيان العلم، مثل ابن مرانة السبتى الذى كان من أعلم الناس بالحساب والفرايض والهندسة والفقه، ومن تلامذته ابن العربى الفرضى الحاسب. لمزيد من التفاصيل انظر: البكرى: مصدر سابق، ص102 وما بعدها؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج3، ص182 وما بعدها.

(3) المالكى: مصدر سابق، ج1، المقدمة، ص15م وما بعدها؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص81 - 83؛ الذهبى: العبر فى خبر من غبر، ج2، ص112؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص212 وما بعدها؛ هذا وقد وجد اختلاف فى عام وفاته هل هو عام 361 أم 371ه، ويرجح العلامة حسن حسنى عبد الوهاب عام 371ه، وقد أوضح ذلك فى كتابه العُمُر، ج2، ص397.

رقيقًا[1].

كما دخل **بن شرف**، (ت: 460ه/ 1067م) إلى الأندلس وهو الشاعر الشهير محمد بن أبى سعيد بن شرف الاجذابى، أحد من نظم قلايد الآداب، ولد بالقيروان حوالى سنة 390ه/1000م، فرض نفسه كشاعر وناثر، وكانت المنافسة بينه وبين ابن رشيق شديدة، وكان المعز بن باديس ورجال بلاطه، يستمتعون بمناظرات الشاعرين، فارق ابن شرف القيروان إثر زحفة بني هلال، وتوجه إلى المهدية، وأقام بها عند تميم بن المعز إلى أن قصد صقلية، ثم توجه مع عائلته إلى الأندلس إلى أن توفى بها[2].

أما الرحلة من المغرب الأقصى إلى المغرب الأدنى فقام بها العديد من طلبة العلم مثل **أبو عمر الطلمنكى** (ت: 429ه/1038م) - هو أحمد بن محمد بن أبى عبد الله بن أبى عيسى المعافرى - حبرًا فى علوم القرآن وقراءاته وإعرابه وناسخه ومنسوخه وأحكامه ومعانيه، وكان ذا عناية تامة بالأثر ومعرفة الرجال حافظًا للسنن، عارفًا بأصول الديانات عالى الإسناد، أخذ القراءة عن ابن غلبون وأبى القاسم الجوهرى وبإفريقية عن ابن أبى زيد[3].

وممن مر بالمغرب الأدنى فى رحلة الحج **أبو جعفر بن أبى جمرة** (ت: 444هـ/1052م) - هو أحمد بن وليد بن محمد بن وليد بن مروان - وروى عن أبيه وتفقه به وبغيره، وكان من بيت علم ودين وله فى الفقه فتاوى، رحل إلى المشرق فأدى فريضة الحج[4].

ولا يسعنا المقام لنتحدث عن كل من شد الرحال من الأندلس إلى القيروان ومدن المغرب الأدنى، ويكفى أن نذكر أن ابن الفرضى ترجم لأكثر من مائة عالم رحلوا من الأندلس إلى مدن المغرب الأدنى فى كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، وهو من مصادر بحثنا، وذلك لتلقى العلم على علماء المالكية بالمغرب الأدنى وقد أتوا من كافة مدن الأندلس فنجد **ابن غلبون** (ت: 372ه/982م) - هو عبد الله بن محمد بن أمية الأنصارى -

(1) السيوطى: بغية الوعاة، ج1، ص443.
(2) ابن بسام: مصدر سابق، ج4، 598 وما بعدها؛ ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص242؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص193 وما بعدها؛ الصفدى: مصدر سابق، ج3، ص82 - 86.
(3) (أحمد بن محمد الأدنروى ت: القرن 11ه/17م): "طبقات المفسرين"، تحقيق: سليمان بن صالح الخزى، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط: الأولى، 1417هـ - 1997م، ص107.
(4) ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص231.

من طليطلة، رحل إلى المشرق وسمع بإفريقية من أبى عبد الله محمد بن أبى منظور القروى، وكان نبيلًا ثقة[1].

ودخل **عباس بن عمرو بن هارون الكنابِّى الوراق** (ت: 379هـ/989م)، من صقلية إلى القيروان سنة 315هـ/927م، كان عالمًا بالكلام وبصيرًا بالرد على أصحاب المذاهب[2].

ورحل إلى المشرق أيضًا **ابن الإمام** (ت: 386هـ/996م) - هو عيسى بن موسى بن أحمد بن يوسف الأموى - من تطيلة سمع بقرطبة ورحل إلى القيروان فسمع بها من أبى قاسم بن الصقلى وغيره[3].

وسمع بالمشرق **ابن العريف** (ت: 390هـ/ 1000م) - هو حسين بن وليد بن نصر - من قرطبة، كان نحويًا عالمًا بالعربية رحل إلى المشرق مع بداية دولة بنى زيرى، وسمع بمصر وإفريقية ثم عاد إلى الأندلس[4].

ويترجم صاحب جذوة المقتبس لعلماء كُثُر من الأندلس رحلوا إلى القيروان وسمعوا من محمد بن أبى زيد أو من تلاميذه ومن جاء بعدهم، ومنهم: **عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصارى**، أبو محمد، فقيه محدث زاهد، رحل من الأندلس قبل 380هـ/990م فتفقه بالقيروان، وسمع من أبا محمد بن أبى زيد وطبقته، ثم أكمل رحلته للمشرق، ومات ببيت المقدس[5].

واستوطن القيروان **أبو عمران الفاسى** (ت: 430هـ/1039م) - هو أبو عمران موسى ابن عيسى ابن أبى حاج الغفجومى الفاسى - فهو أصله من فاس وتفقه بالقيروان على الشيخ أبى الحسن القابسى وغيره، وعلى ابن أحمد اللواتى السوسى، ثم رحل إلى قرطبة فقرأ على أبى محمد الأصيلى، ثم رحل إلى المشرق، وأخذ بمصر القراءات على أبى الحسن عبد الكريم بن أحمد ابن أبى جدار، وأخذ بمكة عن أبى اسحاق عبيد الله السرقسطى، وقد حج حجات كثيرة ودخل بغداد سنة 390هـ/1000م، وحضر مجلس أبى بكر بن الطيب بن الباقلانى القاضى وسمع منه، ثم انصرف إلى القيروان فأقرا بها القرآن مدة، ودرس الفقه واسمع الحديث وتفقه عليه جماعة كثيرة، ورحل إلى المشرق مرة ثانية سنة

---

(1) ابن الفرضى: مصدر سابق، ج1، ص196.
(2) ابن الفرضى: المصدر السابق، ج2، ص509.
(3) المصدر السابق، ج1، ص275 وما بعدها.
(4) المصدر السابق، ج1، ص100.
(5) الحميدى: مصدر سابق، ج2، ص420.

426هـ/1034م[1].

وممن رحلوا إلى المشرق **عثمان بن أبي بكر بن حمود الصدفى أبو عمرو السفاقسى**، فهو محدث رحل إلى العراق وغيرها بعد 420هـ/1029م، وعرف كثيرًا من أخبار البلاد ومن فيها من أهل الرواية والعلم، ووصل المغبر 436هـ/1044م، ثم الأندلس ثم عاد إلى إفريقية، ومات مجاهدًا فيها[2].

واستوطن إفريقية **مروان بن محمد الأسدى أبو عبد الملك البونى**، (ت: قبل 440ه/ 1048م) فهو أصله من الأندلس ورحل إلى القيروان وطلب العلم بها، ثم استقر ببونة من بلاد إفريقية فسكنها ونُسب إليها وبها مات، وكان فقيهًا محدثًا، وله كتاب كبير شرح فيه الموطأ[3].

كما رحل إلى إفريقية فى طريقه إلى المشرق **عبد الملك بن سليمان الخولاني أبو مروان**،(ت: قبيل 440ه/ 1048م)، محدث سمع بالأندلس وإفريقية ومصر ومكة ومات بالأندلس[4].

وتعلم أيضا بإفريقية **الوليد بن بكر بن مخلد أبو العباس الغمرى** (ت: 392ه/ 1002م)، من أهل سرقطسة، عالم فاضل رحل فطلب بإفريقية، وسمع بأطرابلس المغرب أبا الحسن على بن أحمد المعروف بابن زكرون، وأكمل رحلته إلى المشرق لطلب العلم[5].

وذكرت العديد من المصادر الكثير من الطلاب والعلماء الذين قدموا من الأندلس إلى القيروان وتلقوا العلم على علمائها فيذكر صاحب الصلة أيضًا البعض ممن رحل من الأندلس إلى المغرب الأدنى فى هذه الفترة مثل **أحمد بن عبد الله بن محمد الذهبى الأموى**، من أهل قرطبة ويكنى أبا بكر، له رحلة إلى المشرق مع أبى زيد العطار، وسمعا بمكة وبالقيروان من زياد بن يونس وابن مسرور وغيرهما، ومولده كان سنة 333ه/944م[6].

وممن رحل أيضًا للمغرب الأدنى **ابن المشكيالى** (ت: 400/ 1010م) - هو محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الخشنى - من أهل طُليطُلة

(1) الحميدى: المصدر السابق، ص537؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص159 - 164.
(2) الحميدى: المصدر السابق، ص481.
(3) الحميدى: المصدر السابق، ص546.
(4) المصدر السابق، ص450 وما بعدها.
(5) المصدر السابق، ص576 - 578.
(6) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج1، ص52.

سمع بقرطبة ورحل لأداء الفريضة، وأخذ بالقيروان عن أبى محمد بن مسرور وكتب عنه، فكان حافظًا للمسائل والرأى[1].

وكذلك قدم إفريقية **ابن ميمون** (ت: 400ه/1010م) - هو أحمد بن محمد بن عبيدة الأموى - من أهل طُليطُلة سمع بها وبقرطبة، ثم رحل إلى المشرق سنة 380ه/990م مع صاحبه أبى اسحاق بن شنظير، فحج وسمع بمكة والمدينة والقلزم ومصر، وفى طرابلس الغرب سمع من أبى جعفر المؤدب وبالقيروان من أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد البكرى والذى يعرف بابن الصقلى، وأبى بكر بن عزرة، وأبى محمد بن أبى زيد، فكان من أهل العلم والفهم وراوية للحديث حافظًا لرأى مالك وأصحابه[2].

وممن تعلم بالقيروان **عبد الرحمن بن عثمان بن ذنين ابن بهلول الصدفى** (ت: 403ه/ 1012م)، من أهل طليطلة رحل إلى المشرق سنة 381ه/991م، فحج ولقى العلماء بمكة ومصر وكذلك بالقيروان لقى أبا محمد بن أبى زيد وأبا جعفر بن دحمون وغيرهما، وكان له سماع كثير وعناية بالحديث، وشهر بالعلم والعمل والفضل والورع، وله تواليف كثيرة[3].

ورحل أيضًا العالم والفقيه **أحمد بن سعدى الإشبيلى** إلى بعض مدن إفريقية فى طريقه إلى المشرق حوالى 380ه/990م، فلقى أبا محمد بن أبى زيد بالقيروان، واستقر بالمهدية واستوطنها ومات بها ودفن بمقبرة المنستير، حدّث عنه أبو عمر الطلمنكى وغيره وقال لقيته بمصر وكتب إلىّ بإجازة ما رواه من المهدية سنة 410ه/1019م[4].

وتعلم بالقيروان **أحمد بن محمد بن لب بن يحيى بن قزلمان المعارفى الطلمنكى** (ت: 429ه/ 1038م) أصله منها يكنى أبا عمر، سكن قرطبة ورحل إلى المشرق، فحج ومر بالقيروان ولقى أبا محمد ابن أبى زيد وأبا جعفر أحمد بن دحمون وغيرهما، وانصرف إلى الأندلس بعلمٍ كثير، فكان أحد الأئمة فى علم القرآن العظيم قراءاته وإعرابه وأحكامه، وجمع كتبا حسانًا كثيرة النفع[5].

وسمع بالقيروان **أحمد بن أيوب الإلبيرى الواعظ** (ت: 430ه/

---

(1) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص110 - 112.
(2) المصدر السابق، ج1، ص54 - 57.
(3) المصدر السابق، ص405 وما بعدها.
(4) ابن بشكوال، المصدر السابق، ص71.
(5) المصدر السابق، ص84 - 86.

1039م)، سكن قرطبة، وسمع بها ورحل إلى المشرق، وحج ولقى بالقيروان أبا الحسن القابسي وأحمد بن نصر الداودى وغيرهما، وكان رجلًا فاضلًا واعظًا ورعًا أديبًا شاعرًا[1].

وسمع بإفريقية **أحمد بن سعيد بن دينال الأموى** (ت: 435ه/ 1043م)، من علمائها فهو من أهل قرطبة رحل إلى المشرق فأدى الفريضة ولقى أبا محمد بن أبى زيد بالقيروان فأخذ عنه مختصره فى المدونة وغير ذلك من تواليفه، وكان حليمًا وثقة عنى بالعلم والرواية[2].

أما القاضى **محمد بن أحمد الريوالى**، (ت: 480ه/ 1087م) قاضى بياسة، رحل إلى المشرق لطلب العلم فأخذ عن أبى بكر محمد بن الناطور المدونة فسمعها عليه فى داره بالقيروان سنة 432ه/1041م، كما أخذ عن أبى بكر أحمد بن عبد الله بن أبى زيد[3].

وروى بالقيروان **محمد بن نعمة الأسدى** (ت: 481ه/ 1088م) عن أبى عمران الفاسى ومروان بن على البونى، وكان معتنيًا بالعلم عالمًا بالعبارة، وجمع فيها كتبًا، واستوطن المرية[4].

وقد كان من الأطباء الذين رحلوا من الأندلس إلى القيروان لتلقى العلم عن ابن الجزار **أبى حفص عمران ابن بريق الأندلسى** فقد لازم ابن الجزار فى القيروان فترة أخذ عنه فيها الطب وروى عنه تآليفه، وعاد إلى الأندلس فكان فى خدمة الأمراء الأمويين وأدخل كتب أستاذه إلى الأندلس وقام بشرحها فتلقاها الأخصائيون فى الطب من مسلمين ويهود ونصارى ومنهم **سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل**[5]، وكذلك الطبيب الأندلسى الشهير أبو مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زُهر من الأطباء الذين تعلموا ومارسوا مهنة الطب بالقيروان، وتوفى سنة 470ه/1077م[6].

هكذا اتضح أن هناك عوامل متعددة ساعدت على الازدهار الثقافى فى المغرب الأدنى، وكان لها أكبر الأثر فى التطور العلمى والمعرفى بالبلاد، ومن ثم كان الاهتمام بالتعليم ومؤسساته ونظمه المختلفة، والتى سوف نتناولها بشيء من التفصيل فى الفصل التالى.

---

(1) المصدر السابق، ص90 وما بعدها.
(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، ص91 وما بعدها.
(3) المصدر السابق، ص187 وما بعدها.
(4) المصدر السابق، ص241.
(5) صاعد بن أحمد: مصدر سابق، ص81.
(6) ابن جلجل: مصدر سابق، ص88 - 90.

الفصـــــل الثـــانى

دُوُر العلم والثقافة والنظم التعليمية في الدولة الزيرية

- **أولًا: دُور العلم والثقافة:**
  1- الكتَّاب.
  2- المسجد.
  3- الرَبُط.
  4- دار العلم التطبيقى.
  5- المكتبات.
  6- مجالس العلم والمناظرات.
- **ثانيًا: النظم التعليمية:**
  1. مراحل التعليم.
  2. واجبات المعلم.
  3. طرق التعليم.
  4. مناهج المقررات التعليمية.
  5. الإجازة العلمية.

اهتم العرب الفاتحين بنشر علوم دينهم الحنيف بين أبناء المغرب الأدنى، فيذكر أن عقبة بن نافع قد ترك فيهم بعض أصحابه يعلمونهم القرآن(1)، كما أمر موسى بن نصير العرب بأن يعلموا البربر القرآن والفقه، وكان ومن خلال تمازج البربر مع العرب تعلموا اللغة وتعاليم الإسلام الحنيف، فتسنى لأبناء العرب والبربر معًا أن يتلقوا التعليم فى الصغر فى الكتاتيب، ثم تدرجت الدراسة من الكتاتيب إلى المساجد والجوامع، وحلَّق الطلبة على الشيوخ من حفاظ القرآن وقرائه ورواة الحديث وحملة الفقه وما إلى ذلك، فشاعت منذ ذلك الوقت طريقة التعليم على غرار ما كان موجودًا بأمصار المشرق العربى ومدائنه(2).

فانتشر تعليم الصبيان فى المغرب الأدنى مثله فى ذلك مثل باقى المجتمعات الإسلامية آنذاك، فنجد الصبيان يتلقون فى الكتَّاب القراءة والكتابة وتلاوة القرآن، فيمثل الكتَّاب المرحلة الأولى للصبى والتى يتعلم فيها المبادئ الأولية، ثم ينتقل بعدها إلى المرحلة الثانية، حيث يتلقى العلم بالمسجد الذى كان يعتبر المركز العلمى الأهم فى بلاد المغرب حيث كان يعج بالطلبة والعلماء ويتم فيه تدريس كل العلوم الدينية والدنيوية، فيخرج علماء أفذاذ وفقهاء أفاضل يقودوا الأمة بنور العلم إلى التقدم والرخاء(3).

اهتم المجتمع الزيرى بتعليم الأطفال منذ نعومة أظافرهم، وتوضح لنا فتاوى الونشريسى أن الأسرة كانت ترسل بالصبى إلى الكتّاب مع متابعة دقيقة من المنزل لكل تفاصيل العملية التعليمية فى هذه المرحلة الأولى، التى وإن كانت تتميز ببساطتها، إلا أنها تمثل فى كل المجتمعات الواعية، حجر الأساس للمجتمع كله، فنجد الأسرة فى المجتمع الزيرى كانت تهتم بحفظ الصبى لبعض أجزاء من القرآن فى هذه السن الصغيرة وكيفية تجويده، ثم يرسل للمعلم هدية فى عاشوراء والأعياد الدينية الأخرى، وكذلك عند إتمام الصبى لحفظ القرآن(4).

فكان السبب الذى حمل علماء المالكية على الاعتناء بالتأليف فى موضوع التعليم والمتعلمين، هو الحاجة الماسَّة إلى ذلك، وهذا يدل على

(1) ابن عذارى: مصدر سابق، ص42.
(2) حسن حسنى عبد الوهاب: "كتاب العُمُر فى المصنفات والمؤلفين التونسيين"، مراجعة وإكمال: محمد العروسى المطوى، بشير البكوش، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1990م، ج1، ص47.
(3) د/ بشير رمضان التليسى: "الاتجاهات الثقافية فى الغرب الإسلامى خلال القرن 4ه/10م"، دار المدار الإسلامى، ط: الأولى، 2003م، بيروت، لبنان، ص363 وما بعدها.
(4) الونشريسى: مصدر سابق، ج8، ص 236.

مدى انتشار التعليم فى البلاد بين سائر الطبقات، فلولا ذلك الانتشار لما اهتم العلماء بسنِّ القواعد له ووضع الأصول الواجب اتباعها، وممن كان له تواليف فى ذلك محمد بن سحنون (ت: 256ه/870م)[1] الذى كان يؤدب أولاد الأمير محمد ابن الأغلب[2]، وابن أبى زيد (ت: 386ه/996م) يقدم كتابه الشهير (الرسالة)، وهو تأليف مدرسى فى المقام الأول، حيث أنه قد أهداه إلى المؤدب محرز بن خلف، كما نجد أبو الحسن القابسى (ت: 403ه/1012م) من كبار فقهاء المالكية فى عهد بنى زيرى يؤلف كتابًا فى هذا الخصوص باسم (الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين)[3].

وتمثلت المؤسسات التعليمية فى المغرب الأدنى فى: الكتَّاب والمسجد و الرَبُط والمكتبات ودار العلم التطبيقى ومجالس العلم، وكانت لكل مؤسسة منها أثرها فى تقدم الحياة الثقافية والنهوض بالمجتمع الذى أفرز من خلال هذه المؤسسات عددًا غير قليل من العلماء العاملين، وسوف نتناول هذه المؤسسات كما يلى:

أولا: دُوُر العلم:

1) الكُتَّاب:

الكُتَّاب بضم الكاف وتشديد التاء هو موضع تعليم القرآن والجمع الكتاتيب[4]، وفى الاصطلاح الكتَّاب يطلق على الموضع الذى يتم فيه تعليم الصبيان، وهو يتمثل فى حجرة مجاورة فى المعتاد للمسجد بسيطة التأثيث تجمع الشيخ المعلم بالغلمان المتعلمين، متوفرة المستلزمات التعليمية كالدواة والقلم واللوح. ويعود ظهوره كمؤسسة تعليمية إلى بداية ظهور الإسلام حيث اتخذ مكانًا لتحفيظ الصبيان القرآن الكريم، وتعليمهم

---

(1) الشيرازى (أبى اسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الشافعى، ت: 476ه/1083م): "طبقات الفقهاء"، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، ص157 وما بعدها.

(2) أبى العرب (محمد بن أحمد بن تميم ت:333ه/944م): "كتاب طبقات علماء إفريقية"، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، لبنان، ص129 - 132؛ المالكى: مصدر سابق، ج1، ص443 - 458؛ الدباغ: مصدر سابق، ج2، ص 122 - 135؛ محمد بن مخلوف: مصدر سابق، ص70؛ ذكر أبو العرب أن وفاته كانت سنة 255ه/869م.

(3) د/ أحمد فؤاد الأهوانى: مرجع سابق، ص43 - 46. حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص54.

(4) ابن منظور: مصدر سابق، مادة كتب، ص3817.

مبادئ القراءة والكتابة، وكان أثاث الكُتَّاب بسيطًا يتمثل فى حصير مصنوع من الحلفا أو الدوم، وألواح خشبية وأقلام من القصب وقطع من الصلصال ودواة من الصمغ والصوف[1]، وجرار للماء وبعض الأوانى البسيطة ومجموعة من المصاحف وكتب النحو والصرف والسير، وكان فى الغالب غرفة واحدة مفروشة بحصير يجلس عليها الصبيان فى شكل حلقة حول معلمهم[2].

وكانت المرحلة الأولى من التعليم فى بلاد المغرب عامة وفى المغرب الأدنى خاصة تتمثل فى هذه الكتاتيب (المكاتب) فهى أول مكان يتلقى فيها الصبى العلم على يد المعلم أو المُؤدِب، وبدأ ظهور الكتَّاب بعد بناء القيروان فقط بربع قرن ويظهر ذلك من خلال قول غياث بن شبيب قال: "كان سفيان بن وهب[3] صاحب رسول الله ρ يمر علينا، ونحن غلمة بالقيروان، فيسلم علينا فى الكُتَّاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه"[4].

وتبدأ هذه المرحلة عندما يبلغ الصبى سن التمييز فيما بين الخامسة والسادسة من عمره، وكان الكتَّاب أول أومره مكانًا فى المسجد فى زاوية من زواياه أو أمام المحراب، ولكنه انفصل فى أماكن مستقلة بعد كراهية العلماء ذلك لما يحدثه الصبى من تشويش وعدم تحرزه من النجاسة، فاستقل الكتَّاب عن المسجد بأن يكون فى حجرة فى دار المعلم أو يشترك المؤدبون فى وجود محل لتعليم الصبيان (الكتَّاب)[5].

ويُعد الكتَّاب من المراكز التعليمية الأولية التى كانت تشكل قاعدة البناء وأساسه للتعليم الأولى وحفظ القرآن، وتعددت أسماء هذه المؤسسة عند العلماء فمنهم من أطلق عليه اسم المكتب وهذه التسمية أقرب إلى تعليم الكتابة والقراءة، كما سمى بالكتَّاب وهو الذى يعنى بتعليم الأبناء، حيث كان يتردد عليه الصبيان لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن، كما

(1) انظر بالملاحق: (شكل رقم 3/2 - ص248).
(2) قاسمى بختاوى: "التعليم بالكتَّاب فى المغرب الأوسط"، دورية كان التاريخية، السنة الرابعة، العدد الثانى عشر، رجب 1432هـ - يونيو 2011م، الترقيم الدولى المعيارى (ISSN 2090 - 0449)، ص31 - 34.
(3) هو سفيان بن وهب الخولانى كان من أصحاب رسول الله ρ شهد فتح مصر، وبقى حتى ولى الإمارة لعبد العزيز بن مروان، وكان ممن غزا إفريقية عام 78ه/688م، وتوفى عام 82ه/672م. لمزيد من التفاصيل انظر: المالكى: مصدر سابق، ج1، ص89 وما بعدها.
(4) المالكى: مصدر سابق، ج1، ص91؛ الدباغ: مصدر سابق، ج1، ص120.
(5) الونشريسى: مصدر سابق، ج7، ص36 ، 83.

سُمى فى بعض مدن المغرب بالمسيد لقرب مخارج هذه الحروف من حروف المسجد، فأبدلت الياء بالسين[1].

وانتشرت الكتاتيب بمدن وقرى المغرب الأدنى، كما وجدت أيضًا بكثرة في دور الأعيان والأغنياء وفى قصور الأمراء والوزراء، وإن كنا لا نستطيع تعيين عدد الكتاتيب بالقيروان ومدن إفريقية بداية من انتشار الحضارة الثقافية بدولة الأغالبة وازدهارها بدولة بنى زيرى، إلا أننا نستطيع أن نقيس ذلك على مدينة (بَلرمُ) قاعدة صقلية، إذ كان فيها - فى منتصف القرن الرابع الهجرى - ما يزيد عن ثلاثمائة معلم يؤدبون الصبيان، فما بالنا بما كانت عليه القيروان آنذاك وهى حاضرة الثقافة وكعبتها بالمغرب الإسلامى[2].

وكان المعلم أو المؤدب يقوم بتوجيه تلاميذه كما يعلمهم فكان قدوة لهم إذ يتأثرون بأخلاقه لهذا شدّد الفقهاء على ضرورة استقامته وحسن سلوكه وقدرته على العطاء والصبر على تعليم الصبيان ومراعاة قدراتهم، واهتم الفقهاء بهذا الجانب فى تواليفهم، فقد ذكر القابسى الصفات التى ينبغى أن تكون بالمعلم، وهي "أن يكون مهيبًا لا فى عنف، ولا يكون عبوسًا مغضبًا ولا مبسوطًا مرفقًا بالصبيان دون لين، وينبغى أن يخلص أدب الصبيان لمنافعهم، وصفة ضربه ما لا يؤلم ولا يتعدى إلى التأثير المستبشع أو الموهن المُضر، ولا يولى الصبيان الضرب لما علم بينهم من الحمية، ولا يضرب على الرأس والوجه"[3].

وكان المُؤدِب فى هذه المرحلة يُعلم الصبيان القراءة والكتابة بالإضافة إلى حفظ أجزاء من القرآن وتجويده، وذلك من خلال اجتماع الصبيان بالكُتّاب وتلقينهم آيات من القرآن الكريم بصوت واحد على وجه التعليم، مع تعليمهم إعراب القرآن والشكل والهجاء، من خلال كتابتهم للآيات القرآنية على الألواح ويتابعهم المعلم بالنظر فى هذه الألواح وإصلاح ما فيها من خطأ[4]، وكان عند الإتمام الكلى أو الجزئى لحفظ القرآن يقوم المعلم بتعليم الصبى بعض العلوم مثل اللغة والنحو والفقه،

---

(1) د/ رشيدة برادة: "الدور التربوى والتعليمى لمؤسسات التعليم العتيق"، مجلة الجامعة المغاربية، العدد الأول، السنة الثانية، 2007م، ص99.
(2) حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص54.
(3) "الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين"، دراسة وتحقيق وتعليق: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط: الأولى، 1986م، ص128 - 131.
(4) الونشريسى: المصدر السابق، ج8، ص 243 ، 244 ، 248.

على أن يجعل المؤدب لعرض القرآن يومًا معلومًا[1].

أما الحياة فى الكتَّاب فقد كانت بسيطة فى الغالب، وأوقات الدراسة فيه كانت تحدد بعلامات طبيعية فشروق الشمس هو بداية اليوم الدراسى صيفًا وشتاء، وآذان العصر نهايته، أما الأيام التى يتم فيها التعليم بالكتاتيب فاختلف فى تحديدها، فذكر أنها خمسة أيام فقط والعطلة الأسبوعية يومى الخميس والجمعة، كما ذكر أنها ستة أيام والعطلة الأسبوعية يوم الجمعة فقط[2].

وكان الآباء ببلاد المغرب الأدنى يهتمون بتعليم أولادهم اهتمامًا كبيرًا، ذكورًا كانوا أو إناثًا، فهذا **أسد بن الفرات** (ت: 213هـ/828م)، يعلم ابنته أسماء التى نالت من العلم درجة كبيرة، فقد أحسن تهذيبها وتثقيفها حتى اشتهرت بالفضيلة ورواية الحديث والفقه على رأى أهل العراق[3]. وكذلك كان الإمام **سحنون** (ت: 240هـ/854م) يُعلم ابنته خديجة أخت محمد بن سحنون[4]، ومثله القاضى **عيسى بن مسكين** (ت: 275هـ/888م)، بعدما يجلس للطلبة فى العصر، كان يقرئ بنتيه وبنات أخيه يعلمهن القرآن[5].

وإذا كان القرن الثالث الهجرى قد شهد اهتمامًا بتعليم البنات فنعتقد أن فترة الدراسة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين قد شهدت نفس الاهتمام، فقد أكد علماء هذه الفترة أهمية تعليم البنات، ويجدر بنا التذكير في هذا المقام برأى القابسى حول تعليم البنت المسلمة فيقول: "وأما تعليم الأنثى القرآن والعلم، فهو حسن ومن مصالحها. فإما أن تُعلَّم الترسل والشعر وما أشبهه، فهو مخلوف عليها ... وسلامتها من تعلم الخط أنجى

---

(1) الخشنى (محمد بن الحارث بن أسد الخشنى، ت: 366هـ/977م): "طبقات علماء إفريقية"، تقديم وتحقيق: د/ محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط: الأولى، 1413هـ - 1993م، ص98.

(2) التادلى (أبى يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى التادلى المعروف بابن الزيات التادلى، ت: 617ه/ 1220م): "التشوف إلى رجال التصوف"، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس، الرباط، ط: الثانية، 1997م، ص227.

(3) حسن حسنى عبد الوهاب: شهيرات التونسيات، ص45.

(4) المرجع السابق، ص47.

(5) محمد بن سحنون (أبو عبد الله محمد بن أبى سعيد سحنون بن حبيب التنوخى، ت: 256ه/870م): "كتاب آداب المعلمين"، تحقيق: العلامة/ حسن حسنى عبد الوهاب: مراجعة: محمد العروسى المطوى، دار الكتب الشرقية، تونس، 1392ه - 1972م، ص21.

لها"[1]، وهذا يدل على حث الإسلام على تعليم الأنثى العلم النافع لها ولأسرتها فى الدنيا والآخرة والبعد عن كل ما يشغلها عن عبادة ربها وتقواه، وبطبيعة الحال كان يراعى فى التعلم عدم الاختلاط بين الذكور والإناث[2].

وكان المؤدب (المعلم) يقوم بتعليم الصبيان مقابل أجرًا معلومًا ويكون الدفع حسب الاتفاق إما مقدمًا أو مسبقًا كل شهر أو كل سنة[3]، وكانت تقدم له الهدايا فى الأعياد والأختام، وكانت عطلة الدروس كما ذكرنا من يوم الخميس بعد العصر إلى يوم السبت صباحًا، وكذلك أيام الأعياد من يوم لثلاثة أيام بعيد الفطر وتصل إلى خمسة أيام بعيد الأضحى[4].

ويغادر الطفل الكتَّاب فى سن البلوغ، وقد حفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة، ولاشك أن بعض العائلات الثرية كانت تكلف بعض المربين للاستمرار فى تعليم أبنائهم فى منازلهم حيث يحيطون بالعلوم السائدة، وكانوا يجزلون لهم الأموال، خاصة وأن التلاميذ بعد الكتَّاب كانوا لا يجدون معهد أو مدرسة ليتعلموا بها فكانوا يعتمدون على أنفسهم أو مساعدة زملائهم الأكبر سنًا حتى يتحولوا إلى حلقات دروس الشيوخ حيث تلقى العلوم الشرعية والفقه[5].

واشتهر من المؤدبين فى هذه الفترة **أبو اسحاق الجبنيانى** (ت: 369ه/980م) مجمع على فضله وورعه، أخذ عن عيسى بن مسكين بالإجازة، أثنى عليه أبو الحسن القابسى وأبو محمد بن أبى زيد[6].

ومن المؤدبين المعروفين فى فترة حكم بنى زيرى **أبو الحسن على بن حمديس** (ت: 403ه/1012م) هو المتعبد المؤدب الفاضل، كان من العباد المجتهدين المحزونين[7].

واشتهر من المؤدبين فى دولة بنى زيرى الشيخ **محرز بن خلف**

---

(1) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين، ص95.
(2) ابن سحنون: "مخطوطة آداب المعلمين"، مقاسات المخطوطة: 22سم × 14.5سم، تاريخ النسخ: 1039ه/ 1630م، معهد الثقافة والدراسات الشرقية، جامعة طوكيو، اليابان، http://ricasdb.ioc.u-tokyo.ac.uj، ص3. انظر بالملاحق: (شكل رقم 1/3 - ص251 - 253).
(3) القابسى: مصدر سابق، ص103؛ الونشريسى: مصدر سابق، ج8، ص 236.
(4) القابسى: مصدر سابق، ص135 وما بعدها.
(5) الونشريسى: مصدر سابق، ج8، ص 248.
(6) محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص95.
(7) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 134.

التونسى (ت: 413هـ/1022م) أخذ العلم عن علماء تونس، وكان فقيهًا عالمًا غلب عليه الزهد والعبادة، واشتغل بتربية الصبيان وتعليمهم العربية وأصول الدين، وهو الذى سأل الفقيه أبى محمد عبد الله بن أبى زيد (ت: 386هـ/996م) تأليف كتاب "الرسالة" وهو مختصر فى اعتقاد أهل السنة مع فقه وآداب تعلم أولاد المسلمين، وانتشر كتاب الرسالة فى بلاد إفريقية والأندلس والمغرب وسائر بلاد المسلمين[1].

ومن معلمى الكتاتيب **محمد بن عبد الله الضرير** (ت: 414هـ/1023م)، الذى كان يقرأ القرآن بروايات ويعلم الصبيان[2]. وكذلك كان **أبى جعفر المؤدب** بطرابلس الغرب كان عالمًا فاضلًا وقد أخذ عنه العلم ابن ميمون وغيره[3].

وعرف من المؤدبين فى عصر بنى زيرى **أبو محمد عبد البارئ ابن حسن التميمى** (ت: 437هـ/1046م)[4].

وكان أيضًا المؤدب **القفصى** (ت: ق 5هـ/ 11م) وهو أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن إبراهيم من فقهاء قفصة وفضلائها قرأ على عبد المنعم ابن بنت خلدون والتونسى والسيورى وغيرهم[5].

هكذا كان التعليم فى الكتاتيب مرحلة ضرورية فى حياة مجتمع المغرب الأدنى خلال هذه الفترة، تعددت أغراضه من تعليم الصبيان القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة وشيء من العلوم الأخرى كالحساب والنحو واللغة، مع الحث على التحلى بالأخلاق الحميدة واكتساب الفضائل، فتعلم الصبى الصلاة والصوم والقرآن مع صفات أساسية كاحترام الكبير وطاعة الوالدين والمعلمين، فهكذا كان الاهتمام بالناحيتين العلمية والأخلاقية لتنشأة الصبى، مما يجعله مؤهلًا لاستكمال مشوار تعليمه من خلال حلق التعليم بالمساجد.

2) المسجد:

المسجد فى اللغة هو الموضع الذى يسجد فيه، فكل موضع يُتعبد فيه

---

(1) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص294؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص109 - 121.

(2) ابن رشيق: (حسن بن رشيق القيروانى، ت: 456هـ/1063م): "أنموذج الزمان فى شعراء القيروان"، جمع وتحقيق: محمد العروسى المطوى، بشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، 1406هـ - 1986م، ص387 - 389.

(3) القاضى عياض: مصدر سابق، ج1، ص54 - 57.

(4) المصدر السابق، ص176.

(5) حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص688 - 690.

فهو مسجد[1]، والمسجد هو المركز الأول للإشعاع الروحى والعلمى لأنه مكان العبادة والتعلم، وموطن التفقيه والتوجيه، فلم تعرف المساجد بأنها دورًا للصلاة والعبادة والاعتكاف[2] فحسب، بل كانت رسالة المسجد أشمل وأعم فى الحضارة الإسلامية، فعرف المسجد بأنه المركز الرئيسى لإدارة البلاد سياسيًا وعلميًا واجتماعيًا، ففى مسجد الرسول ρ استقبلت الوفود وأطلقت البعوث وأرسلت الجيوش، وكان المسجد مقرًا القيادة العسكرية وعقد الألوية للجيوش المجاهدة فى سبيل الله، ومكانًا للتشاور ومقرًا للفصل فى القضايا وحلف اليمين، ولم يكن ذلك فحسب بل كان بمثابة المدرسة التى يتعلم فيها الناس علوم القرآن والسنة والشريعة، وكل علم ينفع الإنسان، هكذا كان المسجد فى كل الحقب التاريخية للإسلام وفى كافة البلدان الإسلامية. كما استخدم المسجد فى المغرب الأدنى أيضًا للأغراض الحياتية مثل تجفيف الشعير الأخضر والتين، وكان ذلك من باب الضرورة خاصة فى المدن التى ليس بها نهر[3].

وتتفق المدينة الإسلامية فى تخطيطها فى كل أنحاء العالم الإسلامى، وجرى المسلمون فى جميع فتوحاتهم على أن يكون المسجد الجامع وإلى جانبه دار الإمارة، أول ما ينشئون فى الأمصار التى يتخذونها لتكون مقر حكمهم ومركز نشاطهم وتحركاتهم، والمسجد الجامع الذى لا يختلف كثيرًا فى نظام بنائه سواء كان بالمغرب أم مصر أم الأندلس أم باقى مدن العالم الإسلامى، فكان هو المركز الذى تلتف حوله بقية المراكز العمرانية فكان أساسًا للتنظيم العمرانى للمدينة الإسلامية، واهتم المسلمون الأول فى فتوحاتهم الكبرى بتشييد المساجد فى المدن المفتوحة التى كانت وثنية أو نصرانية لإضفاء الصبغة الإسلامية عليها[4].

يعتبر التعليم بالمسجد مرحلة ثانية بالنسبة للتعليم فى الكتَّاب، ولهذا يعد من المؤسسات التعليمية ذات الأهمية الكبيرة، وذلك ما جعله يحتل الصدارة فى المجتمع الإسلامى باعتباره مكان عبادة وتعلم وتعليم وتوجيه وإرشاد، وكانت تنظم في المسجد الحلقات العلمية فى أوقات ما بعد الصلاة دون أن تخضع هذه الحلقات لبرامج أو مقررات محددة، ودون أن يلتزم فيها طلبة العلم بحلقة معينة، بل كانت لهم حرية الانتقال

(1) ابن منظور: مصدر سابق، مادة سجد، ص1940.
(2) صالح عبد السميع الآبى الأزهرى: "رسالة الإمام ابن أبى زيد القيروانى وبهامشها الشرح المسمى الثمر الدانى فى تقريب المعانى لرسالة ابن أبى زيد القيروانى"، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، مصر، 1338هـ - 1920م، ص243.
(3) الونشريسى: مصدر سابق، ج8، ص440 - 442.
(4) أحمد أمين: مرجع سابق، ج2، ص53.

من حلقة إلى أخرى، كما أن علماء هذه الحلقات كانوا يدرسون بالمجان، ولا يسعون فى طلب أجر مادى فى مقابل الدروس التى يلقونها[1].

وقد شهدت بلاد المغرب الأدنى منذ الفتح بناء عدد كبير من المساجد، أهمها كان المسجد الجامع بالقيروان (مسجد عقبة بن نافع)[2] والذى كان منذ تأسيسه سنة 50هـ/660م من أهم مراكز العلم بالمغرب الإسلامى، حيث كان يموج بالفقهاء والعلماء والطلاب منذ تأسيسه، وكان الشيوخ يجلسون عند أحد الأعمدة ويتحلق الطلاب حولهم فى حلقات[3] ثم يتولى هؤلاء الشيوخ تدريس العلوم الدينية والشرعية والنحو واللغة، وكذلك تعلم الحساب[4].

وكانت الدراسة فى هذه المرحلة تتم بواسطة الألواح، ولا تستعمل فيها الكتب إلا بعد بلوغ الطلبة مرتبة عليا فى الدراسة، حينها يقبل الطلبة على استنساخ كتبهم الخاصة، وذلك لانعدام المطبوعات، وكثيرًا ما كان الطلبة يستعيرون الكتب من الخزانات المعروفة[5].

واستمرت العلوم الدينية من تفسير وحديث تروى فى حِلَق التعليم بالمسجد الجامع بالقيروان، ولم تكن مذاهب السنة تمحصت بعد، لذا كان أصحاب الآراء المخالفة لها يجتمعون فيه، ويتناظرون فى مذاهبهم، ويلقون الدروس فيها، ودامت هذه الحال إلى أن تولى الإمام سحنون خطة القضاء بالقيروان سنة 234هـ/848م، وحينئذٍ منع التدريس به لمن لم يكن على مذاهب السنة، فكان سحنون أول من فرق حلق أهل البدع من المسجد الجامع، وشرد أهل الأهواء منه[6]، ومن ذلك الحين أصبح المسجد الجامع لتعليم أصول الشريعة لجماعة السنة دون سواهم، حتى حكم بنو عبيد الفاطميون للبلاد، فأمروا بتعطيل تعليم أصول الشريعة على مذاهب السنة، ومنعوا شيوخ القيروان من إلقاء دروسهم فى المسجد

---

(1) د/ رشيدة برادة: مرجع سابق، ص105.
(2) يحتوى مسجد عقبة على عناصر معمارية ظهرت لأول مرة فى تاريخ العمارة ولاقت انتشارًا كبيرًا فى العالم الإسلامى، مثل محراب عقبة والذى يعد أول محراب مجوف فى الإسلام، كما يعد المنبر به من أقدم المنابر المعروفة وأكثرها إبداعًا من حيث الزخرفة المنحوتة بدقة فائقة. لمزيد من التفاصيل انظر: د/ نجوى عثمان: "مساجد القيروان"، مطبعة دار عكرمة، دمشق، سوريا، ط: الأولى، 2000م، ص77 وما بعدها. انظر بالملاحق: (شكل رقم 4/2 ، 5/2 - ص 250 ، 251)
(3) الونشريسى: مصدر سابق، ج9، ص 27.
(4) المصدر السابق، ج11، ص 13.
(5) د/ رشيدة برادة: مرجع سابق، ص106.
(6) الدباغ: مصدر سابق، ج2، ص77 - 101؛ محمد بن مخلوف: مصدر سابق، ص62 ، 69.

الجامع، اللهم إلا دروس اللغة العربية وما ليس له مساس بالعقائد، فركن شيوخ المالكية والحنفية إلى إقراء تلاميذهم تلك العلوم فى بيوتهم ودكاكين حرفهم، فيذكر لنا الدبَّاغ عن ربيع القطان المتوفى سنة 333ه/944م: "أنه كان ملتزما الإقراء في الحانوت الذى يبيع فيه القطن، وفيه كان يأتيه من يدرس عليه من الطلبة أو من يسأله ويستفتيه"[1].

لكن بمجرد نزوح الملوك الفاطميين إلى مصر، وتولى بنو زيرى أمور البلاد، عادت الدراسة فى المسجد الجامع بالقيروان ودرست علوم أهل السنة كما كانت من ذى قبل، واهتم أمراء البيت الزيرى ببناء المساجد وتجديدها، والحبس عليها وتعميرها والنظر فى مصالحها[2]، وذلك لدورها الهام فى الحياة العلمية، كما شملت رعايتهم الشيوخ وأبنائهم وذراريهم وإعفائهم من الضرائب[3].

وكان طالب العلم عند حصوله على الإجازة يقوم بتدريس المادة المُجاز فيها، فقام بالتدريس العديد من العلماء مثل **ابن شبلون** (ت: 390ه/ 1000م) - هو أبو القاسم عبد الخالق ابن خلف - أخذ العلم على ابن أخى هشام وابن الحجاج والكانشى، وكان الاعتماد عليه في القيروان فى الفتوى والتدريس بعد أبى محمد أبى زيد، وصنَّف العديد من المؤلفات، وجمع بين الفقه الحسن والأحوال السنية[4].

كما اشتهر **ابن مناس** (ت: 390 أو 391ه/ 1000/999) - هو أبو موسى عيسى بن مناس اللواتى - بالتدريس والتأليف وكان مفتيًا بارعًا له فصاحة وجزالة[5].

وممن اشتهر بالتدريس فى إفريقية **أبو على حسن ابن خلدون البلوى** (ت: 407ه/ 1017م) فقد كان جليل القدر شديدًا على أهل البدع والروافض[6]، وكان يقوم بالتدريس بمسجده بالقيروان وهو المسجد الذى استشهد فيه رحمه تعالى[7].

---

(1) معالم الإيمان: ج3، ص30.
(2) التجانى: مصدر سابق، ص220.
(3) كمال السيد مصطفى: مرجع سابق، ص109 وما بعدها.
(4) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 123 وما بعدها؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص259 وما بعدها.
(5) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 128.
(6) نجم الدين الهنتاتى: "المذهب المالكى بالغرب الإسلامى إلى منتصف القرن 5ه/11م"، تبر الزمان، تونس، 2004م، ص179 وما بعدها.
(7) ابن السبكى: (تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى، ت:771ه/1370م): "طبقات الشافعية الكبرى"، تحقيق: محمود محمد الطناخى، عبد

وممن قام بالتدريس فى الدولة الزيرية **ابن جعفر القزَّاز** (ت: 412هـ/ 1027م) خاصة فى النحو واللغة وكانت طريقة القزاز فى درسه أن يلقى على تلاميذه مشكلات المسائل اللغوية وأبيات الشعر العويصة، ويطلب منهم بيان معانيها وتفسير ألفاظها وفهم أغراضها[1].

وعُرِفَ **العطار** (ت: 428هـ/1037م) - هو أبو حفص عمر بن أبى الطيب محمد التميمى - بالتدريس وانتفع به خلق كثير منهم عبد الحميد بن الصائغ المهدوى وابن سعدون، فكان من أئمة فقهاء القيروان حافظًا قيمًا بالمذهب حسن الاستنباط[2].

كما قام **أبو عمران الفاسى** (ت: 430هـ/ 1039م) بتدريس علوم القرآن والحديث والفقه فكان فقيهًا عالمًا بفنون العلم وعلوم الحديث، وكان فى اختلاف دائم مع أبى بكر بن عبد الرحمان، ومن مؤلفات أبى عمران الفاسى كتاب التعاليق على المدونة الذى يتضمن معلومات حول التراجم[3].

ودرَّس **ابن الضابط** (ت: 440هـ/1048م) علم الحديث واللغة والأدب بالقيروان، ووصف بكونه سفيرًا للمعز بن باديس، وله عدة مؤلفات منها رحلة إلى المشرق ومجموعة من الأحاديث النبوية المعروفة باسم عوالى الصفاقسى وكتاب الاقتصاد فى القراءات السبع[4].

كما كان **لأبى العباس بن عمار المهدوى** (ت: 440هـ/ 1048م) العديد من الدروس، وقد قرأ الحديث على القابسى، والقراءات على أبى عبد الله محمد بن سفيان[5].

وقام بالتدريس من العلماء المعروفين **اللبيدى** (ت: 446هـ/1054م) - هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المصرى - فكان فقيهًا فاضلًا بالقيروان وقرأ على ابن أبى زيد وأبى الحسن القابسى الذى أرسله للتدريس بالمهدية وأخذ عنه جماعة كبيرة من الإفريقيين والأندلسيين الوافدين على البلاد[6].

الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط: الأولى، ج3، ص367 وما بعدها.

(1) السيوطى: بغية الوعاة، ج1 ص71.
(2) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص164 وما بعدها.
(3) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 159 - 165.
(4) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص22.
(5) المصدر السابق، ج1، ص138.
(6) القاضى عياض: مصدر سابق، ص834؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 175؛ ابن

وقام **الديباجي أو ابن الصابونى** (ت: ق5ه/11م) - هو عبد الجليل بن أبى بكر الربعى القروى - بتدريس أصول الفقه، فقد وُلد بالقيروان وقرأ بها على علمائها مثل أبى عمران الفاسى وأبى عبد الله الأذرى وغيره، فكان عالمًا بالأصول مدرسًا لها، وله فيها تصانيف منها [الكتاب المستوعب فى أصول الفقه]، ومنها [كتاب الانتصار]، وأقرأ الناس بجامع عقبة فأخذ عنه كثيرون علم أصول الفقه[1].

ومن المعلمين المعروفين **السيورى** (ت: 462ه/1070م) قرأ النحو والكلام والفقه، وانتفع به خلقٌ كثير لأنه أفرد نفسه للدرس فانتفع به الناس ومنهم عبد الحميد المهدوى واللخمى وابن سعدون وغيرهم، بقيَ بعد خراب القيروان مدة فهو يعد آخر علماء الطبقة العالية من الفقهاء القيروانيين ودفن بداره[2].

كما عُرِف بالتدريس **أبو بكر أحمد ابن أبى محمد عبد الله** (ت: بعد 460ه/1068م)، هو ابن أبى محمد ابن أبى زيد، له مشايخ جلة وروايات كثيرة وروى كتاب التهذيب عن مؤلفه أبى القاسم البراذعى، وأخذ عنه الناس، فكان فقيهًا فاضلًا ولاه المعز بن باديس قضاء القيروان فى سنة 435ه/1044م بعد ابن هاشم، توفى ودفن بالقيروان[3].

وممن قام بالتدريس **ابن الحدَّاد المهدوى** (ت: 490ه/ 1097م)، هو أبو الحسن على بن محمد بن ثابت الخولانى المعروف بالحداد، فقد كان عالمًا يجلِّه ويقدره الأمير تميم بن المعز، واختص بتدريس النحو وألف عدة كتب فيه.[4] وكذلك كان **عبد الواحد بن تميم التجيبى الكفيف** كثير الدرس يدرس مع رجل فإذا أعيى ذلك الرجل قام إلى آخر، وقد أثنى عليه أبو اسحاق التونسى[5].

كما كان **أبو على حسن بن حمدون الجلولى** من العلماء المعدودين بوجوه القراءات فكان إمامًا فيها، وانتفع به خلقٌ كثير. ومثله فى ذلك **أبو عبد العزيز بن أخى عبد الحميد** فكان عالمًا بالقراءات وأخذ عنه عالم

فرحون: مصدر سابق، ج1، ص484.
(1) ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى ابن الأبار البلنسى، ت: 658ه/ 1260م): "التكملة لكتاب الصلة"، تحقيق: د/ عبد السلام الهراش، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1415ه - 1995م، ج3، ص133.
(2) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 181 - 184؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص22.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 187 - 189.
(4) ابن غلبون: مصدر سابق، هامش ص 27 وما بعدها.
(5) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص185.

كثير من الناس.[1] ومن أفضل المعلمين بالقيروان فى ذلك الوقت **أبو حفص عمر بن محمد العطار** انتفع به خلق كثير من الناس منهم ابن الصائغ وابن سعدون، وكان له تعليق على المدونة[2].

أما جامع الزيتونة فهو المعهد الثانى للتعليم فى المغرب الأدنى وهو المسجد الجامع بمدينة تونس[3] وكان للمسجد أربعة أروقة تسمى بالمجنبات وتحيط بصحن الجامع، وبنيت فى عهد الدولة الزيرية كما تقول الكتابة على واجهة بيت الصلاة، وقام أمراء بنو خراسان[4] بعمل العديد من الزيادات بالمسجد فزادوا من عدد الأبواب التى صارت اثنى عشرة بعد أن كانت ستة أبواب فقط بالعهد الأغلبى، وبالمسجد ألواح كبيرة من المرمر مختلفة الأحجام ومزخرفة بأنواع من الزهور البارزة ويحيط بها إطار بكتابة كوفية ترجع للعهد الأغلبى[5].

وأقدم أثر يشير إلى تداول التعليم بالزيتونة يرجع إلى **أبى البشر زيد بن بشر الأزدى**، وهو من أبناء مدينة تونس وعلمائها المحدثين، رحل للمشرق لتلقى العلم ثم عاد إلى الزيتونة وأقرأ بها زمنًا طويلًا ورحل إليه من القيروان خلقٌ كثير[6]، ومن العلماء من قام بالتدريس فى جامع الزيتونة مثل **أبى الحسن بن زياد التونسى**، و**محرز بن خلف**

---

(1) المصدر السابق، ج3، ص186.
(2) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص164.
(3) جامع الزيتونة: اختطه القائد الأموى حسان بن النعمان حوالى سنة 80ه/699م، وكان تخطيطه فى غاية البساطة، ثم أعاد بناءه القائد عبيد الله بن الحبحاب سنة 116ه/734م، ثم جدده زخرفه الأمير الأغلبى أبو إبراهيم أحمد بن محمد سنة 242ه/856م، وأتم بنيانه أخوه زيادة الله الثاني سنة 250ه/864م. ولم يكن مسجد الزيتونة له مأذنة فى بداية إنشائه، مثله فى ذلك مثل باقى مساجد وجوامع البلاد المغربية فى الثلاثة قرون الأولى للهجرة، فلم يكن لها مآذن عدا جامع عقبة بالقيروان. لمزيد من التفاصيل انظر: النويرى: مصدر سابق، ج24، ص66؛ د/ محمد زينهم محمد عزب: "تاريخ مملكة الأغالبة لابن وردان"، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط: الأولى، 1408هـ - 1988م، ص58 - 60؛ بشير التليسى، الاتجاهات الثقافية، ص78.
(4) بنو خراسان: هى عائلة حكمت مدينة تونس بين 451ه/1059م - 553ه/1158، ومؤسسها هو عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان، والذى أدار الحكم فى تونس تبعًا للزيريين وتولى من بعده ابنه عبد العزيز، وفى سنة 544ه/1149م حكم الخراسانيون بأنفسهم فى ظل عبد الله بن خراسان ثم على بن أحمد بن عبد العزيز واستمر بنو خراسان فى الحكم حتى قضى الموحدون على إمارتهم سنة 553ه/1158م. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص299 ، 315.
(5) حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص 64 - 67.
(6) القاضى عياض: مصدر سابق، ج4، ص99 وما بعدها.

(413هـ/1022م) وكذلك **محمد بن سعدون** (486هـ/1093م)[1].

كما كان **أبو العباس الإبياني** يقرئ فيه الحديث ومسائل الفقه.[2] ومن هؤلاء العلماء أيضًا الفقيه المعروف **بابن الصائغ** (ت: 486هـ/ 1093م) وأصله من القيروان وكان فقيها أصوليًا[3]. وهكذا كان مسجدا عقبة بن نافع والزيتونة من منابر العلم بالمغرب الأدنى، وكان لهما دورًا مهمًا فى تخريج العديد من جهابزة العلماء والمحدثين.

ومازالت المساجد تنشأ فى أنحاء المغرب الأدنى ينشئها العلماء فى جهات إقامتهم، كإسماعيل ابن أبى المهاجر وسائر أعضاء البعثة التى أرسلها عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية، فكان لكل منهم مسجده الذى يؤدى فيه صلاته ويعقد فيه مجلس درسه، وانتشرت المساجد فى عهد بنى زيرى من بينها:[4]

- مسجد الحسن بن خلدون[5].
- مسجد أبى بكر بن عبد الرحمان (ت: 432 أو 435هـ/ 1040-1043م)[6].
- مسجد السدرة[7].
- مسجد أبى الحكم[8].
- مسجد أبى زرجونة[9].
- مسجد ابن أبى نصر[10].

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 198.
(2) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص297؛ حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص72.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 200 وما بعدها؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص260.
(4) د/ محمد طه الحاجرى، "دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية فى المغرب العربى"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1403هـ - 1983م، ص59 وما بعدها.
(5) هو مسجد الإمام الحسن بن خلدون البلوى الذى قتل فيه سنة (407هـ/1017م). لمزيد من التفاصيل انظر: الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص153.
(6) هذا المسجد كان موجودًا بالقرب من سور المدينة بحارة الغرانطة. لمزيد من التفاصيل انظر: الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص169.
(7) يوجد بحارة السدرة وهى من أحياء مدينة القيروان. لمزيد من التفاصيل انظر: أبى العرب: مصدر سابق، ص120؛ المالكى: مصدر سابق، ج1، هامش ص208.
(8) وقد اعتصم السبائى بهذا المسجد للعبادة مدة عشرين سنة. لمزيد من التفاصيل انظر: المالكى: مصدر سابق، ج2، ص474.
(9) لعل هذا المسجد ينسب إلى أحد صلحاء القيروان القائمين على خدمة المسجد. لمزيد من التفاصيل انظر: المصدر السابق، ج2، ص204.
(10) المصدر السابق، ج1، ص336.

- مسجد عون[1].
- مسجد ابن اللجّام[2].

(1) المسجد ينسب لعون بن يوسف صاحب سحنون. لمزيد من التفاصيل انظر: المصدر السابق، ج1، ص375.
(2) هو أبو محمد عبد الله بن سعد اللجَّام. لمزيد من التفاصيل انظر: المصدر السابق، ج2، ص332.

- مسجد أبى الفتح[1]. - مسجد رحبة القرشيين[2].
- مسجد المقرعة[3].
- مسجد أبى عبد المطلب الواقع بباب سلم (أو أسلم) [4].
- مسجد باب سلم المعلق الكبير، وأخيرًا مسجد المرجى (أو المرخى) ورد ذكره فى قبرية مؤرخة فى سنة 416ه/1025م[5].

وانتشرت الدروس فى هذه المساجد فهذا **مؤمن بن فرج الهوارى الطرابلسى** (ت: 442ه/1050م) كان فقيهًا معروفًا وعرف بدروسه فى المسجد بوسط طرابلس، وهو من أقران ابن المنمر[6].

كذلك كان **أبو محمد بن الصائغ** مدرسًا ومفتيًا، وتفقه به أبو عبد الله المازرى وغيره، وخرج إلى سوسة بعد محنة ألمت به، ثم عاد للتدريس والفتيا بعد دخول الإفرنج المهدية. كما ألقى **اللخمى** (ت: 478ه/1085م) دروسه فى مسجده بصفاقس وأخذ عنه أبو عبد الله المازرى وغيره، فكان فقيها فاضلًا[7].

هكذا كان للمسجد أهمية كبيرة فى العالم الإسلامى بوجه عام، وبالمغرب الأدنى على وجه الخصوص، حيث أنه كان بمثابة المؤسسة العلمية الأهم فى تلقى العلوم ونشرها.

3) الرَبُط:

الرَبُط جمع الرباط والرباط مصدر رابط، أى لازم[8] بمعنى الإقامة وملازمة الرباط، ومدلولها اللغوى تعنى ملازمة ثغر العدو واحتباس النفس فى الجهاد والحراسة، فالرباط منشأة دينية إسلامية تقام على السواحل لدرء

---

(1) يقع فى المكان الذى ينتصب فيه أصحاب الشواذك (صانعو الأغطية). لمزيد من التفاصيل انظر: المصدر السابق، ج1، ص138.
(2) أبو العرب: مصدر سابق، ص231.
(3) هو مسجد قريب من المسجد الأعظم بالقيروان. لمزيد من التفاصيل انظر: المالكى: مصدر سابق، ج2، ص398.
(4) قد أهدت إليه الأميرة أم العلو اخت المعز بن باديس مصحفًا. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص284؛ حسن حسنى عبد الوهاب: شهيرات التونسيات، ص77 - 80.
(5) الهادى روجى إدريس: مرجع سابق، ج2، ص15 - 20.
(6) ناصر الدين محمد الشريف: مرجع سابق، ص88.
(7) القاضى عياض: مصدر سابق، ص850؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص104 وما بعدها.
(8) ابن منظور: مصدر سابق، مادة "ربط"، ص1561.

خطر العدو ودفع أذاه عن أراضى المسلمين، فهو عبارة عن ثكنة تتكون من صحن ومن عشرات الغرف الإنفرادية حوله، ومن الطبقات التى تعلو جوانبه، وتنتهى بجامع كبير وصومعة مستديرة للآذان، وخصوصًا لمراقبة السواحل من غارات الروم، وإقامة العلامات النارية بالليل، وكان الرباط قبل ظهور بنى زيرى له دور عسكرى لا يستهان به حيث كان يمثل مؤسسة عسكرية تضم العدد الكثير من المقاتلين، وكان يحبس للرباط العديد من الأوقاف، وكان يشرف عليها أمناء، وكان من هذه الرباطات رباط المنستير الذى أوقف له العديد من البساتين(1).

واستخدم لفظ الرباط بأنه الموضع الذى تلتزم فيه للعبادة، ففى عهد بنى زيرى كان أهل القيروان يتوافدون على المنستير لقضاء شهر رمضان وفى الأعياد والمواسم مثل موسم عاشوراء، وإن قد استحدثت بعض البدع مثل التجمع بعد صلاة العشاء ويتوجه الناس إلى السور على ضوء الشموع مرددين (سبحان الله وبحمده .. سبحان الله العظيم)، ثم يطوفون الشوارع مارين بالدكاكين إلى أن يصلوا إلى السور، وقد تم إنكار هذه البدعة فى حينها(2) وما تبعها من ارتداء للأكسية والملابس الصوفية الخشنة السوداء لما فيها من التشبه بالرهبان النصارى(3).

وانتشرت الرَبُط فى المغرب الأدنى فيذكر البكرى أن خارج مدينة سوسة العديد من الربط ومجامع الصالحين، أجلّها رباط المنستير والذى بناه هرثمة بن أعين سنة 180هـ/794م، كما ذكر "أن به العديد من البيوت والحجر والطواحين ومواجل الماء وهو حصن عالى البناء"(4).

وكانت الرَبُط اعتمادها على ما يقدمه ذوو الإحسان من هبات لتطويرها وصيانتها، وإطعام المقيمين بها، فقد ذكر البكرى ذلك بقوله: "... وكان أهل القيروان يخرجون إليهم بالأموال والصدقات الجزلة"، كما يتحدث عن مرابطة النساء وتخصيص أماكن لهن(5).

فقد تعددت مهام الرباط فى المغرب الأدنى فكان ينطلق منه الجيش لمحاربة الأعداء كما حدث فى حروب بنى زيرى فى عهد يحيى بن تميم (501 - 509هـ/ 1108 - 1116م) والذى وجه كل اهتمامه إلى البحر، وزاد عدد السفن وكثر من الغزو فى البحر انطلاقًا من رباط المنستير

---

(1) المالكى: مصدر سابق، ج2، ص469 - 506.
(2) الونشريسى: مصدر سابق، ج12، ص362.
(3) المصدر السابق، ج12، ص364.
(4) المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب: ص35 وما بعدها.
(5) البكرى: المصدر السابق، ص36.

عن طريق شن الغارات على السفن التجارية النصرانية بلا انقطاع[1].

كما كان من مهام الرباط الانقطاع للتعبد، فرباط المنستير كان مقرًا ومقامًا للصالحين والعلماء والفقهاء،[2] فكثيرًا ما نجد فى تراجم العلماء "وكان فقيهًا صالحًا عابدًا ذا حج ورباط وسياحة"[3]. فكان الطبيب **أبو جعفر أحمد بن الجزار** (ت: 369ه/ 980م) يقرئ الطب ويعالج المرضى الفقراء فى أشهُر معلومة من السنة فى الرباط احتسابًا[4].

والذى يهمنا فى هذا المقام هو كون الرباط مؤسسة تعليمية احتل مكانة كبيرة فى عهد بنى زيرى، فكانت الرباطات يؤمها العلماء والطلبة من كل حدب وصوب، فيذكر لنا البكرى عن المنستير قائلًا: "...بالطبقة الثانية منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين قد حبسوا أنفسهم فيه منفردين دون الأهل والعشاير"[5]، وهذا يعنى أن حلقات الدروس ومجالس العلم والمناظرة بين العلماء كانت تقام فى الأربطة شأنها فى ذلك شأن المساجد، فكان العلماء يقضون بالرباط أوقاتًا طويلة[6].

فكانت الرَبُط دائمة الحركة يقطنها الكثير من العلماء فتذكر لنا المصادر أن **ابن التبان** (ت: 371ه/981م) قد خرج مرة إلى المنستير فخرج إليه أهل البوادى والقرى والمهدية وسوسة والحصون يسألونه عن نوازلهم، فسألوه إلى وقت الظهر، فأغلق بابه ثم قال لمن كان معه أفتيت اليوم فى ألف مسألة[7].

وكان **أبو اسحاق التونسى** (ت: 443ه/1051م) الفقيه العالم قد خرج بعد محنة مرت به إلى منستير الرباط وهو قصر الرباط الكائن بسوسة المعدّ للعبادة كقصر المنستير[8].

وهكذا أصبح الرباط مركز ثقافى يبث فيه المرابطون العلم للناس، فضلًا عن كونه معهد لصناعة الحبر والرق والكاغد لتوزع على الطلبة

(1) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص88.
(2) بشير التليسى، الاتجاهات الثقافية، ص412 وما بعدها.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص53.
(4) ابن جلجل: مصدر سابق، ص89.
(5) المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص35.
(6) المالكى: مصدر سابق، ج1، ص446.
(7) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص321؛ الذهبى: العبر فى خبر من غبر، ج2، ص138، ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص431؛ محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص95.
(8) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص179.

بالمجان، كما أنه دار استنساخ للمصاحف ومجامع الحديث وكتب الفقه، فالمؤلفون يحبسون تصانيفهم بخطوط أيديهم على الأربطة، لتكون منه النسخة الأم التى يُرجع إلى نصها الصحيح، ويتولى المرابطون نسخ الكتب وتوزيعها على طلاب العلم بالمجان، وفي كل رباط مكتبة جدارية مفرغة فى طاقات من الحائط، ومن الأربطة بالمغرب الأدنى رباط المنستير ورباط البحر بقابس ورباط سوسة وغيرها[1].

4) دار العلم التطبيقى:

لقد كانت مدة ولاية يحيى بن تميم (501 - 509هـ/ 1108 - 1116م) القصيرة بمثابة فترة هدوء، إلا أنها شهدت تطورًا كبيرًا فى العلوم والكيمياء والاهتمام بكل ما هو جديد فيها، والسبب فى ذلك أن الأمير يحيى كان يقرب أهل العلم والفضل، ويدبر أمور رعيته على ما يوجبه النظر العقلى ويقتضيه الرأى الحكمى[2]، كما كان عالمًا بالنجوم وأحكامها وبصناعة الطب، مطالعًا لكتب السير وأخبار الزمان[3].

ولا يفوتنا فى هذا السياق أن نذكر ذلك المعهد العلمى الذى أنشأه ذلك الأمير بمدينة المهدية حين تولى الإمارة سنة 501هـ/1107م، فقد أسس مدرسة للعلوم الكيميائية، وجعل لها دارًا تردها الطلبة وأجرى عليهم الإنفاق، ومكّنهم من الآلات[4]، سماها (دار العمل) إشارة لما يباشر فيها من تطبيق علم الكيمياء وفروعها، وزودها بآلات تحليل المعادن والأحجار وأدوات تقطير الأعشاب والنبات وتبخيرها وتحويلها مما يناسب معلومات ذلك العصر، كما أنه جعل حولها غرفًا وفيرة لإسكان الطلبة المهتمين، وتمكينهم من العمل العلمى المجرد، وأشرف على تسيير التدريس بها حكيم من أشهر حكماء العرب فى وقته، وهو الطبيب الفيلسوف الأديب أمية بن أبى الصلت الدانى، وكان عنده جماعة من الشعراء قصدوه ومدحوه وخلدوا مديحه فى دواوينهم[5].

ويحكى لنا ابن خلكان عن مؤامرة تعرض لها الأمير يحيى بن تميم سنة 507هـ/1114م، بسبب شغفه وولعه بالكيمياء والبحث عن كل ما هو

---

(1) كاتب مجهول، الاستبصار، ص120؛ بشير التليسى، الاتجاهات الثقافية، ص420 وما بعدها.
(2) ابن خلكان: مصدر سابق، ج6، ص214؛ ابن الخطيب: مصدر سابق، ج3، ص80 وما بعدها.
(3) ابن الأثير: مصدر سابق، ج9، ص161؛ ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص88.
(4) ابن عذارى، ج1: مصدر سابق، ص305.
(5) حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص40.

جديد بهذه الصناعة، حيث أتى إلى المهدية قوم غرباء طلبوا المثول بين يديه وزعموا أنهم من أهل صناعة الكيماء وتحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة، فأذن لهم فى الدخول عليه، فلما مثلوا بين يديه طالبهم بأن يظهروا له من الصناعة ما يقف عليه، فوعدوه بذلك على أن يكون ذلك فى خُلوة، فأجابهم وأحضرهم لدار العمل، ولم يكن معه سوى الشريف أبى الحسن على والقائد إبراهيم قائد الخيَّالة، فعندما حانت الفرصة المتفق عليها بينهم، تواثبوا عليهم وقصد كل واحد منهم واحدًا بسكينًا، وكان يحيى جالسًا، وجاءت الضربة على رأسه فقطعت فقط طاقات من عمامته ولم تؤثر فى رأسه، وبسبب التدافع والاضطراب الذى حدث جراء ذلك سمع الخدم وفتحوا الباب، وقُتل المتآمرون جميعًا وسكنت الفتنة[1]. هكذا رأينا مدى اهتمام الأمير يحيى بن تميم بضرورة وجود مؤسسة متميزة لتناول علم الكيمياء، واستقبال الطلبة فيها، والاشراف على تسيير التدريس بها من خلال إحضار المعلمين ومتابعتهم.

5) المكتبات:

إن الحصيلة الحقيقة للحركة الثقافية والفكرية للمجتمعات لا يتم رصدها إلا عندما تصبح أمرًا واقعًا يجسده النشاط التأليفى الذى يتمثل فى الكتابة فى شتى موضوعات الفكر والثقافة، ولقد توجت هذه النهضة الثقافية فى المغرب الأدنى بتسجيلها والتأليف فيها.

وكانت عناية المسلمين بالكتب والترجمة والتدوين قد بدأت ظهورها فى الدولة الأموية ونشطت فى عصر الدولة العباسية على يد الخليفة أبى جعفر المنصور (136 - 158ه/754- 775م)[2]، وفى مدة هارون الرشيد (149 - 193ه/766م - 809م)[3] وجد بيت الحكمة ببغداد وهو عبارة عن مدرسة للترجمة ونساخة الكتب، وازدهرت فى عهد المأمون (170 - 218ه/ 786 - 833م)[4] فكانت لهم خزانة كتب فيها ما لا

---

(1) وفيات الأعيان: ج6، ص213 وما بعدها.

(2) هو الخليفة العباسى عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس أبو جعفر. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن حجر العسقلانى (الحافظ أبى الفضل أحمد بن على بن حجر شهاب الدين العسقلانى الشافعى، ت:852ه/1448م): "نزهة الألباب فى الألقاب"، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديدى، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ج2، ص202.

(3) هو الخليفة العباسى هارون بن محمد المهدى بن المنصور العباسى. لمزيد من التفاصيل انظر: الزركلى: مصدر سابق، ج8، ص243.

(4) هو الخليفة العباسى عبد الله بن هارون الرشيد المعروف بالمأمون. لمزيد من التفاصيل انظر: المصدر السابق، ج4، ص146.

يحصى من الأسفار[1]. ومن خزائن الكتب فى تلك الأزمان خزانة الأمير نوح بن نصر السامانى فى القرن الرابع الهجرى وقد انتفع بها ابن سينا، ومثلها مكتبة الوزير سابور بن اردشير ببغداد والتى كان بها أكثر من عشرة آلاف مجلد منها مائة مصحف بخطوط بنى ملقة[2].

والعناية بجمع الكتب ونسخها لا يتأتى إلا مع الاستقرار واستتباب الأمن بالبلاد، ولم يتسن لبلاد إفريقية أن تنال الأمن والاستقرار إلا فى عهد الأغالبة وذلك بعد القضاء على الثورات والتوسع فى جزر البحر المتوسط خاصةً فى عهد إبراهيم الثانى وأبنائه من بعده، فكانت هناك خزانة كتب حافلة، نقلها إبراهيم الأصغر من العباسية إلى مدينته الجديدة رقادة، وجهز سفارة إلى عواصم الشرق الكبرى ليستوفد منها علماء مختصين من أطباء وفلكيين، ومغنيين وغيرهم ليستقروا بالعاصمة الجديدة، فألّف هؤلاء العلماء العديد من الكتب النادرة الجميلة الخط، فتهيأ لإبراهيم الثانى إنشاء بيت الحكمة فى رقادة بنفائس الكتب الأصيلة والمترجمة وبآلات الرصد الفلكى حيث أنه كان مولعًا بالفلك وفنون وبعلوم الفلسفة والكلام، وكانت هذه الكتب تتركب من جزء أو أجزاء كثيرة وكان أغلبها منسوخ على رق الغزال ومنها المصاحف المزركشة والمزوقة بالذهب الوهاج[3]، وكانت توضع أجزاء الكتاب فى ربعة من خشب مغشى بالجلد الناعم البديع مما يشير إلى مدى الإتقان فى الصناعة والزخرفة التى وصل إليها التجليد آنذاك، دل على ذلك النماذج الموجودة فى المكتبة العتيقة بجامع عقبة بالقيروان والتى ترجع إلى العصر الأغلبى، واستقدم أمراء الأغالبة ثلة من النصارى، استقدموهم من صقلية التابعة يومئذٍ لملكهم، فانكبوا على ترجمة مؤلفات يونانية ولاتينية فى شتى الموضوعات من فلسفة وتاريخ وجغرافية وطب ونبات، ومازال (بيت الحكمة) يضطلع بأداء رسالته العلمية فى ربوع إفريقية وخارجها إلى ان نقله العبيديين إلى القاهرة سنة 362ه/973م[4].

هكذا تضررت الحياة الثقافية في المغرب الأدنى بما قام به الفاطميون حين نقلوا مكتبة بيت الحكمة إلى القاهرة، وبذلك حرموا العلماء وطلاب

(1) ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى، ت: 668ه/1270م): "عيون الأنباء فى طبقات الأطباء"، تحقيق: د/ عامر النجار، دار المعارف، القاهرة، ط: الأولى، 1996م، ج1، ص35 - 38.
(2) حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص38.
(3) محمد بن الخوجة: "صحيفة من تاريخ تونس"، المجلة الزيتونية، المطبعة التونسية، تونس، المجلد الأول، العدد الثانى، 1355هـ - 1936م، ص71 - 76.
(4) حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص73 - 76.

العلم من هذا التراث الحضارى فى عهد الدولة الزيرية.

وبالرغم من أن الفاطميين قد حملوا معهم التراث الثقافى للمغرب الأدنى من الكتب والمؤلفات التى زخرت بها المكتبات العامة خلال العصر الأغلبى مثل مكتبة بيت الحكمة، إلا أن المكتبات الخاصة كانت زاخرة بالمؤلفات والكتب، وأدرك التجار المشارقة اهتمام علماء القيروان باقتناء الكتب ودراستها وتكوين المكتبات الخاصة، فكانت القوافل ذات الأحمال الكثيرة من المؤلفات النفيسة المشرقية ما بين لغوية وأدبية وتاريخية ودواوين شعرية تُدر لهم أرباحًا طائلة فعملوا على جلبها من المشرق وبيعها فى مدن المغرب والأندلس[1]. فهذا أبى على إسماعيل بن القاسم البغدادي والذى وفد على القيروان سنة 329هـ/941م وقد جلب فى قافلته أحمالًا كثيرة من نفائس المؤلفات الشرقية، ما بين لغوية وأدبية وتاريخية ودواوين شعر الجاهليين، فباع منها لمدة عام فى القيروان وتونس، ثم توجه إلى الأندلس بما تبقى معه[2].

ومن أكبر المكتبات القيروانية وأجلّها في عهد بنى زيرى مكتبة بنى الجزار الأطباء ولاسيما خزانة **أبى جعفر أحمد بن الجزار** (ت: 369ه/ 980م)، فقد اشتملت على مجموعة ذات قيمة علمية عالية لاهتمامه بالعلوم الرياضية والفلسفية والتاريخية إلى جانب العلوم الطبية، فما من فن من هذه الفنون إلا ولأحمد بن الجزار فيه تأليف أو أكثر، وقال عنه ابن جلجل: "ولما مات وُجد له أربعة وعشرون ألف دينار وخمسة وعشرون قنطارًا من المؤلفات الطبية وغيرها"[3].

وفى عهد المعز بن باديس ازدهرت الحركة الأدبية، وبلغت آنذاك العناية بالكتب ونسخها وتنسيقها وزخرفتها إلى أوج إزدهارها، وتشهد على ذلك المصاحف المحبسة من لدن عمته (أم ملال) وحاضنة أبيه (فاطمة) وأخته (أم العلو) وزوجته (زليخاء) فقد تميزت بجمال الخط ورونق التذهيب والزركشة والتزويق مع كبر الحجم ومتانة الرقوق[4].

ووجدت العديد من المصاحف والكتب فى المساجد والرباطات تم حبسها من أهل البر والإحسان، فهذا **عبد الله ابن مسرور التجيبى** رحل فى طلب العلم وسمع بمصر وغيرها، وأخذ عنه ابن أبى زيد والقابسى،

---

(1) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ج2، ص341.
(2) حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص84 وما بعدها.
(3) طبقات الأطباء، ص88 - 90.
(4) الونشريسى: مصدر سابق، ج7، ص 18 - 21 ، 37.

وقد أوقف ثلث مكتبته على طلبة العلم[1]. كما حبس **أبو بكر عتيق السوسي** (ت: 462هـ/1070م) على طلبة العلم عدد كبير من الكتب التى أهداها إليه المعز بن باديس وعن ذلك تحدث الدباغ: "بلغ المعز عنه أنه فقير وأنه لا مسكن له فى البلد، فبعث إليه بمال يشترى به دارًا فلم يقبله أبو بكر تورعًا منه، فبعث إليه المعز حينئذٍ كتبًا جليلة فى الحديث والفقه مثل "المدونة" و"النوادر والزيادات" لابن أبى زيد و"الموازية" وكتبًا فى اللغة وغيرها مما له قيمة كبيرة، وكان إرسالها على رؤوس الحمالين فلما وصل إليه الرسول أغلق الباب فى وجهه فلم يزل يلاطفه قائلًا: يقول لك المعز، هذه الكتب فى خزانتنا ضائعة وبقاؤها عندنا مما يزيدها ضياعًا وأنت أولى باقتنائها، فقال له اكتب على كل جزء منها: حبس على طلبة العلم فكتب ذلك، فلما بلغ المعز ذلك قال أردنا أمرًا فغلبنا فيه". وكذلك فعل أهل البر والإحسان على الرباطات والمساجد[2].

ومن الخطاطين الذين تولوا النسخ ببلاط المعز بن باديس: الحارث بن مروان وابنه يحيى، وهما من أبناء القيروان وكان خطهما بقلم النسخ وكذا بالقلم الكوفى، وكانا ينسخان الكتب للخزانة الأميرية وآثار قلمهما موجودة بكثرة فيما بقى من الرقوق المحفوظة بمكتبة مسجد القيروان، منها النص الآتى "مما أمر بتحبيسه سيدنا سيف الله عبده المعز لدينه، المؤيد لسنة نبيه، أطال الله بقاءه وأدام عزه وعلاه، على المسجد الجامع بمدينة القيروان، طلبًا لثواب الله عز وجل وابتغاء مرضاته، على يد قاضى القضاة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن هاشم سنة أربعة وعشرين وأربعمائة"، واستمرا فى النسخ إلى ما يزيد على الأربعين عامًا[3].

ومن النسّاخ المشهورين بجودة الخط فى ذلك العصر أيضًا إبراهيم بن محمد المرادى المعروف بابن سوس، وكان من كتَّاب ديوان الرسائل فى دولة المعز، واشتهر بالأدب والشعر، ومنهم عبد العزيز بن محمد القرشى الطارقى، وكان أيضًا من كتاب ديوان الرسائل[4].

ومن نساخ القصر أيضًا على بن أحمد الورَّاق، والذى كان يميل إلى الكتابة البغدادية الراقية فى عصره مع اتقانه للرسم والتذهيب والتجليد،

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص57 - 59؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص423 - 424.
(2) معالم الإيمان: ج3، ص181.
(3) حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص85 وما بعدها.
(4) ابن رشيق: مصدر سابق، ص65 - 68، 167 - 169.

وكانت تعاصره وتلازمه في البلاط (دُرَّة الكاتبة)، وقد وصل إلينا من آثارها مصحف حاضنة وكتب على الورقة الأولى من كل جزء من أجزائه: "بسم الله الرحمن الرحيم، كَتَبَ هذا المصحف وشكله ورسمه وذهّبه وجلده علي بن أحمد الوراق للحاضنة الجليلة - حفظها الله - على يدى (درة) الكاتبة سلمها الله، فرحم الله من قرأ فيه ودعا لهما بالرحمة والمغفرة والنجاة من عذاب النار، آمين رب العالمين وصلى الله على النبى محمد وعلى آله وسلم تسليما"، وتاريخ التحبيس شهر رمضان من سنة 410هـ/1019م[1].

كما حبس أبو بكر عتيق السوسى على طلبة العلم عدد كبير من الكتب التى أهداها إليه المعز بن باديس وعن ذلك تحدث الدباغ: "بلغ المعز عنه أنه فقير وأنه لا مسكن له فى البلد، فبعث إليه بمال يشترى به دارًا فلم يقبله أبو بكر تورعًا منه، فبعث إليه المعز حينئذٍ كتبًا جليلة فى الحديث والفقه مثل "المدونة" و"النوادر والزيادات" لابن أبى زيد و"الموازية" وكتبًا فى اللغة وغيرها مما له قيمة كبيرة، وكان إرسالها على رؤوس الحمالين فلما وصل إليه الرسول أغلق الباب فى وجهه فلم يزل يلاطفه قائلًا: يقول لك المعز، هذه الكتب فى خزانتنا ضائعة وبقاؤها عندنا مما يزيدها ضياعًا وأنت أولى باقتنائها، فقال له اكتب على كل جزء منها: حبس على طلبة العلم فكتب ذلك، فلما بلغ المعز ذلك قال أردنا أمرًا فغلبنا فيه". وكذلك فعل أهل البر والإحسان على الرباطات والمساجد.[2]

أما أدوات الكتابة فكانت متنوعة وكثيرة ويصنع أغلبها بالقيروان، فكانوا يكتبون على جلود الخرفان المصقولة، كما انتشرت صناعة الورق والتى ساعدت على كثرة الكتب والمخطوطات. ولكن هذه المجموعات من الكتب الوافرة العدد والرفيعة القدر والمتعددة الموضوعات فقد منها الكثير سواء بسبب الزحفة الهلالية فى آخر عهد المعز بن باديس أو لغير ذلك، وما تبقى بالمكتبة العتيقة بالمسجد الجامع بالقيروان، يدل على ذلك، فهى تشتمل على أربعة أنواع:

النوع الأول:

قطع مفككة ولكنها مجنسة لخطوط كوفية وفيها أوراق لمصحف مكتوب بماء الذهب.

النوع الثانى:

---

(1) حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص86.
(2) معالم الإيمان: ج3، ص181.

أسفار علمية من أمهات كتب المذهب المالكى كالمدونة والمختلطة والواضحة والموازية والعتيبة وفيها قطع من جامع عبد الله بن وهب ومن الموطأ (رواية سحنون عن ابن القاسم) وأجزاء عديدة من تفسير يحيى بن سلام، كما يوجد بها كتاب المبسوط وأسئلة فقهية كلاهما رواية أسد بن الفرات.

النوع الثالث:

عقود بالشهادات العادلة فى المعاملات بين الأفراد أو فى بعض التحابيس أو من عقود الزواج ومعظمها على الرق بالخط النسخى المشرقى.

النوع الرابع:

أوراق منفصلة من أصول ضائعة أصابها شيء من التخريق أو الترهل. وهذا قليل من كثير يوضح لنا الحركة التأليفية التى قامت ببلاد المغرب الأدنى خلال فترة البحث، تتجلى فيها الحياة الثقافية والأدبية ويظهر لنا مدى تنوعها[1].

6) مجالس العلم والمناظرات:

كان من أهم ملامح الثقافة فى هذا العصر مجالس العلم والمناظرة والتى كثيرًا ما كانت تعقد فى حضرة الخلفاء والأمراء، مما كان له أكبر الأثر فى تحفيز العلماء للبحث والنظر، وحملتهم دومًا على الجد والمثابرة فى التحصيل وتصفية المسائل، كما كانت تعقد أيضًا فى الدور والقصور والمساجد، وكانت تدار فى المسائل الدينية فى كل فروع العلم من الفقه واللغة والنحو وغيرها، وازدهارها كان تبعًا للتنوع الفكرى وازدهار الشغف العلمى[2].

وقد بدأت الحركة العلمية فى الارتقاء فى قصور الأمراء منذ عهد الدولة الأغلبية من خلال مجالس العلم، وأخذ العلماء فى المناظرات والمجادلات المذهبية، كما بدأت نواة التأليف والترجمة واتسعت الحركة العلمية. وفى عهد بنى زيرى لم تترك لنا المصادر عن المجالس العلمية سوى بعض الإشارات، منها: اجتماع الفقيه **أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الخولانى** (ت: 432هـ/1041م) و**الشيخ أبو عمران الفاسى** (ت:

---

(1) د/ محمد محمد زيتون: مرجع سابق، ص412 وما بعدها.
(2) الزجاجي (أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، ت: 340هـ/951م)، "مجالس العلماء"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، 1420هـ - 1999م، ص152؛ أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج2، ص55.

430هـ/1039م) عند المعز ابن باديس، بعدما أرسل لهما سؤالًا قال فيه: ما يقول الفقيه في هذا الطرز التي فيها أسماء بني عبيد مثل الظاهر والحاكم وغيرها مما يلبس أيُصلى فيها؟ فكان رد الشيخ أبو بكر: هذا سؤال أحمق أخرق قليل المعرفة، وكتب الشيخ أبو عمران الفاسي جوابًا بأن يجب على من بسط الله يده أن يمنع من ذلك! فشق على السلطان جواب الشيخ أبي بكر، فأرسل إليهما وسأل الشيخ أبا بكر لما أجبت بهذا؟ فقال لأن السكة تضرب بأسمائهم وبنودهم تخفق على رأسك فقال السلطان ما أبقيت السكة والبنود إلا مداراة لأجل حجاج بيت الله الحرام والمسافرين، ثم قال السلطان ألم أقتل المشارقة؟ ألم أفعل كذا وكذا؟ فقال الشيخ أبو بكر: فعلت وبقي عليك!. وبعث إليه المعز يومًا رسولًا فقال له: يقول لك المعز هل أنا عندك مسلم أم كافر؟ فقال للرسول قل له تتبع العلماء هذا التتبع وتستقصي عليهم، والله لئن لم تتركني لاعرضنك على الله عز وجل! فلم يعرض له بعد ذلك بشيء[1].

كان هناك مجلس علم عند الأمير المعز بن باديس بين الشيخ **أبى اسحاق التونسى** (ت: 443هـ/1051م) وباقى فقهاء القيروان وذلك بسبب سؤال من مدينة باغاية ورد على الشيخ ليستفتى فيه، وكانت المسألة مسألة طلاق ومراجعة، وولى النكاح كان من الفرقة المعروفة بإفريقية بالمشارقة (الشيعة)، فأجاب الشيخ أبو اسحاق بأن هذه الفرقة على قسمين، أحدهما كافر مباح الدم، والقسم الثانى وهم الذين يقولون بتفضيل على بن أبى طالب على سائر الصحابة، لا يلزمهم القتل ولا يبطل نكاحهم، فأنكر عليه جميع فقهاء إفريقية بالقيروان وغيرها، وأرسلوا إليه أن يعاود النظر وأن يرجع عن هذا القول، فأبى عن ذلك، فجمعهم المعز بن باديس وناظروه، فأظهر الإنابة إلى قولهم والرجوع، وعندما خلا بأصحابه أنكروا عليه رجوعه وأنه الحق الذى لا يجب سواه، فأظهر أبو اسحاق التمادى على قوله، فأطلق الفقهاء الفتيا على مقاله هذا بالتضليل والتبديع، وأمر السلطان بسجل فى القضية من التبرى من قوله، وأمر بقراءته على المنبر يوم الجمعة قبل الصلاة، ثم أمر بإحضاره بالمقصورة فى ذلك اليوم اثر الصلاة وكذلك الفقهاء وأبا القاسم اللبيدى فقيه مشيخة الفقهاء وكبيرهم الذى حكم بأن يقر بالتوبة على المنبر بمشهد جميع الناس، فقال ها أنا أقول هذا بينكم، فساعدوه وقنعوا منه بقول ذلك بمحضر السلطان والجماعة، وافترقو على ذلك، فحدث للشيخ غضاضة

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص167 وما بعدها.

فخرج إلى منستير الرباط[1].

وقد ساهم في ازدهار مجالس العلم والمناظرة فى المغرب الأدنى فى هذه الفترة تعدد المذاهب والفرق فى المغرب الأدنى وحِدّة الخلاف بين أنصار كل منها[2]، خاصةً بعد قدوم المذهب الشيعي واستيلاء معتنقيه على السلطة وعملهم على حمل العلماء المخالفين له للأخذ به، سواء بالاضطهاد أو التعذيب أو حتى بالقتل، فكان لذلك أكبر الأثر فى تمسك علماء أهل السنة بالدفاع عن عقيدتهم بكل ما أوتوا من حجة وبيان من كتاب الله وسنة نبيه ρ ولم يثنيهم عن ذلك أى أذى من قبل الدولة العبيدية، فكان لذلك الفضل فى تمسك سكان البلاد المحليين بعقيدتهم وثباتهم عليها والتفافهم حول علمائهم، فظل المذهب المالكى أقوى المذاهب وأكثرها انتشارًا نظرًا لقوة فقهاؤه في المجادلات الشرعية والمناظرات وتحملهم المشاق والابتلاءات للحفاظ على السُنة فقد تصدوا لحمل لواء الدفاع، فكان المذهب المالكى حصنًا منيعًا وقى أهل إفريقية شر الضلالات فأكسبهم وحدة قاوموا بها الدخلاء من التيارات والفرق الضالة فى المغرب الأدنى، وقد أدى ذلك إلى إثراء الحياة الثقافية من خلال المناظرات والمجادلات التى تعقد بين علماء السنة فى المسائل الفقهية فيما بينهم أو بينهم وبين مخالفيهم[3].

فهذا **أبو محمد ابن التبَّان** (371هـ/981م) كان خطيبًا مفوهًا وسخَّر ذلك للذبّ عن المذهب المالكى، وكان شديد البغض لبنى عُبيد ويُذكر أن عبد الله الكاتب قد شدَّد فى طلب العلماء ليشرقهم، فطلب ابن أخى هشام وابن التبان وابن شبلون وابن أبى زيد وأبا الحسن القابسى، فاجتمعوا فى مسجد ابن اللجام، وقال لهم التبان أنا أمضى إليه وأكفيكم مؤونة الاجتماع به، فلما دخل عليه طلب منه عبد الله مناظرة أثنين من دعاة الشيعة، فقال بماذا؟ قال فى فضايل أهل البيت، فقال لهما ما تحفظان فى ذلك؟ فقال كل منهما أنه يحفظ حديثان، فقال أنا أحفظ من ذلك تسعين حديثًا، فسأله عبد الله من أفضل أبو بكر أو على؟ قال أبو بكر أفضل من على، فقال عبد الله يكون أبو بكر أفضل من خمسة جبريل سادسهم؟ فقال أبو محمد يكون على أفضل من اثنين الله ثالثهما؟ فضاق عبد الله فقال: من أفضل عايشة أو فاطمة فقال: عائشة وسائر أزواج النبى ρ أفضل من فاطمة، قال فمن

(1) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 177 - 180؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص269.
(2) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص91 - 93.
(3) الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص83.

أين؟ قال: من قوله تعالى " يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء"، فسكت، وكان قد أجاب في ذلك بعشرة أوجه أحدها ما تقدم. فقال له عبد الله: يا أبا محمد أنت شيخ المدنيين، ادخل العهد وخذ البيعة، فعطف عليه أبو محمد وقال له شيخ له ستون سنة يعرف حلال الله وحرامه، ويرد على اثنتين وسبعين فرقة، يقال له هذا؟ لو نشرتني في اثنين ما فارقت مذهب مالك! فلم يعارضه، وأمر من حوله أن يمضوا معه ويخرجوه[1].

كما يذكر لنا الدباغ أنه عندما ورد دارس بن إسماعيل أبو ميمونة من مدينة فاس، وعجب الناس من حفظه سمع **أبي سعيد ابن أخي هشام الربعي** (ت: 373هـ/984م) تقصيره بعلماء القرويين وإضافته قلة الحفظ إليهم، فقال لأصحابه اعملوا على أن تجمعوا بيني وبينه، فمازالوا حتى أتوا به إلى أبي سعيد في مجلسه، فسلم عليه، فألقى عليه أبو ميمونة نحوًا من أربعين مسألة من المستخرجة والواضحة،[2] فأجابه عنها أبو سعيد ثم ألقى عليه أبو سعيد عشر مسائل من ديوان ابن سحنون، فأخطأ فيها أبو ميمونة كلها فعطف عليه أبو سعيد وقال له لا تغفل عن الدراسة فإني أرى لك فهمًا فإن واظبت كنت شيئًا[3].

ومن الفقهاء المبرزين في المغرب الأدنى آنذاك **أبي محمد عبد الله بن أبي زيد** (ت: 386هـ/996م) كان من أهل العلم والعبادة واحد زمانه جلالة وعلمًا، وكان كثير الحفظ والرواية، فصيح اللسان ذابًا على مذهب مالك قائمًا بالحجة، بصيرًا بالرد على أهل الأهواء، ضربت له الأكباد من سائر البلدان، وقد أخذ عن أبي زيد عدد كبير من الإفريقيين والصقليين والمغاربة والطرابلسيين والأندلسيين وغيرهم، حرصوا دومًا على حضور مجالس علمه والنقل عنه وبفضل تلاميذه تجاوز علم ابن أبي زيد إلى خارج المغرب الأدنى[4].

كما ناظر **ابن الكاتب** (ت: 408هـ/1018م) - أبو القاسم عبد الرحمن

---

(1) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص91 - 93.
(2) هما كتابان من أمهات الكتب في المذهب المالكي، فالواضحة مؤلفها عبد الملك بن حبيب، وهي أصل الفقه الأندلسي، والمستخرجة أو العتبية فتنسب إلى محمد بن أحمد العتبي، فأمهات الكتب الكبار في الفقه والمعتمد عليها عند المالكية: المدونة والموازية والواضحة والعتبية. انظر في ذلك: المصدر السابق، هامش ص100.
(3) معالم الإيمان: ج3، ص100 وما بعدها؛ محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص96.
(4) القاضي عياض: مصدر سابق، ج5، ص293؛ المصدر السابق، ص109 - 121؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص10 - 13؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص427 - 429.

بن على الكنانى - أبا عمران الفاسى مرة وطالت بينهما المناظرة حتى علا العرق أبا عمران وبل قميصه وردائه وصار كمن غسله فى ماء، وبينهما فى ذلك نزاع وخلاف ومراجعات فى مسائل مشهورة نقلت عنهما[1].

كما كان **أبو عمران الفاسي** (ت: 430ه/1039م) من الفقهاء المبرزين ومن العلماء العارفين، فانتشرت دروس علمه وأسمع الحديث وتفقه عليه جماعة كثيرة، كما كان له مجلس علم فى داره للمذاكرة والسماع من غدوة إلى الظهر[2].

كما انتشرت مجالس العلم بالمهدية على أيدى **أبى القاسم اللبيدى** (ت: 446ه/1054م) فقد كان فقيهًا فاضلًا بالقيروان وأرسله أبي الحسن القابسى بالمهدية وأخذ عنه جماعة كبيرة من الإفريقيين والأندلسيين الوافدين على البلاد[3].

وهكذا انتشرت مجالس العلم والمناظرات ببنى زيرى والتى لم تكن ظاهرة جديدة عرفت في عهدهم ولكن هى استمرار لتقليد ثقافى عريق فى حضارتنا الإسلامية يدل على ما بلغته الثقافة الإسلامية من نضج ورقى، خاصة فى العصر العباسى حيث ازدهرت مجالس العلم والأدب ازدهارًا واضحًا وأصبحت ظاهرة راسخة الأركان وطابعًا مميزًا لذلك العصر مما كان له أكبر الأثر فى تطور الحياة العلمية فى أنحاء العالم الإسلامى[4].

ومما سبق يتضح أن دُور العلم بدولة بنى زيرى كانت متعددة ومتنوعة وأسهمت إسهامًا كبيرًا فى النشاط الثقافى والازدهار الفكرى فى البلاد آنذاك.

ثانيًا: النظم التعليمية فى إفريقية فى العهد الزيرى:

1- مراحل التعليم:

لم يكن هناك سن معينة يبدأ عندها الطفل فى تلقى العلم، فلم تكن السن محددة فكان الأغلب أن الطفل يذهب إلى الكتَّاب فى السابعة من عمره،

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص155.
(2) الحميدى: مصدر سابق، ج2، ص537؛ المصدر السابق، ص159 - 164.
(3) القاضى عياض: مصدر سابق، ص834؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 175؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص484.
(4) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج2، ص58.

والحديث المتبع فى ذلك هو "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر"(1)، ولكن كانت هناك حالات تُدفع إلى المعلم فى سن الخامسة والسادسة، فكان الأمر متروكًا لتقدير آباء الصبيان، فإذا وجدوا أن الطفل بدأ فى التمييز والإدراك دفعوا به إلى الكتَّاب ليبدأ فى حفظ القرآن وختمه ويحتاج ذلك فى المعتاد ما بين أربع إلى خمس سنوات ليتم حفظه، وهو المعروف بالختمة(2).

كما ذكرنا أن المسجد كان معهدًا للدارسة إلى جانب كونه مكانًا للعبادة، وارتبطت أهمية التعليم فى المسجد بكونها الإنطلاقة العلمية الأولى فى حياة المسلم، فمتى أن ينهى الطالب الختمة بالكتَّاب يلتحق بحِلَق العلم بالمساجد، أما السن التى ينهى فيها الطالب الختمة فهو غير محدد، فمن الطلاب من يكون نجيبًا وقد يختم القرآن فى العاشرة، ومنهم من يختم فى اثنى عشر سنة، أما المتأخرون فإنهم يحتاجون إلى زمن أطول مما قد يصل إلى سن البلوغ، وعلى ذلك فإن السن للطالب المتوسط وهو فى الغالب حوالى اثنى عشر سنة يلتحق بعدها الطالب بدروس العلم بالمسجد ويتلقى العلوم النافعة فيعتدل سلوكه وتستقيم أخلاقه ويستنير ذهنه(3).

2- واجبات المعلم:

يُعد المعلم من الفئات المرموقة فى المجتمع لما يبذله من عطاء وصبر وتضحية لأجل المجتمع، فالمعلم يلعب دورا كبيرًا فى بناء الحضارات كأحد العوامل المؤثرة فى التربية وبناء الفرد فى المجتمع لذا كان لزامًا عليه أن يتحلى بآداب يجب مراعاتها فى أدبياته المهنية. وقد عرض ابن سحنون (ت: 256هـ/870م) فى كتاب آداب المعلمين لكثير من هذه الآداب وهى أن يتفرغ لتعليم الصبيان وألا يشغل نفسه بشيء يصرفه عن متابعتهم وهم يتعلمون حتى ولو كانت القراءة فى كتب العلم، ولا يحضر الصلاة على الجنائز ولا يتبعها ولا يعود المرضى، لأنه أجير لا يدع عمله، وعليه أن لا يرسل الصبيان بعضهم فى طلب بعض إلا بإذن آبائهم، ومن واجبه كذلك أن يسوى فى التعليم بين الأغنياء والفقراء ولا يفرق فى المعاملة بين هؤلاء وأولئك، وهذا تطبيق لمبدأ المساواة(4).

---

(1) فهرس أبو داود، كتاب الصلاة، رقم [495].
(2) د/ أحمد فؤاد الأهوانى: "التربية فى الإسلام أو التعليم فى رأى القابسى"، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م، ص48 وما بعدها.
(3) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج2، ص50؛ المرجع السابق، ص51.
(4) ابن سحنون، كتاب آداب المعلمين، ص49 ، 84 ، 100.

كما أوصى القابسى (ت: 403هـ/ 1012م): "بأن يكون المعلم مهيبًا لا فى عنف، وألا يكون عبوسًا مغضبًا ولا مبسوطًا مُرفقًا بالصبيان دون لين، وينبغى أن يخلص أدب الصبيان لمنافعهم، ولا يجعل شيئًا من ضربه لقبضه ويريح قلبه من غيظه، فإن فعل فإنما ضرب أولاد المسلمين وليس من العدل[1].

وكان المعلم يحتسب تعليمه هذا حسبة لله تعالى، ولا يأخذ عليه أجر، إلا أن ابن سحنون كان يرى جواز أخذ الأجرة على تعليم الصبيان القرآن الكريم[2]، ودليل جواز أخذ الأجرة ما رواه ابن عباس قال: (أن نفرًا من أصحاب النبى ρ مروا بماء فيهم لديغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء، فقال: هل منكم من راق، إن فى الماء رجلًا لديغًا أو سليمًا، فانطلق رجل منهم فقرأ فاتحة الكتاب على شاء فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجرًا حتى قدموا المدينة، فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجرًا، فقال رسول الله ρ: "إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله")[3].

3- طرق التعليم:

تُعد طرق التدريس من مكونات المنهج الأساسية ولقد تعددت طرق التدريس فى القرون الهجرية الأولى ما بين تلقين وحفظ وتدرج فى التعليم والسؤال والجواب، والثواب والعقاب مع مراعاة الفروق الفردية، مما ساعد على جودة التعليم وزادت من كفائته فى جميع جوانبه، ونتناول من هذه الطرق:

التلقين: وتلقن الشيء والكلام أى فهمه، وكانت طريقة التلقين شائعة فى البلدان الإسلامية، بل كانت هى الطريقة المثلى فى تقوية ملكة الحفظ وتنمية الذاكرة عند الطالب، فكان المعلم يقوم بالإلقاء بالعرض والإخبار والتوضيح، مستخدما ما يساعده على ذلك من قصص وأخبار وما شابه، وقد اعتاد علماء المسلمين على تلقين الصبية القرآن الكريم، فقد كان المعلم يكرر للطالب الآيات من القرآن كما كان الطالب كذلك يكرر للمعلم الآيات ويعيد تسميعه لها حتى يتقنها[4].

---

(1) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين، ص129.
(2) ابن سحنون، كتاب آداب المعلمين، ص119 - 126.
(3) صحيح البخارى، كتاب الطب، رقم [5405].
(4) ابن سحنون، مخطوطة آداب المعلمين، ص4.

الإملاء: وهى من أساليب التعلم وعرفت منذ بداية القرن الثانى الهجرى، حيث كان معلم الكتَّاب يُملى على الصبيان وهم يكتبون، واهتم المعلمون بهذه الطريقة فى التعليم، حيث أن المتعلم كان يذهب باللوح إلى الكتاتيب، فيملى المعلم عليهم كتابة الحروف وهجاية الكلمات لبعض السور القصيرة، فيقوم الطلاب بتدوين وحفظ ذلك ولكل صبى لوح يكتب فيه ما يمليه الشيخ، ثم يمحوه بعد حفظه ليكتب شيئًا جديدًا[1].

فيتم للصبى تعلم الكتابة والقراءة من خلال هذه الطرق وعن طريق التقليد والمحاكاة، فكانت الدراسة بالكتَّاب مظهر نشاط دائم بين الصبيان، فمنهم من يقرأ بصوت عالٍ، ومنهم من يكتب على اللوح وآخر يسمع المعلم وهكذا كان التعليم بالكتَّاب يقوم على مبدأ التعليم الفردى[2].

الإقراء: من أهم طرق العلم فى المسجد آنذاك، وهى تعتمد على مدارسة الطالب للعلم مع معلمه حتى يثبت فى ذهنه، ومداومة ذلك يؤدى إلى تمكن المادة العلمية بصدر المتلقى، وقد ساعدت هذه الطريقة بالمغرب الأدنى على خروج العديد من العلماء الأجلاء فهذا **أبو بكر بن أبى عقبة** (ت: 369هـ/379م) - هو أبو بكر هبة الله بن محمد بن أبى عقبة التميمى - قرأ على جبلة بن حمود، وأخذ الناس عنه المدونة والمختلطة والموطأ[3].

كما نجد أن **ابن التبان** (371هـ/981م) قد قرأ على الشيخ أبى بكر ابن اللباد، كما كان يرتاد حلقة ربيع القطان ومن بعده أخيه أبو جعفر أحمد الذى تولى الإلقاء بها بعد وفاة أخيه[4]. كما قرأ **أبو سعيد ابن أخى هشام الربعى** (ت: 373هـ/984م) على أحمد بن نصر وعلى أبى بكر بن اللباد وأبى القاسم الطرزى وغيرهم، وعليه تفقه أكثر القرويين[5].

وقرأ **أبى محمد عبد الله بن أبى زيد** (ت: 386هـ/996م) على الشيخ أبى بكر ابن اللباد الذى امتُحن على يد العُبيديين فكان ابن أبى زيد يأتى إليه خفية مع باقى الطلبة ويجعلون الكتب فى أوساطهم حتى تبتل

---

(1) د/ أحمد فؤاد الأهوانى: مرجع سابق، ص52 وما بعدها.
(2) بشير التليسى، الاتجاهات الثقافية، ص368 وما بعدها.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 85.
(4) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص321؛ المصدر السابق، ج3، ص88 - 96؛ الذهبى: العبر فى خبر من غبر، ج2، ص138؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص431؛ محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص96.
(5) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص99 - 104؛ ابن فرحون المالكى: مصدر سابق، ج1، ص 181 وما بعدها؛ محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص95.

بأعراقهم[1]. كما قرأ **أبو جعفر أحمد بن عطاء الله** (ت: 392هـ/1002م) - وهو أخو الفقيه ربيع القطان - على أبى بكر الهوارى بإفريقية، وبمصر على الأنماطى وأحمد بن يوسف وغيرهما، وبالأندلس على غيرهم[2].

وقد قرأ **أبو على حسن ابن خلدون البلوى** (ت: 407هـ/1016م) على الشيخ أبى الحسن القابسى، وكان رأسًا فى إفريقية جليل القدر فى فقهائها مطاعًا تتبعه العامة[3]. كما قرأ **أبو سعيد خلف بن محمد الخولانى** على أبى محمد بن أبى زيد وزكريا بن يحيى بن سلام[4].

وقرأ **ابن سفيان الهوارى** (ت: 415هـ/1024م) على أبى الطيب بن غلبون بمصر، وفاق أهل زمانه فى القراءات وأخذ عنه كثير من الناس وألّف فى فن القراءات كتابه "الهادى فى القراءات"[5]. كما كان **أبو العرب محمد بن تميم بن أبى العرب التميمى** (ت: 417هـ/1026م) واسع الرواية صحيح النقل، فكان من أهل العلم والفضل والثقة[6].

وهذا **أبو عمران الفاسى** (ت: 430هـ/1039م) تفقه بالقيروان على أبى الحسن القابسى، ثم رحل إلى قرطبة فقرأ على أحد العلماء، ثم رحل إلى المشرق وأخذ بمصر القراءات، وعند عودته إلى القيروان أقرأ بها القرآن مدة ثم درس الفقه وتفقه عليه جماعة كثيرة[7]. وقرأ **أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الخولانى** (ت: 432هـ/1041م) على أبى سعيد بن أخى هشام، ثم على أبى محمد بن أبى زيد، ثم لزم الشيخ أبا الحسن القابسى حتى أباح له الفتيا فى حياته[8]. كما قرأ **أبو الطيب الكندى** (ت: 435هـ/1044م) الفقه على أبى بكر ابن عبد الرحمن، وقرأ القرآن على أبى عبد الله بن سفيان، فكان عالمًا فقيهًا[9].

وكذلك الفقيه **ابن بنت خلدون** (ت: 435هـ/ 1044م) قد قرأ القرآن

---

(1) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص293؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص109 - 121؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج17، ص10 - 13؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص427 - 429.
(2) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص321.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص151؛ ابن السبكى: مصدر سابق، ج3، ص367 وما بعدها.
(4) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص156.
(5) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 156 وما بعدها؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص314.
(6) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 158؛ المقريزى: المقفى الكبير، ص424.
(7) الحميدى: مصدر سابق، ج2، ص537؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص159 - 164.
(8) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص165 - 169.
(9) الدباغ: المصدر السابق، ص184 وما بعدها.

على أبى عبد الله بن سفيان وقرأ الفقه على أبى بكر بن عبد الرحمان وأبى عمران الفاسى[1].

كما قرأ **ابن عمار المهدوى** (ت: بعد 440ه/1048م) على أبى عبد الله محمد بن سفيان[2].

ومن فقهاء المالكية فى دولة بنى زيرى **أبى اسحاق التونسى** (ت: 443ه/1051م) وهو كان من طلبة أبى بكر بن عبد الرحمن كما تفقه على أبى عمران الفاسي وطبقته، فكان فقيهًا صالحًا موصوفًا بالفهم، قرأ القراءات وأجاز بها وقرأ الفقه والنحو[3]. وكذلك كان **أبو عبد الله محمد بن عبد الله المالكى** (ت:444ه/1052م) عالمًا فاضلًا وملازم لأبى الحسن القابسى، الذى قدمه للإمامة فكان يصلى به وروى عنه أنه قال: "كان الشيخ أبى الحسن إذا دعانى لقراءة علم يقول لى: يا محمد، وإذا استدعانى لخدمة أو لقضاء حجة يقول لى يا مالكى احترامًا منه لاسم محمد"[4].

وقد قرأ **السيورى** (ت: 462ه/1070م) النحو والكلام والفقه وانتفع به خلقٌ كثير لأنه أفرد نفسه للدرس فانتفع به الناس ومنهم عبد الحميد المهدوى واللخمى وابن سعدون وغيرهم، فكان من الحفاظ المعدودين[5]. كما كان **أبو على حسن بن حمدون الجلولي** من العلماء المعدودين بوجوه القراءات فكان إمامًا فيها، وانتفع به خلقٌ كثير.[6] ومثله فى ذلك **أبو عبد العزيز بن أخى عبد الحميد** وكان أيضًا عالمًا بالقراءات وأخذ عنه عالم كثير من الناس[7].

وتفقه **اللخمى** (ت: 478ه/1085م) على أبى الفضل بن بنت بن خلدون والتونسي والسيورى وغيرهم، وأخذ عنه أبو عبد الله المازرى وغيره، فكان فقيها فاضلًا، ومسجده بصفاقس مشهور[8]. كما قرأ **أبو الحسن الحصرى** (ت: 488ه/1095م) على أبى بكر عتيق عشر سنين

(1) القاضى عياض: مصدر سابق، ص833.
(2) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج1، ص138.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص177 - 180.
(4) المصدر السابق، ص173 وما بعدها.
(5) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 181 - 184؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص22.
(6) الدباغ: مصدر سابق، ص 202.
(7) المصدر السابق، ص186.
(8) القاضى عياض: مصدر سابق، ص850؛ المصدر السابق، ص 199 وما بعدها؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص104 وما بعدها.

ختم عليه فيها القراءات السبع تسعين ختمة، ثم قرأ على أبى على بن حمدون الجلولي وأبى محمد عبد العزيز بن محمد، ثم رحل إلى الأندلس عندما خربت القيروان، وأقرأ بها القرآن[1].

وقرأ على **الحدّاد** (ت: بعد 497هـ/1104م) أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى رجاء البلوى البلنسى بالمهدية، وله العديد من المؤلفات[2]. وقرأ **المازرى الذكى** (ت: 512هـ/1118م) بالقيروان على أبى القاسم السيورى وغيره، حتى أصبح فقيهًا فاضلًا متفننًا فى علوم القرآن[3]. وأخذ **ابن بليمه** (ت: 514هـ/1120م) القراءات بالقيروان على أبى بكر القصرى إمام جامع عقبة، ورحل إلى المشرق فقرأ بمكة ومصر على أحمد بن نفيس برواية ورش، وتصدر للإقراء بالإسكندرية[4].

السماع: هى من أهم طرق التعلم وكانت شائعة فى معظم البلدان الإسلامية، وهى تعتمد على سماع الطالب العلم من المعلم الذى يقوم بتلقينه لهم حتى يقوموا بحفظه، وكانت هذه الطريقة شائعة فى معظم البلدان الإسلامية، حيث أنها تعمل على تقوية ملكة الحفظ عند الطالب، والحفظ كان هو الطريقة الأساسية للتعليم فى المرحلة الأولى بالكتَّاب. أما فى المسجد فكان المعلم يقوم بإلقاء العلم على طلابه، فهو وحده يتحمل عبء العلم والمتعلمون يستمعون، وتستند هذه الطريقة إلى الكلمة المنطوقة من المعلم من خلال العرض للمعلومة وتوضيحها وتفسيرها، والإخبار بها[5].

وكان التعليم فى المغرب الأدنى يقوم بشكل أساسى على هذه الطريقة ويتضح ذلك من تراجم العلماء فى المغرب الأدنى فهذا **أبو القاسم زياد اليحصبى السدرى** (ت: 361هـ/972م) قد سمع من موسى بن عبد الرحمن القطَّان وغيره، وسمع بمصر من محمد بن الربيع الجربرى وغيره، وعندما أجيز من عيسى بن مسكين، سمع منه أهل إفريقية وطرابلس والأندلس، وأخذ عنه أبو الحسن القابسى[6]. كما سمع **الخُشنى**

(1) ابن بسام: مصدر سابق، ج4، ص245 وما بعدها؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج3، ص331 - 334؛ الدباغ: مصدر سابق، ص 202.
(2) محمد محفوظ: مصدر سابق، ج1، ص118 وما بعدها.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 202 وما بعدها.
(4) الصفدى: مصدر سابق، ج11، ص328؛ اليافعى: مصدر سابق، ج3، ص160.
(5) على بن صالح سعيد الغامدى، "النظام التعليمى الإسلامى فى القرن الثالث الهجرى وتطبيقاته فى العصر الحاضر"، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1431هـ - 1432هـ، ص66.
(6) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص79.

(ت:364ه/975م) بالقيروان على أحمد بن نصر وأبى بكر بن اللباد وأبى الفضل عباس الممسى وغيرهم، وسمع بالأندلس من ابن أيمن وقاسم بن أصبغ وغيرهما[1]. وكذلك **ابن التفاحى** (ت:370ه/981م) - هو أبو محمد عبد الله ابن سعد الصايغ - قد لقى جماعة من رجال سحنون منهم جبلة بن حمُّود وسمع منه الموطأ وأحاديث يسيرة[2].

ونجد **تميم بن أبى العرب** (ت: 371ه/981م) قد أخذ حديثه عن أبيه أبى العرب ولقى حماس بن مروان وسمع منه كتاب ابن المعذل وكتاب انس بن عياض، ولقى محمد بن عمر أخا يحيى بن عمر وأخذ عنه الدمياطية والبرقية ومنتخباته[3]. كما سمع **أبو عبد الله محمد بن حسن الزويلى السرتى** (ت: 383ه/993م) بإفريقية من أبى عبد الله محمد بن مسرور العسال، وأبى محمد ابن الحجام وأحمد بن نصر وابن اللباد وغيرهم، وسمع بالمشرق من أبى اسحاق بن شعبان وغيره، وكان من أهل العلم والقرآن والفرايض، وكان يجلس فى مؤخر الجامع وتجتمع إليه الناس ويفتى فى المسائل[4].

وسمع أيضًا **أبو محمد عبد الله بن أبى زيد** (ت: 386ه/996م) بإفريقية من أبى بكر محمد بن اللباد والذى كان عليه اعتماده فى الفقه، وسمع أيضًا من عبد الله بن مسرور بن الحجام، وأبى عبد الله محمد بن العسال، وغيرهم من أهل العلم، وأجازه من أهل المشرق أبو سعيد بن الاعرابى، وإبراهيم بن أبى بكر بن المنذر عن أبيه، وجماعة من البغداديين[5]. كما سمع **ابن ميمون** (ت: 400هـ/1009م) من أبى جعفر المؤدب بطرابلس الغرب، وبالقيروان من أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد البكرى، وأبى بكر بن عزرة، وأبى محمد بن أبى زيد وغيرهم[6].

كما سمع **أبو الحسن القابسى** (ت: 403ه/1013م) بإفريقية من أبى العباس الإبيانى وأبى محمد بن مسرور التجيبى، وأبى عبد الله بن مسرور العسال، وأبى الحسن على بن مسرور الدباغ وغيرهم، كما سمع بالإسكندرية من أبى الحسن على بن جعفر الثابيانى، وعاد إلى القيروان

---

(1) المصدر السابق، ص81.
(2) المصدر السابق، ص97.
(3) الدباغ: المصدر السابق، ص97. محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص95.
(4) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص105.
(5) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص293؛ المصدر السابق، ص109 - 121؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج17، ص10 - 13؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص427 - 429.
(6) القاضى عياض: مصدر سابق، ج1، ص54 - 57.

سنة 357هـ/968م وسمع منه خلق كثير منهم أبو عمران الفاسى وأبو بكر بن عبد الرحمن وأبو القاسم اللبيدى وغيرهم[1]. ولقى **أبو محمد عبد الله بن محمد اللمائى** (ت: 403هـ/1013م) عبد الله بن جعفر بن الورد البغدادى بمصر، وحدَّثه باختصار السيرة لابن هشام عن البرقى عنه، فكان من العلماء الأجلة ذا خلق حسن وسمت وسكينة[2].

وكان **ابن عذرة** (ت: 405هـ/1014م) محدث قيروانى من أصحاب ابن أبى زيد، وسمع منه الناس الحديث بإفريقية، ومن تآليفه "تبويب صحيح الإمام مسلم بن الحجاج"[3]. كما سمع **أبو القاسم عبد الرحمن الغافقى** (ت: 407هـ/1016م) الحديث وأخذ المدونة[4].

وسمع **أبو القاسم ابن الكاتب** (ت: 408هـ/1018م) من القابسى، فكان أحد الفقهاء المستنبطين موصوفًا بالعلم والفقه[5]. كما سمع **أبو بكر عتيق بن خلف التجيبى** (ت: 422هـ/1031م) من أبى محمد بن أبى زيد، وأبى محمد بن التبان، وأبى سعيد بن أخى هشام وغيرهم[6]. وكان **أبو عبد الله بن العباس الأنصارى** (ت: بعد 426هـ/1035م) قد سمع من أبى محمد بن أبى زيد وأبى الحسن القابسى وغيرهما، واشتهر بالعلم والعبادة والفضل، وسمع عليه عالم كثير منهم عبد الله بن محمد المالكى وعمر بن أبى محمد بن أبى زيد[7].

وهذا **أبو عمران الفاسى** (ت: 430هـ/1039م) تفقه بالقيروان على أبى الحسن القابسى، ورحل إلى المشرق فأخذ بمصر القراءات على أبى الحسن عبد الكريم، وعند عودته إلى القيروان درَّس الفقه وأسمع الحديث وتفقه عليه جماعة كثيرة، وكان يجلس للمذاكرة والسماع فى داره من غدوة إلى الظهر[8]. وسمع **أبو عبد الله الأجدابى المؤرخ** (ت:432هـ/1040م) من تميم بن أبى العرب وغيره ورحل إلى مصر والحجاز فأخذ عن أبى نصر النيسابورى وغيره، وكان أكثر اشتغاله

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 134 - 143؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج3، ص322 - 324؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، ج9، ص61 وما بعدها؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص101.
(2) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص144.
(3) المالكى: مصدر سابق، ج2، هامش ص436.
(4) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 151.
(5) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص155.
(6) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 158 وما بعدها؛ النويرى: مصدر سابق، ج1، ص266 وما بعدها.
(7) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص169.
(8) الحميدى: مصدر سابق، ج2، ص537؛ المصدر السابق، ص159 - 164.

بالتاريخ حتى اشتهر به، وكان عالمًا فاضلًا ثقة من أصحاب أبى محمد بن أبى زيد وأبى الحسن القابسى[1].

كما سمع **أبو محمد مكى بن أبى طالب** (ت: 437ه/1046م) من أبى محمد بن أبى زيد وأبى الحسن القابسى وغيرهما، ورحل إلى المشرق فسمع من ابن غلبون، ثم رجع إلى القيروان وبعدها رحل إلى قرطبة وسمع منه جلة من الناس[2]. ومثله **أبو بكر بن أبى طاعة** (ت: 438ه/1047م) سمع من أبى الحسن القابسى وجمع الفقه والدين والفضل موصوفًا بحسن النقل، وكان إمام جامع القيروان[3].

وكذلك سمع **اللبيدى** (ت: 440ه/1049م) على الشيخ أبى الحسن القابسى، وأبى محمد بن أبى زيد وغيرهما، وسمع منه أبو عبد الله محمد بن سعدون وغيره، ووجهه أبو الحسن القابسى لتفقيه أهل المهدية، وكان فقيهًا فاضلًا وله كتاب كبير فى الفقه جمع فيه مذهب مالك، وألف كتابًا فى اختصار المدونة سماه الملخص[4]. وسمع **أبو عبد الله محمد بن سعدون** (ت: 485ه/1092م) بالقيروان من أبى بكر بن عبد الرحمن وأبى عبد الله بن محمد بن الناظور واللبيدى وغيرهم، ثم رحل إلى المشرق فسمع بمصر من أبى الحسين بن المنير وبمكة من أبى الحسين بن صخر، فكان من أهل العلم بالفروع والأصول، وحدَّث عنه أبو يحيى سفيان بن العاصى وغيره، وله تواليف عديدة وتوفى بالمغرب الأقصى[5].

طريقة الحوار والمناقشة: وهى تعتمد على المناقشة فى توليد الأفكار، ومعرفة الحقائق واستنتاجها، وقد ابتكر بعض المعلمين هذه الطريقة، خاصة فى تدريس علوم اللغة والنحو والفرائض، وكذلك من خلال المناظرات والمجادلات التى كانت تعقد فى المساجد، والتى كانت من أهم الطرق فى تنمية التفكير، فقد كان **أبو محمد بن أبى زيد** (ت: 386ه/996م) يفتتح مجلسه بجواب سؤال السائلين عن غوامض المسائل ودقائقها، ولاشك أن هذا من طرق

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص170؛ محمد بن مخلوف: مصدر سابق، ص98؛ ناصر الدين محمد الشريف: مرجع سابق، ص76 وما بعدها.
(2) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص273؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج5، ص275 وما بعدها؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 171 وما بعدها.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص172 وما بعدها.
(4) القاضى عياض: مصدر سابق، ص834؛ المصدر السابق، ص 175؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص484.
(5) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 198.

التدريس الناجحة التى كان يطبقها ذلك الشيخ فى درسه[1]، كما كان يستخدم هذه الطريقة **ابن جعفر القزَّاز** (ت: 412ه/ 1027م) فى النحو واللغة فكان فى درسه يلقى بعض مشكلات المسائل اللغوية وأبيات الشعر العويصة على تلاميذه، ويطلب منهم بيان معانيها وتفسير ألفاظها وفهم أغراضها[2].

وهكذا تميز التعليم بالمغرب الأدنى في عهد بني زيرى بتعدد الطرق التعليمية وتنوعها مما كان له أكبر الأثر فى انتشار العلم والوعى المعرفى بين شريحة كبيرة من أهل المغرب الأدنى، ومن ثم ازدياد طلبة العلم وتعدد علومهم واتساع مداركهم، وكل هذا يؤدى إلى التطور الثقافى وازدهاره.

4- مناهج المقررات التعليمية:

كانت طبيعة النظام التعليمى الإسلامى فى الكتَّاب نظامًا بسيطًا لم يكن للدولة ارتباطًا مباشرًا به، فالناظر للمنهج الدراسى عند محمد بن سحنون فى كتاب آداب المعلمين يجد أن المنهج للمرحلة التعليمية الأولى فى الكتّاب يتألف من قسمين، قسم إلزامى وآخر اختيارى، أما الإلزامى فيشمل القرآن الكريم وما اتصل به من الشكل والهجاء والقراءة الحسنة والإعراب والرسم[3]، فغلب على المنهج الدراسى فى المرحلة الأولية تعلم القرآن الكريم قراءةً وكتابة، وكذلك ما يلزمه المعلم أن يعلمه التلاميذ الوضوء والصلاة بأركانها وواجباتها[4]، أما القسم الاختيارى فيشمل الحساب والشعر واللغة وإعراب القرآن[5].

فكان الصبى يذهب مبكرًا إلى الكتَّاب، فيبدأ بحفظ القرآن ثم يتعلم الكتابة، وعند الظهر يعود إلى المنزل لتناول الغداء، ثم يرجع بعد الظهر ويظل حتى آخر النهار، ويحصل الصبيان أجازة من بعد ظهر يوم الخميس وتستمر يوم الجمعة، ثم يعودون للدراسة صباح يوم السبت. ويتعلم الصبى مدة دراسته القرآن والكتابة والنحو والعربية، فأهم ما يدرس الصبى هو حفظ القرآن على الطريقة الفردية أو الجماعية، إذ يبدأ

---

(1) المصدر السابق، ج3، ص109 - 121.
(2) السيوطى: بغية الوعاة، ج1 ص71.
(3) ابن سحنون، كتاب آداب المعلمين، ص102؛ الونشريسى: مصدر سابق، ج8، ص244.
(4) ابن أبى زيد القيروانى (أبى محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى ت: 386ه/996م): "الرسالة"، تحقيق: أحمد مصطفى قاسم الطهطاوى، دار الفضيلة، القاهرة، ط: الأولى، 2005م، ص 29 - 40.
(5) ابن سحنون، كتاب آداب المعلمين، ص 42 ، 110.

المعلم بآية يرددها من بعده الصبيان، ولكل صبي لوح يكتب فيه يثبت فيه ما يريد أن يحفظه، ثم يمحوه ليكتب شيئًا جديدًا، ولم يكن من اللازم أن يحفظ الصبى القرآن كله، إلا إذا كانت تلك رغبة أبيه[1].

وإذا أتم الصبى مرحلة التعليم في الكتَّاب، جاز امتحانًا فيما حفظ من القرآن وفى الكتابة، واختبار حفظ القرآن كله يعرف بالختمة، وعندئذٍ إما أن ينقطع عن التعليم ويتجه إلى تعلم الحرفة التى يريد أن يزاولها لكسب المعاش، وإما أن ينصرف إلى مرحلة أخرى من التعليم أرقى من التعليم في الكتّاب وهى مرحلة التعليم فى المسجد حيث حلقات دروس الشيوخ وتلقى العلوم الشرعية والفقه[2].

ينتقل الطلاب بعد انتهاء الدراسة فى الكتَّاب إلى المرحلة التعليمية الثانية ومقرها المسجد فيحلق الطلاب حول سوارى المسجد، حيث التخصصات المختلفة فى الشريعة أو اللغة أو الأدب وغيرها من العلوم[3]، ولم يكن بدروس العلم بالمسجد منهج محدد يمكن للطالب أن يسير عليه، فكان الاهتمام فى هذه المرحلة بإعداد الطالب بأن يكون ملمًا بالكثير من العلوم كالنحو والشعر والقرآن الكريم والحديث وغيرها، وذلك لإدراك العلماء المسلمين آنذاك بالعلاقة بين العلوم بعضها ببعض، فإلى جانب تعلم العلوم الدينية والنقلية من قرآن وحديث وما يتفرع منها من تفسير وقراءات وفقه، نجد الطالب يتعلم العلوم العقلية وما تضمه من طب وفلك وتنجيم ورياضيات وكيمياء وتاريخ وغيرها من العلوم الأخرى[4].

ونستنتج مما سبق أن طالب العلم كان لا يدع فنًا من العلوم المحمودة ولا نوعًا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرًا يطلع به على مقصده وغايته لأن العلوم متعاونة ومترابطة[5]. إلا أنه كانت هناك علوم أخذت أهمية فى التحصيل والمتابعة أكثر من مثيلاتها فى فنون أخرى، فاهتم العلماء بعلوم القرآن والقراءات والتفسير، وانتشر تدريس بعض المصنفات مثل:

- [الهادى فى القراءات] لابن سفيان الهوارى.

---

(1) أحمد فؤاد الأهوانى: مرجع سابق، ص52 وما بعدها.
(2) القابسى: مصدر سابق، ص135 وما بعدها.
(3) الونشريسى: مصدر سابق، ج8، ص 248.
(4) على بن صالح سعيد الغامدى، النظام التعليمى الإسلامى فى القرن الثالث الهجرى وتطبيقاته فى العصر الحاضر، ص64.
(5) الغزالى (أبى حامد محمد بن محمد الغزالى، ت: 505ه/1111م): "إحياء علوم الدين"، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1426ه - 2005م، ص63.

- و[الهداية فى التفسير] و[مشكل إعراب القرآن] لمكى ابن أبى طالب والذى قصد فيه تفسير مشكل الإعراب وذكر علله وصعبه ونادره[1].

وعندما نتحدث عن الحديث بالمغرب الأدنى نجد أنه اقترن بعلوم الفقه حيث كانت كتب الأحاديث تدرس لخدمة التشريع لتسهيل استنباط الأحكام فاهتم علماء المغرب الأدنى بتدريس [الموطأ] للإمام مالك وشروحه وملخصاته، ومنها بالمغرب الأدنى:

- [كتاب الرسالة] لابن أبى زيد وهو مختصر فى الفقه المالكى، وقد انتشر هذا الكتاب فى بلاد إفريقية والأندلس والمغرب وسائر بلاد المسلمين[2].

كما كان لأبى زيد مؤلفات أخرى تناقلت بالدراسة بين الطلبة مثل:

- كتاب [الذب عن مذهب مالك].
- و[مختصر المدونة].
- وكتاب [النوادر والزيادات][3].
- وكذلك كتاب [المختلطة للمتحفظين] تناول فيه عددًا من الأحاديث النبوية الصحيحة لأبى الحسن القابسى.

هذا وقد اهتم علماء المالكية اهتمامًا شديدًا بالفقه المالكى وبما يتعلق به من فروع، فتنافس طلبة العلم على حفظ أمهات الكتب الكبار فى الفقه والمعتمد عليها عند المالكية مثل: [المدونة، والموازية، والواضحة، والعتبية][4].

ومن المؤلفات التى اهتمت بالفقه المالكى فى هذه الفترة:

- [الملخص المسند لموطأ مالك بن أنس] لأبى الحسن القابسى.
- وكتاب [التهذيب] للبراذعى فى اختصار المدونة.

---

(1) أبى الحسين الأصبهانى، : مصدر سابق، ص53.
(2) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص293؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص109 - 121.
(3) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج17، ص10 - 13؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص427 - 429.
(4) أمهات الكتب الكبار فى الفقه والمعتمد عليها عند المالكية: المدونة والموازية والواضحة والعتبية. انظر فى ذلك: الدباغ: مصدر سابق، ج3، هامش ص100.

- وكتاب [شرح الموطأ] لمروان بن محمد البونى.
- وكتابى [النامى فى شرح الموطأ، والواعى فى الفقه] لأبى جعفر الداودى.
- وكتاب [الملخص] فى اختصار المدونة للبيدى.
- وكتاب [التعليق على المدونة] لأبى اسحاق التونسى[1].

كما اهتمت مناهج الدراسة اهتمامًا بليغًا بفقه التعليم والتعلم ونذكر فى هذا الصدد:

- كتاب [أداب المعلمين] لمحمد بن سحنون، والذى عرض فيه بعض الآداب اللازمة لتعليم الصبيان[2].
- ومن المؤلفات التى كان لها عظيم الأثر فى الحياة التعليمية [الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين] لأبى الحسن القابسى[3].

أما علوم اللغة العربية فقد عرف العديد من علماء المغرب الأدنى بإحاطتهم بالنحو واللغة، وكانت لهم العديد من التواليف التى دلت على غزارة العلم وسعة الأفق واعتمد عليها أهل اللغة فى بلاد المغرب كافة، ومن هذه المؤلفات:

- [كتاب الحروف، وكتاب المعترض] فى النحو، وكتابى [الجامع والمثلث فى اللغة]، لأبى عبد الله القزاز الذى كان له العديد من المؤلفات فى النحو واللغة والأدب[4].
- كتاب [كفاية المتحفظ] لأبى اسحاق بن الأجدابى، وكان هذا الكتاب مصدرًا من المصادر التى اعتمد عليها أهل اللغة بالمغرب الأدنى[5].
- وكتاب [الممتع] فى فن الشعر للنهشلى، وكتاب [زهر الآداب

---

(1) ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص269.
(2) رياض النفوس: مقدمة الجزء الأول ص13م، ج2، ص310.
(3) د/ أحمد فؤاد الأهوانى: مرجع سابق، ص43 - 46.
(4) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ص2475 - 2479؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج4، ص374 - 376؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، ج9، ص225؛ السيوطى: بغية الوعاة، ج1، ص71.
(5) السيوطى: بغية الوعاة، ج1، ص408.

ونثر الألباب] فى الشعر والنثر لأبى اسحاق الحصرى[1].

- وكتاب [أنموذج الزمان من شعراء القيروان] فى الشعر والنقد الأدبى لابن رشيق[2].

وهكذا نجد أن أغلب العلوم المنتشرة فى العالم الإسلامى آنذاك كانت تدرس مناهجها ببلاد المغرب الأدنى بدولة بنى زيرى، فكان طالب العلم لا يدع علمًا من العلوم حتى يأخذ منه نصيب.

(1) المصدر السابق، ج1، ص45 - 49.
(2) الوزير السراج: مصدر سابق، ص99 وما بعدها؛ الهادى روجى إدريس: مرجع سابق، ج2، ص410.

5- الإجازة العلمية:

الإجازة هى إذْن أو رخصة يمنحها المعلم للطالب الذى أنهى حفظ أو دراسة كتاب أو رواية في فن من الفنون، وتمنح بإحدى طريقتين إما أن تكون شفهية أو تحريرية[1]، وكان نهج العلم فى القرون الأربعة الأولى يقوم على الرواية الشفهية، حيث كانت تروى من فلان عن فلان أو أخذ عن فلان أو تفقه به[2]، وكانت هى الطريقة المثلى فى كافة الأقطار الإسلامية لحصول الطالب على رخصة لتدريس ما قام بتعلمه وكذلك كان ذلك فى المغرب الأدنى فى ذلك الوقت فنجد **أبو القاسم بن زياد اليحصبى السدرى** (ت:361ه/972م) حدث بالإجازة عن عيسى بن مسكين وغيره، واحتاج الناس إليه فسمع منه أهل إفريقية وطرابلس والأندلس[3].

وكذلك الإمام **أبو اسحاق الجبنيانى** (369ه/ 979م) - هو إبراهيم بن أحمد بن على بن أسلم البكرى الجبنيانى - مجمع على فضله وورعه، أخذ عن عيسى بن مسكين بالإجازة فكان من أعلم الناس باختلاف العلماء عالمًا بعبارة الرؤيا[4].

وهذا **تميم بن أبى العرب** (ت: 371ه/981م) هو أبو العباس تميم ابن أبى العرب محمد بن أحمد بن تميم، وأخذ حديثه عن أبيه أبى العرب[5]، ولقى موسى بن عبد الرحمن وأخذ عنه كتاب الإمام لمحمد بن سحنون وأجاز له كتاب محمد بن المواز[6].

وتعلم **أبو محمد عبد الله بن أبى زيد** (ت: 386ه/996م) بإفريقية على أبى بكر محمد بن اللباد والذى كان عليه اعتماده فى الفقه، وأجازه من أهل المشرق أبو سعيد بن الاعرابى، وإبراهيم بن أبى بكر بن المنذر عن أبيه، وجماعة من البغداديين، وقد تفقه عليه جلة من القرويين والأندلسيين وأهل المغرب[7].

---

(1) عبد الله فياض: مرجع سابق، ص21.
(2) د/ صلاح الدين المنجد: "إجازات السماع فى المخطوطات القديمة"، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثانى، 1375هـ - 1995م، ص232.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص79؛ محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص95.
(4) محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص95.
(5) المالكى: مصدر سابق، ج2، ص306 - 312؛ القاضى عياض: مصدر سابق، جزء5، ص323 - 326؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 36 - 38؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص198 وما بعدها؛ المقريزى: المقفى الكبير، ص224.
(6) الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص97.
(7) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص293؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج17،

وتفقه **أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الخولانى** (ت: 432ه/1041م) على أبي سعيد بن أخى هشام، ثم على أبى محمد بن أبى زيد، ثم لزم الشيخ أبا الحسن القابسى حتى أتاح له الفتيا فى حياته، ثم رحل إلى المشرق سنة 377ه/987م فلقى أبا عتيق بن موسى الحاتمى المصرى وأبا بكر النعالى وأبا القاسم بن أحمد الجوهرى وغيرهم وكلهم أجازوه إجازة عامة وانتفع به الناس.[1]

كما تفقه **أبو اسحاق التونسى** (ت: 443ه/1051م) على أبى بكر بن عبد الرحمن، وأبى عمران الفاسى وطبقتهما، فكان فقيهًا صالحًا موصوفًا بالفهم، قرأ القراءات وأجاز بها وقرأ الفقه والنحو[2].

وكان **عبد الواحد بن تميم التجيبى الكفيف** له عناية كبيرة بالفقه فكان حافظًا ذا فهم، وقد أثنى عليه أبو اسحاق التونسى، كما أجاز له أبو بكر بن عبد الرحمن الفتيا[3].

وكانت الإجازة فى بعض الأحيان تعطى عن طريق المراسلة فقد قال **ابن عبد البر** (ت: 463ه/1071م)[4] عن شيخه **أحمد بن نصر الداودى القيروانى** (402ه/ 1111م)، إمام المالكية "كتب إلىّ .. بإجازة ما رواه وألفه"[5].

ويستمر الطالب فى طلب العلم والنقل عن معلمه حتى يبلغ الإتقان فى أحد الفروع فيقوم الشيخ أو المعلم بمنحه إجازة بذلك، فهى رخصة له لينقل العلم ويدرسه، وهذا إن دل فإنما يدل على أن العلوم الإسلامية تقوم على النقل من العلماء الثقات وتعتمد فى ذلك على الرواية والإسناد، فكانوا يهتمون بذكر العلماء الذين تلقوا عليهم العلم، وهذا مما جعل العلم الشرعى يتسم على مر العصور بأقصى درجات الدقة والضبط[6].

وهكذا تبين لنا مدى اهتمام بنو زيرى بالتعليم والعلماء، وذلك من خلال توفير المؤسسات العلمية التى ساهمت بشكل كبير فى التطور

ص10 - 13؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص427 - 429.

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص165 - 169؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص177 وما بعدها.

(2) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص177.

(3) المصدر السابق، ج3، ص185.

(4) حاجى خليفة: مصدر سابق، ج2، ص1379.

(5) ليث سعود جاسم: "ابن عبد البر الأندلسى، وجهوده فى التاريخ"، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ط: الأولى، 1407ه - 1986م، ص507.

(6) الونشريسى: مصدر سابق، ج11، ص 167.

العلمى والازدهار الثقافى من خلال دراسة مختلف العلوم الشرعية والدنيوية بها، فتعددت العلوم وانتشرت طرق التعليم المعهودة بالمشرق آنذاك، حتى يصل طالب العلم إلى درجة الإتقان التى يستحق عنها الإجازة العلمية لفن من الفنون يقوم بتدريسه لغيره، ومن هذه العلوم والتى سنتناولها فى الصفحات القليلة القادمة العلوم النقلية فى الدولة الزيرية، ومدى الاهتمام بها وإجادتها.

الفصـــــــل الثـــالث

العلوم النقلية فى بلاد المغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية

- أولًا: العلوم الشرعية:
  1- علوم القرآن والقراءات.
  2- علم التفسير.
  3- علم الحديث.
  4- علم الفقه.
- ثانيًا: الزهد والتصوف.
- ثالثًا: علوم اللغة العربية:
  1- علمى النحو والبلاغة.
  2- علوم الأدب والشعر:

أ) الشعر ب) النثر والكتابة ج) النقد الأدبى

اتسم العلم الشرعى على مر العصور بأقصى درجات الدقة والضبط، وذلك بالاعتماد على الرواية والإسناد مما يتطلب ذلك طلب العلم من العلماء الثقات ولا يقوم التلميذ بالتدريس والنقل عن معلمه إلا بعد منحه إجازة من شيخه ومعلمه بذلك، فهى رخصة له لينقل العلم ويدرسه[1].

وكان منهج البحث فى العلوم النقلية يعتمد على الرواية وصحة السند، فالمؤلفون فى التفسير فى ذلك العصر يعتمدون على نقل ما روى من تفسير الآيات عن الصحابة والتابعين، فإن زادوا شيئًا فترجيح أحد هذه الأقوال، وكذلك الشأن في الحديث، فأهم ما يشغل المحدِّث جمع الأحاديث وامتحان أسانيدها لمعرفة جيدها من رديئها وهكذا، ومثل ذلك يقال فى علم اللغة والأدب إذ هما تأثرا بالعلوم الدينية[2].

وكما هو معلوم كانت اللغة العربية منذ الفتح الإسلامى لبلاد المغرب هى لغة العلم والقرآن، مما أدى إلى تعريب لسان الشمال الإفريقى خاصة المغرب الأدنى فى وقت قصير، فإنه لا يوجد إشارات كثيرة تدل على استخدام بنو زيرى للغة البربرية خاصة بعد غزوة بنى هلال التى وإن كانت قد أضرت بمظاهر الحضارة إلا أنها كانت عاملًا أساسيًا من عوامل التعريب، كما تعددت المساجد التى كانت تعقد فيها مجالس العلم دلت على وجود الحرية الفكرية المتجلية فى إلقاء الدروس الشرعية وعقد المناظرات والمجادلات الفقهية، مما ساهم فى تقدم الحياة الثقافية وازدهارها[3].

أولًا: العلوم الشرعية:

1- علوم القرآن القراءات:

علم القراءات يعرف به كيفية النطق بالقرآن ومن أئمة هذا الفن القراء السبعة فهم عليهم المعوَّل فى القراءة إلى وقتنا[4]، فهؤلاء الكرام قد

---

(1) الونشريسى: مصدر سابق، ج11، ص 167.
(2) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج2، ص16.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج2، ص83.
(4) القرَّاء السبع هم: أبو محمد بن يزيد اليحصبى الدمشقى (ت: 118ه/736م)، وأبو سعيد بن كثير المكى (ت:120ه/738م)، وأبو بكر عاصم الأسدى (ت: 127ه/745م)، وأبو عمرو الخزاعى المازنى (ت: 154ه/771م)، وأبو عمارة حمزة الكوفى (ت: 156ه/773م)، وأبو رويم نافع بن أبى نعيم (ت: 167ه/783م)، وأبو الحسن الكسائى (ت: 189ه/805م). لمزيد من التفاصيل انظر: د/ هند شلبى، "القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجرى، الدار العربية للكتاب، 1983م، ص 186.

نقلوا حروف القرآن وكيفية نطق الحروف، فإن قراءة القرآن وأداءه بما نُقِل عن هؤلاء الأئمة سُنة يلزم الأخذ بها، ولا تصح مخالفتها، فهم وضعوا أساسًا لعلم قراءة القرآن، الذى كان يعرفه الصحابة والتابعين ولكن لم يكتبوا فيه نظرًا لأنه كان من طبائع لغتهم، فلم تظهر التواليف لهذا العلم إلا فى القرن الثالث الهجرى فأكثر الناس من التأليف فى معانى القرآن وإعرابه والاحتجاج لوجوه القراءات وذكر عللها، ومن هذه المؤلفات كتب الفراء (ت: 207هـ/822)، وأبى عبيدة (ت:210ه/825م) مجاز القرآن، وكتب الأخفش (ت: 215هـ/830م) والزجَّاج (ت: 316هـ/928)[1].

وقد انتشرت قراءة نافع فى بلاد المغرب، حيث أن مالك بن أنس قد أخذ القراءة عن أبى رويم نافع الذى أخذ عن مالك الموطأ، فظهر هذا الاتجاه الفقهى فى اختيار القراءات، فعندما ساد المذهب المالكى بالقرن الثالث كانت قراءة نافع هى القراءة السائدة بالقيروان وغيرها، فهذا الرحالة الشهير ابا عبدالله بن البناء المعروف بالمقدسى البشارى (ت:380ه/990م)[2] لما زار إفريقية فى حدود سنة 370هـ/980م، وجدها كلها لا تقرأ إلا برواية نافع، قال: "وأما القراءات فى جميع إقليم المغرب فقراءة نافع حسب"[3]، فسادت بلاد المغرب بدلًا من قراءة حمزة وتعلمها أهل القيروان على يد **محمد بن خيرون المعافرى** (ت: 306هـ/918م) هو من أهل الأندلس وبها ولد، وعداده فى الإفريقيين، خرج من بلاده صغيرًا وقصد العراق فقرأ على محمد بن نصر صاحب يحيى بن معين وغيره ثم رجع إلى مصر واعتنى بالقراءات فأخذها عن عبيد بن رجاء والمزنى، ثم تحول إلى القيروان فى غرض التجارة فاستقر بها فاجتمع إليه الناس وأخذوا عنه القراءة بحرف نافع التى كان إمامًا فيها[4].

وممن اشتهر بعلم القراءات بإفريقية **أبو القاسم عبد الرحمن الغافقى** (ت: 407ه/1016م) كان فقيهًا عالمًا بالقراءات، أخذ عن أبى بكر

---

(1) د/ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: "مقالات فى علوم القرآن وأصول التفسير"، دار المحدث للنشر والتوزيع، ط: الأولى، 1425هـ، ص90.
(2) م.ف. مينورسكى: "الجغرافيون والرحالة المسلمون"، ترجمة: أ.د: عبد الرحمن حميده، نشرة دورية محكمة، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، يناير 1985م - ربيع الثانى 1405هـ، ص14.
(3) أحسن التقاسيم، ص238.
(4) المقرى: مصدر سابق، ج2، ص65 وما بعدها؛ السلاوى (أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى السلاوى، ت: 1314ه/1897م): "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، مكتبة المصطفى الإلكترونية، 1917م، ج1، ص62.

الهوارى وابن الصواف، وكان مشهورًا بالدين والورع[1].

ومن القراء **ابن سفيان الهوارى** (ت: 415هـ/1024م)، هو أبو عبد الله محمد بن سفيان المقرئ تلقى علم القراءات على أبى الطيب بن غلبون المقرئ بمصر، وفاق أهل زمانه فى القراءات وأخذ عنه كثير من الناس وألف فى فن القراءات كتابه "الهادى فى القراءات"[2].

وبرع فى علم القراءات **أبو عمران الفاسى** (ت:430هـ/1039م) - هو أبو عمران موسى ابن عيسى ابن أبى حاج الغفجومى - أصله من فاس، واستقر بالقيروان وتفقه بها على الشيخ أبى الحسن القابسي وغيره، وكان له رحلات إلى المشرق والمغرب، قام بتدريس علوم القرآن الكريم وكان متضلعًا فى القراءات السبع والتجويد، وأقرأ القرآن بالقيروان وأسمع الحديث[3].

ومن أعلام القراء **مكى بن أبى طالب** (ت: 437ه/1045م) هو أبو محمد مكى ابن أبى طالب واسمه محمد ويقال حموش بن محمد بن مختار القيسى، سمع من ابن أبى زيد والقابسى وغيرهما، قام بعدة رحلات فى المشرق وسمع بمصر من أبى الطيب بن غلبون وتلقى عليه علوم القراءات وقرأ عليه القرآن وعلى ابنه طاهر، وكان من الراسخين فى علوم القرآن واللغة فألف فيها تصانيف جليلة، ومن أشهر تصانيفه كتاب "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ومقاييس النحو فيها"[4].

أما **أبو بكر ابن أبى طاعة** (ت: 438هـ/1046م)، فكان إمامًا فى جامع القيروان، وكان رجلًا صالحًا فقيهًا ورعًا زاهدًا وانتحل مذهب الصوفية، فلبس الخشن من الثياب، وكان على معرفة بالقراءات والتجويد، توفى بالقيروان ودفن بباب تونس[5].

كما كان **ابن عمار المهدوى** (ت: بعد 440ه/1048م) مقدمًا فى علم القراءات، فقرأ على أبى عبد الله محمد بن سفيان، ومن تواليفه "الهداية

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 151.
(2) المصدر السابق، ج3، ص 156 وما بعدها؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص314.
(3) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 159 - 165.
(4) أبى الحسن الأصبهانى: مصدر سابق، ص53؛ ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص273؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج5، ص275 وما بعدها؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 171 وما بعدها.
(5) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص172 وما بعدها.

إلى مذهب القراء السبعة" فى القراءات وهو من أهم تصانيفه والتى بها اشتهر، وله أيضًا "التيسير فى القراءات"[1].

ومن القراء **أبى اسحاق التونسى** (ت: 443هـ/1051م)، هو إبراهيم بن حسن بن يحيى المعافرى التونسى، تفقه بأبى بكر عبد الرحمن وأبى عمران الفاسى وطبقتهم، كان فقيهًا صالحًا موصوفًا بالفهم عارفًا بالحديث ووجوهه، كما كان متضلعًا فى القراءات والنحو، حضر جنازته المعز بن باديس فى جمع عظيم[2].

ومن أعلام القرآن **القصرى** (ت: 447هـ/1055م)، هو أبو بكر عتيق بن أحمد بن اسحاق التميمى، كان إمام جامع القيروان، وعرف بالعلم والدين والفضل والعبادة، وكان عالمًا بعلوم القرآن، وانتفع على يديه خلقٌ كثير[3].

كذلك **أبو الحسن الحصرى**، (ت:488هـ/1056م)، هو أبو الحسن على بن عبد الغنى المقرئ الفهرى، وهو ابن عم إبراهيم الحصرى صاحب كتاب "زهر الآداب"، كان إمامًا فى القراءات السبع، قرأ على أبى على بن حمدون الجلولى، وألف منظومة مشهورة فى قراءة نافع، رحل إلى الأندلس عندما خربت القيروان، وأقرأ بها القرآن[4].

ودرس القراءات **الحدّاد** (ت: بعد 497هـ/1104م) هو على بن محمد بن ثابت الخولانى المهدوى الإمام المقرئ، رحل إلى الأندلس وأخذ القراءات عن تلامذة المقرئ أبى عمر عثمان بن سعيد الدانى، وقرأ عليه أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى رجاء البلوى البلنسى بالمهدية، له العديد من المؤلفات[5].

ومن أعلام القراء **المازرى الذكى** (ت: 512هـ/1118م)، هو أبو عبد الله محمد بن أبى الفرج المازرى المعروف بالذكى، هو صقلى الأصل، أخذ بالقيروان على أبى القاسم السيورى وغيره، فكان فقيهًا فاضلًا متفننًا فى علوم القرآن، وألّف كتابًا فى القراءات وشرحًا فى الفقه المالكى[6].

(1) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج1، ص138.
(2) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص177 - 180.
(3) المصدر السابق، ج3، ص 180.
(4) ابن بسام: مصدر سابق، ج4، ص245 وما بعدها؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج3، ص331 - 334؛ الدباغ: مصدر سابق، ص 202.
(5) محمد محفوظ: "تراجم المؤلفين التونسيين"، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1982م، ج1، ص118 وما بعدها.
(6) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 202 وما بعدها.

ويُعد **ابن بليمه** (ت: 514هـ/1120م) هو الحسن بن خلف بن عبد الله القيروانى من القراء، فأخذ القراءات بالقيروان على أبى بكر القصرى إمام جامع عقبة، ورحل إلى المشرق فقرأ بمكة ومصر على أحمد بن نفيس برواية ورش، وتصدر للإقراء بالإسكندرية، ومن تآليفه كتاب "تلخيص العبارات بلطيف الإشارات فى القراءات"[1].

هكذا كان الاهتمام بعلوم القرآن الكريم والذى أصبح منبعًا لكثير من العلوم، وكذلك اعتنى القوم بعلم القراءات وضبطه حتى صار منهم أئمة يقتدى بهم فى القراءة ولهم العديد من التواليف كما ورد.

2- علم التفسير:

أنزل الله عز وجل القرآن الكريم بلسان عربي مبين على قوم عرُبًا خلّصا، يفهمونه بمقتضى السليقة العربية واللسان العربى، إلا أن القرآن العظيم يعلو على سائر الكلام ببلاغته وأساليبه اللغوية ومعانيه، لذا كان القوم يتفاوتون فى فهمه فكان الفيصل بينهم هو تفسير الرسول ρ الذى كُلِفَ بذلك من ربه تبارك وتعالى فقال جل شأنه: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ "[2]، فكان ρ يُعلم الصحابة القرآن ويدارسهم إياه حق الدراسة حتى أخرج جيلًا فريدًا كان القرآن عندهم دينًا ودنيا، فتعلموه وعملوا بما فيه فرفعهم الله عز وجل فوق الأمم وفتح على أيديهم البلدان ونشر بهم الإسلام، فما دخلوا بلدًا إلا وعلّموا أهله القرآن تلاوةً وحفظًا، ودراسة وتدبر، فنشأت العديد من مدارس التفسير فى مكة والمدينة والعراق والشام ومصر وغيرها من البلدان[3].

ومعنى التفسير لغةً، الإبانة والكشف، واصطلاحًا، هو علمٌ يُفهم به القرآن، بمعرفة معانيه واستخراج أحكامه وحكمه وعظاته وعبره، وكان السلف يسمونه علم التأويل[4].

وبدأ التأليف والجمع فى علم التفسير مثل باقي العلوم فى القرن الثالث الهجرى على يد طبقة أتباع التابعين[5]، ومن أبرز من ألّف فيه عبد

---

(1) الصفدى: مصدر سابق، ج11، ص328؛ اليافعى: مصدر سابق، ج3، ص160.
(2) سورة النحل، من الآية [44].
(3) د/ فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومى، "التفسير الفقهى فى القيروان حتى القرن الخامس الهجرى"، دراسات قرآنية، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ج3، ص7 وما بعدها.
(4) عبد الله بن يوسف الجديع: "المقدمات الأساسية فى علوم القرآن"، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1422هـ - 2001م، ص279 وما بعدها.
(5) ابن العربى (أبى بكر محمد بن عبد الله، ت: 543هـ/1148م): "أحكام القرآن"، تعليق

الرحمن بن زيد بن أسلم، وسفيان الثورى، وسفيان بن عيينة وغيرهم، كما ظهر فى أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريين المصنفات الجوامع فى التفسير، ومنها التى تستعمل جميع آلة المفسر من أثر ولغة ورأى، وكان من أشهر المصنفين: أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت: 310هـ/922م)[1]، وأبى بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابورى (ت: 318ه/930م)، وأبى محمد عبد الرحمن بن محمد أبى حاتم الرازى (ت: 327هـ/939م)[2].

وتناول المفسرون فى بلاد المغرب الأدنى آيات الأحكام سواءً فى التفاسير العامة أو الخاصة معتمدين فى ذلك على آراء السلف وبعض آراء مالك ولم يعرضوا الآراء وفقط بل كانوا يرجحوا بينها ويعقبوا عليها فوجدت الاجتهادات الفقهية، وممن كان له مؤلفات فى علوم القرآن والتفسير **ابن أبى زيد** (386ه/996م) فصنَّف العديد من الرسائل والمؤلفات في الفقه وعلوم القرآن، وكان له اهتمام بتفسير القرآن، وكتب فى إعجاز القرآن[3].

كما كان **أبو الحسن القابسى** (ت: 403ه/1012م) عالمًا فذًا ألَّف عدة رسائل فى أغراض شتى من العلم كالتفسير والعبادات والعقائد، منها كتابه فى التفسير "المبعد من شبه التأويل"، وقد أخذ عنه عدد كبير من الطلبة[4].

ومن أشهر المفسرين فى عهد بنى زيرى **مكى بن أبى طالب** (ت: 437هـ/1045م)، أصله من القيروان، وقد انتقل إلى الأندلس وسكن قرطبة وهو من أهل التبحر فى علوم القراءات والعربية وكان حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل كثير التآليف فى علم القرآن ومن تواليفه كتاب

ومراجعة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، 1424هـ - 2003م، ج1، ص13.

(1) الذهبى (الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، ت: 748هـ/1347م): "ميزان الاعتدال فى نقد الرجال"، تحقيق الشيخ على محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د/ عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1416هـ - 1995م، ج6، ص90؛ الزركلى: مصدر سابق، ج6، ص69.

(2) عبد الله بن يوسف الجديع: مرجع سابق، ص317 ، 322.

(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص109 - 121؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج17، ص10 - 13؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص427 - 429.

(4) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 134 - 143؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج3، ص322 - 324؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، ج9، ص61 وما بعدها؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص101.

"مشكل إعراب القرآن" والذى قصد فيه تفسير مشكل الإعراب وذكر علله وصعبه ونادره، واستقى فيه من كتب النحاس وتوفى ودفن بالربض، ومن توالفيه أيضًا "المأثور عن مالك فى أحكام القرآن وتفسيره" ويقع هذا التفسير فى عشرة أجزاء وورد ذكره فى العديد من المصادر ورغم أهميته لم يصل إلينا هذا الكتاب. وله كتاب "اختصار أحكام القرآن" ويقع هذا التفسير فى أربعة أجزاء، وورد ذكره فى العديد من المصادر وهذا الكتاب مفقودًا هو الآخر ويبدو أن صاحبه رغم أن اتجاهه العام مالكيًا إلا أنه كان يأتى بالأدلة ويستشهد بالآراء للصحابة والتابعين وأصحاب المفاهيم الأخرى[1].

ومن أعلام المفسرين **ابن عمار المهدوى** (ت: بعد 440هـ/1048م)، هو أحمد بن عمار بن أبى العباس أحمد التميمى المهدوى، ومن تواليفه "التفصيل، الجامع لعلوم التنزيل" والذى يعرف بتفسير المهدوى يشرح فيه معانى الآيات ثم يذكر القراءات ثم الإعراب[2]. هكذا وصل علم التفسير إلى درجة النضج بدولة بنى زيرى ويتضح ذلك من خلال تعدد المصنفات والعناية البالغة بها.

3- علم الحديث:

أصل علم الحديث هو أقواله ρ وأفعاله ونومه ويقظته وحركاته وسكوته وقيامه وجوده واجتهاده وعبادته وسيرته وسراياه ومغازيه ومزاحه وجده وخطبه وأكله وشربه ومشيه وسكوته وملاطفة أهله وتأديبه فرسه وكتبه إلى المسلمين والمشركين وعهوده ومواثيقه وألحاظه وأنفاسه وصفاته، مما رواه عنه من الصحابة أربعة آلاف رجل وامرأة، صحبوه بمكة قبل الهجرة ثم بالمدينة بعد الهجرة سواء ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة أو ما سألوا عنه من العبادات والحلال والحرام وتحاكموا إليه فيه، وعلم الحديث من العلوم الشرعية التى لها الفضل فى كيفية الاقتداء بالنبى محمد ρ، فلما انتشر الإسلام واتسعت البلاد وشاع الابتداع وتفرقت الصحابة فى الأقطار ومات كثير منهم، دعت الحاجة إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة، فلما كانت الخلافة للإمام العادل عمر ابن عبد العزيز، كتب إلى عماله بالمدن الإسلامية "انظروا إلى حديث رسول الله

(1) أبى الحسن الأصبهانى: مصدر سابق، ص53؛ ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص273؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج5، ص275 وما بعدها؛ أحمد بن محمد الأدنروى: مصدر سابق، ص114 وما بعدها.
(2) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج1، ص138.

ρ فاجمعوه"[1].

وفى العصر العباسى فى منتصف القرن الثانى الهجرى، بدأ جمع الحديث كما بدأ فى العلوم الأخرى، وتدوين الحديث وجد فى أمصار مختلفة وفى عصور متقاربة ففى مكة جمع الحديث ابن جُرَيج (ت: 150هـ/767م) وفى المدينة محمد بن اسحاق (ت: 151ه/768م)، ومالك بن أنس (ت: 179هـ/795م)، وبالبصرة الربيع بن صبيح (ت: 160هـ/777م) وحماد بن سلمة (ت: 176هـ/792م) وبالكوفة سفيان الثورى (ت: 161هـ/778م)، وبالشام الأوزاعى (ت: 156هـ/773م) وبخرسان ابن المبارك (ت: 181هـ/797م)، وبمصر، الليف بن سعد (ت: 175هـ/791م)، وعمت فكرة جمع الحديث فى الأمصار، وكان جمعهم هؤلاء للحديث مختلطًا بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، فكان جمع الأحاديث الغرض الأول منه خدمة التشريع لتسهيل استنباط الأحكام منه، فالموطأ مرتب ترتيبًا فقهيًا[2].

وحدثت خطوة أخرى فى تدوين الحديث على رأس المائتين، وهى طريقة تأليف المسانيد بدلا من التأليف على الأبواب، فالثانية وهى التى كانت منتشرة كأن يقول كتاب الطهارة ثم يذكر الأحاديث الواردة فيها، فهى مرتبة طبقًا لترتيب أبواب الفقه، أما المسانيد فطريقتها أن يرتب الأحاديث على حسب الرواة من الصحابة، فيجمع الأحاديث التى رواها عمر بن الخطاب عن النبى ρ مهما اختلفت موضوعاتها من صلاة أو زكاة أو ميراث؛ وممن سار على هذه الطريقة الإمام أحمد بن حنبل (ت: 241هـ/855م)[3] وسُمّى كتابه الجامع للحديث "مسند أحمد"، وانتشرت المسانيد، وكانت خطوة جديدة عملت على استقلال الحديث عن الفقه وإفراد أحاديث الرسول ρ بالذكر، وتجريد الكتب من أقوال الصحابة والتابعين، ولكنها جمعت بين الصحيح وغيره[4].

وفى القرن الثالث نشطت حركة جمع الحديث نشاطًا كبيرًا وتناولت مختلف وجوه العمل لتأليفه وتبويبه وتخليصه من الزيف والعلة، وتمييز

---

(1) أحمد أمين: "فجر الإسلام"، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، ص241.
(2) محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص494 ، 498.
(3) هو أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيبانى، أحد الأئمة الأربعة. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن حزم (أبى محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى، ت: 456ه/1071م): "الفصل فى الملل والأوهاء والنحل"، تحقيق: د/ محمد إبراهيم نصر، د/ عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: الثانية، 1416هـ - 1996م، ج3، هامش ص19.
(4) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج2، ص109.

الصحيح من الضعيف، وتشريح الرجال والحكم لهم أو عليهم، فكان بذلك خير العصور، وفيه أُلِّفت أهم كتب الحديث؛ وكانت الكتب المؤلف بعده مستمدة منه أو مبنية عليه، وممن أفرد الصحيح بالجمع وأول الراسمين لهذه الطريقة المثلى شيخ المحدثين البخارى (ت: 256هـ/870)، فجمع فى كتابه المشهور الجامع الصحيح ما تبينت له صحته، واقتفى أثره فى ذلك الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى (ت: 261هـ/875م)، وغيره من كبار المحدثين وجهابذة المؤلفين الذين زخر بهم القرن الثالث فأشرقت فيه شموس الكتب الستة فى صحيح الحديث [صحيح البخارى وصحيح مسلم وسنن أبى داود (ت: 275هـ/888م) وسنن النسائى (ت: 303هـ/915م) وجامع الترمذى (ت: 279هـ/892م) وسنن ابن ماجة (ت:273ه/886م)]، وغيرها مثل مسند الإمام أحمد بن حنبل والمنتقى فى الأحكام لابن الجارود ثم مصنف ابن أبى شيبة، وبانتهاء هذا القرن يكون قد تم جمع الحديث وتدوينه[1].

فعلم الحديث رواية ودراية تظهر فيه العبقرية الإسلامية أكثر من غيره من العلوم، حيث أنه يختلف عنها بأنه قد ابتكره المسلمون وبذلوا علماؤه جهودًا ضخمة فى جمعه وتدوينه، وصحب ذلك عملية الانتقاء والاختيار ومن ثم قيل إن الإسناد من خصائص هذه الأمة، أى تتبع رواة الحديث واحدًا فواحدًا والبحث عن حالهم من الحفظ والضبط والعدالة إلى النبى ρ، فتميزت بذلك أمة الإسلام عن غيرها من الأمم، وهو ثبوت الحديث بالنص القاطع والرواية الصحيحة، فلا جرم أن يقول عبد الله بن المبارك "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"، وهذا يبين اهتمام القوم بالسند ونقد الرجال[2].

فقد ابتليت الأمة الإسلامية هذه الأيام بمن يخرجون علينا تحت زعم حرية التعبير يطعنون فى ثوابت الدين إلى الدرجة التى قد تصل إلى إنكار ما هو معلوم من الدين بالضررة، وينالون من الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، ويقدحون فى أهل السنة وكتبهم الصحاح وينكرون جملة من الثوابت الإسلامية، يتم كل هذا تحت ما يسمى بحرية الرأى والتعبير وعلى مرأى ومسمع من المسلمين، والأمر الأغرب فى ذلك هو تحدث بعضهم باسم الدين وأن ما يذهبون إليه هو لخدمة الدين، وقد حذر النبى

---

(1) ابن خلكان: مصدر سابق، ج4، ص188؛ محمد بن مخلوف: مصدر سابق، ص501 ، 510.

(2) عبد الله كانون: "الحديث وقيمته العلمية والدينية"، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، الرباط، المغرب، العدد الثانى، السنة العاشرة، شعبان 1386هـ - ديسمبر 1966م، ص 4 - 12.

ρ من هؤلاء فقال: "إن أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان"[1] والذى أصبح شغله الشاغل النيل من ثوابت الأمة والعمل على هدمها فهؤلاء وإن كانوا من بنى جلدتنا، وينتسبون لهذا الدين، لكنهم يحملون الشر بين أضلعهم له، وقد وصفهم الله تعالى فقال: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ"[2].

ظلت جهود العلماء فى المغرب الأدنى فى طلب الحديث عن طريق الرحلة لنقل الرواية والتحقق من السند، ولم يكن جهود هؤلاء العلماء مقتصرًا على النقل وإبراز اجتهاد الآخرين، بل تعدى ذلك إلى وضع الشروح لكثير من كتب الحديث المشهورة، خاصةً الموطأ، وهو كتاب الإمام مالك صاحب المذهب الفقهى السائد آنذاك فى بلاد المغرب الإسلامى، ومن بين علماء الحديث **جعفر بن نصيف** (ت: 361ه/917م) كان من أهل العلم والحديث[3]. كما ألَّف **ابن زكرون الطرابلسى** (ت: 370ه/980م) كتبًا فى الحديث[4]. وعُرِفَ **أبو الحكم الزيات** (ت: 397ه/1007م) برواية الحديث فقد روى عن ابن مسرور العسال ثم سافر إلى بغداد وأخذ عن أعلام رواتها ثم عاد إلى القيروان[5].

ومن أعلام الحديث **أحمد بن محمد النجار**، (ت: 397هـ/1007م)، سماه أبو اسحاق السبائى أحمدين بلفظ التثنية لحفظه الحديث والرقائق، وكان يحدث ويعظ وكان حسن البيان[6]. وكذلك **أبى القاسم الصقلى** (ت: ق4ه/10م)، هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكرى الصقلى، جمع الحديث والفقه والتصوف، وله عدة تواليف[7].

وكان **أبو الحسن القابسى** (ت: 403ه/1012م) من المحدثين، رحل إلى المشرق سنة 352ه/ 963م، ثم عاد إلى مصر فأقام بها يسمع الحديث من أبى الحسن على بن جعفر الثانيانى، وسمع بمصر ومكة من جماعة كثيرين ثم عاد إلى القيروان سنة 357هـ/968م، وهو أول من أدخل

(1) فهرس ابن حبان، كتاب العلم، رقم [80]؛ مسند أحمد، باب عمر بن الخطاب.
(2) سورة البقرة، الآية [204 - 206].
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 80.
(4) ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص279.
(5) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 131.
(6) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 131.
(7) المصدر السابق، ج3، ص 145 وما بعدها.

صحيح البخارى إلى إفريقية[1]، وترك لنا تصانيف كثيرة فى الحديث والأثر، منها كتاب "المختلطة للمتحفظين" تناول فيه عددًا من الأحاديث النبوية الصحيحة، التى رواها مالك عن عدد من الصحابة عن رسول الله ρ[2].

ويُعد **عثمان بن أبى بكر الصفاقسى** (ت: 404ه/ 1013م) من أكثر البارزين فى علم الحديث، وكانت له رحلة بالمشرق وأخذ من علمائها ومحدثيها، فكان حافظًا للحديث وطرقه وأسماء رجاله ورواته، وكتب مائة ألف حديث بخطه، وكان له رواية واسعة ومعه كتب كثيرة من روايته بالعراق والشام والحجاز ومصر، وتوفى أثناء عودته من القسطنطينية لسفارة المعز بن باديس[3].

والمحدث **ابن عذرة** (ت: 405ه/1014م)، هو إسماعيل بن إسحاق بن عذرة أبو بكر الأزدى، محدث قيروانى فاضل من أصحاب ابن أبى زيد، رحل إلى المشرق وأخذ عن أبا بكر الأبهرى ومحمد الطائى، وكان انشغاله بالحديث، وغلب عليه الزهد والعباد، وسمع منه الناس الحديث بإفريقية، ومن تآليفه "تبويب صحيح الإمام مسلم بن الحجاج"[4]. وكان **أبو القاسم عبد الرحمن الغافقى** (ت: 407ه/1016م) فقيهًا عالمًا سمع الحديث وأخذ المدونة[5].

وروى الحديث **محمد بن تميم بن أبى العرب التميمى**، (ت: 419ه/ 1028م)، كان من أهل الفضل والثقة واسع الرواية، وكان من أهل الصدق والتحرى، رواه عن أبيه وعن غيره، رحل إلى مصر والتقى بكبار علمائها[6].

ودرَّس **أبو عمران الفاسى** (ت:430ه/1039م) علوم الحديث، فكان فقيهًا عالمًا بفنون العلم والحديث[7]. وكان **أبو الحسن على بن محمد المنمر** (ت: 432ه/1041م) من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقنًا لعلم الحديث[8] ويُعد أبو الطيب عبد المنعم بن محمد الكندى المعروف

---

(1) محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص97.
(2) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 134 - 143؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج3، ص322 - 324؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص94 ، 101 وما بعدها.
(3) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص18.
(4) المالكى: مصدر سابق، ج2، ص436؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص318.
(5) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 151.
(6) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص238.
(7) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 159 - 165.
(8) أحمد بك الأنصارى: مرجع سابق، 101.

بابن بنت خلدون (ت: 435ه/1044م) متضلعًا فى الحديث وعلم اللغة، وله تواليف فى فنون عدة من العلم[1].

ومن المحدثين **مروان بن محمد الأسدى البونى**، (ت: قبل 440ه/ 1048م) أندلسى رحل إلى القيروان وطلب العلم بها، ثم استقر ببونة من بلاد إفريقية فسكنها ونُسب إليها وبها مات، له كتاب كبير شرح فيه الموطأ[2].

ومن أئمة الحديث **ابن الضابط** (ت: 440ه/1048م) - هو عثمان بن أبى بكر بن حمود الصدفى - كان إمامًا كبيرًا فى الحديث واللغة وكان اعتماده فى الرواية على أبى نعيم، رحل إلى المشرق، واختبر البلاد والعباد، وبعد أن حصل على العلم عاد إلى إفريقية، وله مؤلفات فى علوم شتى منها مجموعة من الأحاديث النبوية المعروفة باسم عوالى الصفاقسى[3].

وكان **أبو اسحاق التونسى** (ت: 443ه/1051م)، عارفًا بالحديث ووجوهه[4]. كما اعتنى **أبو القاسم بن محرز** (ت: 450ه/1058م) بالحديث ورجاله[5].

هكذا اهتم علماء المغرب الأدنى خلال عهد الدولة الزيرية بعلم الحديث حفظًا ودراسةً وتدريسًا، بل صنفوا العديد من الكتب الخاصة بعلم الحديث، حتى أصبح هناك إرث عظيم على مدار القرون الهجرية الأولى من مصنفات الحديث ببلاد المغرب الإسلامى نذكر منها كتاب "خير من زنته" لعلى بن زياد (ت: 183ه/797م)، و"الأسدية" لأسد بن الفرات (213ه/828م)، و"المدونة" لسحنون بن سعيد (ت: 240ه/854م)، وقد ذاع صيت المدونة حتى غدت الكتاب الذى يدور حوله الحديث، ثم تتابعت المؤلفات فى الظهور بكثرة خاصة فقه المذهب المالكى أصولاً وفرعًا منها: "الرسالة" لابن أبى زيد (386ه/996م)، و"النامى فى شرح الموطأ" لأبو جعفر الداودى (ت: 402ه/1010م)، كما ألَّف مروان بن محمد البونى (ت: قبل 440ه/ 1048م) شرحًا على الموطأ، و[كتاب

(1) القاضى عياض: مصدر سابق، ص833.
(2) المصدر السابق، ص546.
(3) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص22؛ التجانى: مصدر سابق، ص78 - 80؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص85 وما بعدها.
(4) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 177 - 180.
(5) ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص325.

التعليق على المدونة] لأبى اسحاق التونسى (ت: 443ه/1051م)[1]، وكتاب [الملخص] فى اختصار المدونة للبيدى (ت: 446ه/1054م). وبذلك يتضح لنا نشاط علماء المغرب الأدنى بدولة بنى زيرى فى علم الحديث.

4- علم الفقه:

الفقه لغةً: هو العلم بالشيء والفهم له والفطنة فيه، وغلب عليه علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلوم[2]، **والفقه اصطلاحًا:** هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة، أو المستنبطة من أدلتها التفصيلية، وموضوع الفقه هو العلم بأحكام أفعال المكلفين الشرعية دون العقلية[3]، والفقيه هو العالم بالأحكام الشرعية، والأحكام الشرعية هى خطاب الله جل جلاله المتعلق بأفعال المكلفين طلبًا أو تخييرًا أو وضعًا[4].

وكانت الغالبية العظمى من أهل المغرب الأدنى سُنيين لأنهم تلقوا عقيدتهم منذ القرن الأول الهجرى عن الصحابة والتابعين[5] الذين أخذوا أصول اعتقادهم من الكتاب والسنة، وتبحر علماء السنة بالمغرب الأدنى فى الفقه والتفسير والحديث، وكان المذهب المالكى السائد من مذاهب أهل السنة بالمغرب الأدنى مع بداية الدولة الزيرية[6].

وممن عرف من فقهاء بنى زيرى مع ارتقاء بُلكين بن زيرى عرش المغرب الأدنى **السدرى** (ت: 361ه/ 971م) هو أبو القاسم زياد ابن يونس اليحصبي السدري، كان فقيهًا وعالمًا، وكان من الصلحاء وذوى الحجا والنهى ثقة عارفًا بالرجال، وعرض عليه خطة القضاء ولكنه

(1) المصدر السابق، ج1، ص269.
(2) ابن منظور: مصدر سابق، مادة فقه، ص3450.
(3) أبى يعلى (القاضى أبى يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادى الحنبلى، ت: 458ه/1066م): "العدة فى أصول الفقه"، تحقيق: د/ أحمد بن على سير المباركى، ط: الثالثة، 1414ه - 1993م، ج1، ص68 وما بعدها.
(4) أبى الحسين (يحيى بن أبى الخير بن سالم العُمُرانى الشافعي اليمنى، ت: 558ه/1163م): "البيان فى مذهب الإمام الشافعى"، دار المنهاج للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1421ه - 2000م، ج1، ص22.
(5) ابن حجر العسقلانى (الحافظ أبى الفضل أحمد بن على بن حجر شهاب الدين العسقلانى الشافعى، ت:852ه/1448م): "تهذيب التهذيب"، تحقيق: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج4، ص361.
(6) المالكى: مصدر سابق، ج1، ص25.

رفضها[1].

وكذلك الإمام **أبى اسحاق الجبنيانى** (369ه/ 979م) - هو إبراهيم بن أحمد بن على بن أسلم البكرى الجبنيانى - مجمع على فضله وورعه، أخذ عن عيسى بن مسكين بالإجازة، كان من أعلم الناس باختلاف العلماء، عالمًا بعبارة الرؤيا، أثنى عليه أبو الحسن القابسي قائلًا: "الجبنيانى إمام يقتدى به"، ومدحه أبو محمد بن أبي زيد[2]. وكذلك كان **ابن أبى عقبة التميمى** (ت: 369ه/ 979م) - هو أبو بكر هبة الله بن محمد بن أبى عقبة التميمي - من أهل العلم والتقوى والتعبد، وأخذ عنه الناس المدونة والموطأ[3].

كما ألف **ابن زكرون** (ت: 370ه/ 980م) كتبًا عديدة فى الشريعة والفرائض والرقائق والحديث، سمع من أبى عبد الله الجيزى وابن المنذر وغيرهم من العلماء وانتفع به أهل طرابلس، له تآليف فى الفرائض والحديث والرقائق[4].

ومن الفقهاء البارزين **ابن التبَّان** (371ه/981م) - هو أبو محمد عبد الله ابن اسحاق ابن التبَّان - كان خطيبًا مفوهًا وسخَّر ذلك للذبّ عن المذهب المالكي، كما كان فقيهًا وعالمًا فى علوم القرآن وأصول التوحيد، كما كان متفننًا فى علوم شتى منها النحو والرياضيات والفلك والطب وتفسير الأحلام، وقد ضربت إليه أكباد الإبل من الأمصار لعلمه، وذكره الإبيانى الذى كان له معرفة بالرجال: (كان ابن أبى هشام علامة وابن أبى زيد ثاقب الفكر وابن التبان لسان حال الحكمة المنبثقة عن كامل شخصيته)، وقد ذكره أصحاب التراجم دومًا بأنه كان يتحلى بالتواضع والنزاهة وكانت تأتيه الفتوى من كل مكان، وتوفى ودفن بالرمادية[5].

ويُعد **ابن أخى هشام** (ت: 371ه/ 981-983م) - هو أبو سعيد خلف بن عمر بن أخى هشام الربعى - من كبار فقهاء عصره وأعلمهم بمذاهب المدينة، هو من أهل القيروان تفقه بابن نصر ومن أحد تلاميذ ابن اللباد والإبيانى، واشتهر بالعلم والتقوى، سئل عنه أبو محمد بن أبى زيد من

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص78 وما بعدها.
(2) محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص95.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 85.
(4) ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص279.
(5) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص321؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص88 - 96؛ الذهبى: العبر فى خبر من غبر، ج2، ص138، ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص431.

أحفظ أصحابكم؟ قال: أبو سعيد أحفظهم[1]. كما كان **أبو الأزهر عبد الوارث** (ت: 371هـ/981م) - هو أبو الأزهر عبد الوارث ابن حسن بن أحمد ابن معتب ابن أخى الأزهر عبد الوراث - من أئمة الدين والعلماء الراسخين، صحب أبا بكر بن اللباد وغيره من العلماء، ذا علم بارع ومعرفة بالفقه والقضاء والنوازل[2]. كما كان **يونس ابن سليمان السقاء** (ت: 371هـ/981م) لسان أهل السنة فى الرد على المخالفين من أهل البدع، فكان فصيح اللسان، قوى المناظرة[3].

واتصف بالفقه والعبادة **تميم بن أبى العرب** (ت: 371ه/981م) - هو أبو العباس تميم ابن أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم - من أهل العلم والعبادة والورع، وقد لقى عيسى بن مسكين، وأخذ حديثه عن أبيه أبى العرب، ولقى موسى بن عبد الرحمن وأخذ عنه كتاب الإمام لمحمد بن سحنون وأجاز له كتاب محمد بن المواز، ولقى حماس بن مروان وسمع منه كتاب ابن المعذل وكتاب انس بن عياض، ولقى محمد بن عمر أخا يحيى بن عمر وأخذ عنه الدمياطية والبرقية ومنتخباته[4].

وقد اشتهر من فقهاء المغرب الأدنى **الخُشنى** (ت: 371هـ/981م) فتفقه بالقيروان على أبى بكر بن اللباد وغيره، وسمع بالأندلس ثم استوطن بعد ذلك قرطبة، ودخل سبتة قبل 320ه/932م، فحبسه أهلها عندهم وتفقه عليه قومٌ منهم، واستقر آخرًا بقرطبة وتولى الشورى بها وتمكن من ولى عهدها الحكم المستنصر[5] وألَّف له تآليف حسنة، منها: "أصول الفتيا فى الفقه على مذهب الإمام مالك، وكتابه فى الاتفاق والاختلاف فى مذهب مالك".[6] وكذلك **محمد بن حسن السرتى** (ت:383هـ/983م) - هو أبو عبد الله محمد بن حسن الزويلى السرتى -

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص99 - 104؛ ابن فرحون المالكى: مصدر سابق، ج1، ص 181 وما بعدها؛ محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص96.

(2) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص98.

(3) المصدر السابق، ج3، ص98 وما بعدها.

(4) المصدر السابق، ج3، ص97.

(5) هو المستنصر بالله الحكم بن الناصر لدين الله عبد الرحمن، الخليفة الأموى بعد أبيه، كان عالمًا بالفقه والخلاف والتواريخ، محبًا للعلماء محسنًا إليهم، توفى سنة 366ه/976م. لمزيد من التفاصيل انظر: أبو الحسن القفطى: مصدر سابق، ج2، ص121.

(6) المالكى: مصدر سابق، ج1، المقدمة، ص15م وما بعدها؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص81 - 83؛ الذهبى: العبر فى خبر من غبر، ج2، ص112؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص212 وما بعدها؛ هذا وقد وجد اختلاف فى عام وفاته هل هو عام 361 أم 371ه، ويرجح العلامة حسن حسنى عبد الوهاب عام 371ه، وقد أوضح ذلك فى كتابه العُمُر، ج2، ص397.

كان من أهل العلم والفرايض وسمع بإفريقية من ابن مسرور العسال وابن اللباد وغيرهم[1].

ومن الفقهاء المعروفين **أبو محمد عبد الله بن أبي زيد** (386ه/996م) من نفزاوة ومن شيوخه ابن اللبّاد ووابن سعيد بن الحداد وأبي العرب وابن مسرور والإبياني، وكان له مجهود كبير في جمع الفقه المالكي ووضع التعاليق والشروح والملخصات والتمهيدات على أهم المؤلفات وأمهات الكتب بقصد تيسير فهمها إلى جانب تفريع المسائل بها، وكان العمل الأول لابن أبي زيد هو "الرسالة" وهو كتاب مبسط لشرح المذهب المالكي، وقد أحرز هذا العمل انتشارًا كبيرًا داخل المغرب الأدنى وخارجه، ومن بين مؤلفات ابن أبي زيد العديدة:

- مختصر المدونة.
- النوادر والزيادات على ما في المدونة وغيرها من الأمهات.
- تهذيب العتبية.
- كتاب قيام رمضان والاعتكاف.
- كتاب الاقتداء بأهل المدينة.- كتاب الذبّ عن مذهب مالك.
- كتاب المعرفة واليقين والتوكل.
- كتاب ردّ الخاطر من الوسواس.
- رسالة إلى أهل سجلماسة في تلاوة القرآن.
- في من تأخذه عند قراءة القرآن والذكر حركة.
- الرد على القدرية ومناقشة رسالة البغدادي المعتزلي.
- الرد على ابن مسرة المارق.
- ثلاثة أجزاء في إثبات كرامات الأولياء...الخ.

وهذا المؤلفات تشير إلى غزارة وتنوع مؤلفات ابن أبي زيد، فقد كان كاتبًا بارعًا جمع أسلوبه بين المتانة والإيجاز، وقد أخذ عنه عدد كبير من الإفريقيين والصقليين والمغاربة والطرابلسيين والأندلسيين وغيرهم[2]، ومما زاد في شهرة ابن أبي زيد أنه كان على غاية من الثراء، وكان من

---

(1) الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص105.

(2) مؤلف مجهول (القرن 8ه/14م): "مفاخر البربر"، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار رقراق للطباعة والنشر، ط: الأولى، 2005م، ص154.

أهل الإيثار والصدقة، كثير البذل للفقراء والغرباء وطلبة العلم، فكان له دور بارز على الصعيدين الروحي والاجتماعي، وعرف "بمالك الأصغر"، فكان له مجهود رائع في جمع الفقه المالكي وترتيبه وتصنيفه وتركيزه على أسس عقلية، فكان ابن أبي زيد من أكبر الداعمين للمذهب المالكي. وبفضل تلاميذه تجاوز علم ابن أبي زيد إلى خارج المغرب الأدنى، ولما التحق ابن أبي زيد بجوار ربه، خلفه أبو الحسن القابسي الذي بذل بكل جهد ومثابرة لإتمام عمل سلفه الجليل وإثراؤه[1].

كما كان الاعتماد على **ابن شبلون** (ت: 390 أو 391هـ/ 999 - 1000م) - أبو القاسم عبد الخالق ابن خلف - في القيروان في الفتوى والتدريس بعد أبي محمد أبي زيد، أخذ عن ابن أخي هشام وابن الحجاج والكانشي، وصنّف العديد من المؤلفات، وجمع بين الفقه الحسن والأحوال السنية[2].

كما كان **أبو جعفر أحمد بن خلف الأجدابي** (ت: 391هـ/1001م) ذا فقه بارع وجدل وأدب وكرم نفس وطلاقة، صاحب أحوال سنية وهمة علية.[3] وكان **القاضي أبو بكر** (ت: 399هـ/1009م) - هو القاضي محمد بن عبد الله بن هاشم - ذو عقل وصيانة وتواضع وإتباع أهل الدين مع فقه وورع فجمع القرآن والعلم[4].

أما الفقيه **أبو جعفر الداودي** (ت: 402هـ/1010م) - هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي - فكان فقيهًا وعالمًا، مشاركًا في الحديث والنظر واللسان، حمل عنه أبو عبد الملك البوني وأبو بكر أحمد بن أبي عمر بن أبي محمد بن أبي زيد، وله العديد من المؤلفات في الفقه والحديث منها "النامي في شرح الموطأ، وكتاب الواعي في الفقه، والإيضاح في الرد على القدرية" وغير ذلك[5].

ومن علماء المالكية في العهد الزيري **أبو الحسن القابسي** (403هـ/ 1012م)، هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بالقابسي، إمام المذهب المالكي، لاسيما بعد وفاة ابن أبي زيد، ومن بين

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص109 - 121؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص10 - 13؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص427 - 429.
(2) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 123 وما بعدها. ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص259 وما بعدها.
(3) أحمد بك الأنصاري: مرجع سابق، ص95 وما بعدها.
(4) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 132.
(5) القاضي عياض: مصدر سابق، ج1، ص18؛ محمد محمد مخلوف: مصدر سابق، ص110 وما بعدها؛ ناصر الدين محمد الشريف: مرجع سابق، ص81.

الشيوخ الذين أخذ عنهم القابسى، نشير بالخصوص إلى الإبيانى وابن مسرور الدباغ وابن زكرون، كما تأثر بالسبائى والجبنياني الساحلى، وقد أقام القابسى بالمشرق من سنة 352هـ/963م إلى سنة 357هـ/ 968م صحبة درَّاس الفاسى والعالم الأندلسى الأصيلى، والعالم المصرى حمزة بن محمد الكنانى، ومن مؤلفاته:

- الملخص للمتحفظين.
- والرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين.

كما ألف القابسى عدة رسائل فى أغراض شتى من العلم كالتفسير والعبادات والعقائد ومناسك الحج والرباطات، وقد قام بالتدريس للقراءات والفقه، فقد كان فقيهًا فذًا، ومحدثًا شهيرًا، فقد نشر فى المغرب صحيح البخارى ووضع له رواية تعرف برواية القابسى، وقد أخذ عنه عدد كبير من التلاميذ، وتوفى رحمه الله ليلة الأربعاء ودفن يوم الخميس صلاة الظهر لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة، وله من العمر ثمانون سنة إلا خمسة أشهر[1].

وبعد وفاة القابسى وجدت طبقة أخرى عاصرت الدولة الزيرية فى ازدهار حضارتها فى عهد باديس وابنه المعز، وقد أسهمت فى قمع بقايا المنتسبين إلى مذهب الشيعة فى إفريقية وحرضت على قطع الصلة بالملوك الفاطميين المقيمين بمصر، وشاركت الأمراء فى النداء بتوحيد المذهب في المغرب عامة واتخاذ مذهب مالك دون وسواه، ومن أبرز رجال هذه الطبقة **أبى على حسن بن خلدون البلوى** (ت: 407هـ/ 1016م)، أحد تلاميذ القابسى البارزين، كان ركنًا من أركان أهل السنة، اهتم بالعقيدة الأشعرية، وكان يتمتع بنفوذ قوى، وكان يعارض الشيعة معارضة شديدة فكان مغريا بالرافضة، ومات رحمه الله بعد أن طعن طعنات بالمسجد أودت بحياته ونقل إلى منزله حيث مات[2].

أما **أبو القاسم عبد الرحمن الغافقي** (ت: 407هـ/1016م) فكان فقيهًا عالمًا سمع الحديث وأخذ المدونة[3]. وكذلك الفقيه **ابن الكاتب** (ت:408هـ/1017م) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن على بن محمد الكنانى، أخذ عن ابن شبلون وسمع من القابسى وكان من العلماء الراسخين، رحل إلى المشرق وعاد إلى القيروان وتوفى بعدها على

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 134 - 143؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج3، ص322 - 324؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص94 ، 101 وما بعدها.
(2) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص151 - 155.
(3) المصدر السابق، ج3، ص 151.

مشارف صفاقس[1].

واستقر الفقيه **أحمد بن سعدى الإشبيلى** بإفريقية فلقى أبا محمد بن أبى زيد بالقيروان، واستوطن المهدية واستوطنها ومات بها ودفن بمقبرة المنستير، حدّث عنه أبو عمر الطلمنكى وغيره وقال لقيته بمصر وكتب إلىَّ بإجازة ما رواه من المهدية سنة 410ه/1019م[2].

أما الفقيه **أبو العرب تميم** (417ه/1027م) فكان من أهل العلم والفضل والثقة حافظًا لمذهب مالك وأخذ عن أصحاب سحنون[3].

كما أخذ **الخوَّاص** (ت: 426ه/ 1034م) - هو أبو عبد الله محمد بن العباس الأنصارى الخواص - العلم على ابن أخى هشام وابن أبى زيد وأبى عمران الفاسى، واشتهر بالعلم والعبادة والفضل[4]. وكذلك كان **العطار** (ت: 428ه/1037م) - هو أبو حفص عمر بن أبى الطيب محمد التميمى - من أئمة فقهاء القيروان، كان حافظًا قيمًا بالمذهب، حسن الاستنباط، وانتفع به خلق كثير منهم عبد الحميد بن الصائغ المهدوى وابن سعدون[5].

وتفقه **أبو عمران الفاسى،** (ت: 430ه/1039م) - أصيل مدينة فاس - بالقيروان على الشيخ أبى الحسن القابسى وغيره، وعلى ابن أحمد اللواتى السوسى، ثم رحل إلى قرطبة فقرأ على أبى محمد الأصيلى، ثم رحل إلى المشرق وأخذ بمكة عن أبى اسحاق عبيد الله السرقسطى، وعند عودته للقيروان درَّس الفقه واسمع الحديث وتفقه عليه جماعة كثيرة[6].

ومن الفقهاء المعروفين **ابن البراذعى** (ت: 430ه/ 1038م) هو أبو القاسم خلف بن أبى القاسم الأزدى ويكنى أيضًا بأبى سعيد، كان صاحب ابن أبى زيد ومن وجوه حفَّاظ مذهب مالك فى عصره، ومن أشهر مؤلفاته كتاب التهذيب فى اختصار المدونة اتبع به اختصار أبى محمد ابن أبى زيد[7].

وكان **أبو حفص عمر بن عبد العزيز ابن طيبون** (ت:

---

(1) المصدر السابق، ج3، ص 155.
(2) المصدر السابق، ج3، ص71.
(3) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 158؛ المقريزى: المقفى الكبير، ص424.
(4) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص169.
(5) المصدر السابق، ج3، ص164 وما بعدها.
(6) المصدر السابق، ج3، ص159 - 164.
(7) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 146 - 150؛ إسماعيل باشا البغدادى: "هدية العارفين"، مطبعة وكالة المعارف الجليلة، استانبول، 1951، ج1، ص390.

431هـ/1040م)، من أهل الفقه والحفظ والعلم، وكان ذا ورع ودين، عرض عليه القضاء فامتنع منه، وكان شيخه أبو بكر بن عبد الرحمان يزكيه[1].

ومن فقهاء المالكية المشهورين **أبو بكر بن عبد الرحمن** (ت: 432 أو 435هـ/ 1040-1043م)، هو أبو بكر أحمد بن عبد الحرمن بن عبد الله الخولاني، قرأ على أبي سعيد ابن أخي هشام وأبي محمد بن أبي زيد، ولزم الشيخ أبا الحسن القابسي والذي أباح له الفتيا في حياته، ولقي برحلته إلى المشرق أبا عتيق بن موسى الحاتمي المصري وأبا بكر محمد بن بكر النعالي وغيرهما، وأجازوه كلهم إجازة عامة[2].

وكذلك الفقيه **ابن بنت خلدون** (ت: 435هـ/ 1044م) هو أبو الطيب عبد المنعم بن محمد الكندي وهو ابن أخت الشيخ أبي علي بن خلدون (ت: 407هـ/ 1016م)، قد قرأ القرآن على أبي عبد الله بن سفيان وقرأ الفقه على أبي بكر بن عبد الرحمان وأبي عمران الفاسي، وكان متضلعًا في الأصول والكلام واختلافات الفقهاء والحديث والنحو وعلم اللغة، وكذلك علم الكلام والحساب والهندسة، وله تواليف في فنون عدة من العلم[3].

وكان **أبو علي الحسن بن محمد ابن الجدود اللواتي** (ت: 437هـ/1045م)، أحد فقهاء القيروان وذوي العلم والدين والنباهة[4]. ومن الفقهاء **أبي عبد الله محمد بن عبد الله المالكي** (ت: 438هـ/1046م)، صاحب الشيخ أبي الحسن القابسي وكان فقيها صالحًا فاضلًا كثير الخدمة للصالحين ، وأبو الحسن القابسي هو الذي سماه المالكي، ورحل أبو عبد الله بعد وفاة الشيخ أبي الحسن إلى مكة وسمع عليه البخاري، توفي بالقيروان ودفن بباب تونس[5].

أما **أبو اسحاق التونسي** (ت: 443هـ/1051م) - هو أبو اسحاق إبراهيم بن حسن بن يحيى المعافري التونسي، فقد أخذ الفقه عن أبي بكر بن عبد الرحمان وأبي عمران الفاسي، كان فقيهًا صالحًا موصوفًا بالفهم عارفًا بالحديث ووجوهه، كما كان متضلعًا في القراءات والنحو وهو

---

(1) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 186.
(2) المصدر السابق، ج3، ص165 - 169؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص177 وما بعدها.
(3) القاضي عياض: مصدر سابق، ص833.
(4) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 171.
(5) المصدر السابق، ج3، ص 173.

صاحب كتاب التعليق الذى يعرف بتعليق التونسى على المدونة، توفى رحمه الله ودفن بباب سلم، وحضر جنازته المعز بن باديس فى جمع عظيم(1).

وعرف من فقهاء المالكية بالمغرب الأدنى **اللبيدى** (ت: 446هـ/1054م)، هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمى المعروف بأبو القاسم اللبيدى، نسبة إلى لبيدة وهى قرية كانت عامرة بالقرب من جبنيانة، وقرأ اللبيدى بالقيروان على ابن أبى زيد وأبى الحسن القابسى الذى أرسله للتدريس بالمهدية، وأخذ عنه جماعة كبيرة من الإفريقيين والأندلسيين الوافدين على البلاد، فكان فقيهًا فاضلًا يقول الشعر الجيد، وله العديد من المؤلفات مثل "الشرح والتفصيل لمسائل المدونة"، و"الملخص" وهو اختصار المدونة(2).

جمع **أبو بكر عتيق السوسى** (ت: 462هـ/1070م) العلم والعبادة والزهد، وهو من الفقهاء البارزين والحفاظ المعدوين، كما كان عالمًا بالنحو واللغة، هو من صلى على أبى عمران الفاسى، ومن شدة ورعه رحمة الله عليه أنه كان يفتى فى مرة وأخرى لا يفتى حين لا تكون واجبة، وكان حافظًا للفقه والحديث، وحبس على طلبة العلم كتب العلم التى أهداها إليه المعز بن باديس(3).

واعتنى بالفقه **محمد بن نعمة الأسدى** (ت: 481هـ/ 1088م) وسمع بالقيروان على أبى عمران الفاسى ومروان بن على البونى واستوطن المرية(4).

وبعد هجوم القبائل الهلالية على إفريقية تقلصت ظلال العلم فى البلاد ورحل العديد من العلماء ومنهم من بقى بالبلاد، ومن علماء هذه الفترة **ابن محرز** (ت: 450هـ/ 1058م) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محرز المقرِّى القيروانى، كان فقيهًا نظارًا نبيلًا، أخذ عن القابسى وأبى بكر بن عبد الرحمن وأبى عمران الفاسى وأبى حفص عمر بن العطار، كان معلومًا بالفقه والفهم والعناية بالحديث ورجاله، وقد ألّف عدة كتب فى

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 177 - 180؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص269.
(2) القاضى عياض: مصدر سابق، ص834؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 175؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص484.
(3) الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص181؛ محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص106 وما بعدها.
(4) ابن بشكوال: مصدر سابق، ص241.

الفقه[1]. وكذلك **عبد الواحد بن تميم التجيبي الكفيف**، كان له عناية كبيرة بالفقه، وأباح له الشيخ أبو بكر بن عبد الرحمان الفتيا[2].

كما أخذ **السيوري** (ت:460 أو 462هـ/ 1067أو 1069م) - هو أبو القاسم عبد الخالق ابن عبد الوارث التميمي - الفقه عن أبي بكر بن عبد الرحمن وأبي عمران الفاسي وغيرهما، أنفق كل ماله في أعمال البر والإحسان، كان مدرسًا وفقيهًا وبقي بعد خراب القيروان مدة، فهو يعد آخر علماء الطبقة العالية من الفقهاء القيروانيين، ودفن بداره[3]. ومنهم **أبو بكر أحمد ابن أبي محمد عبد الله** (ت: بعد 460هـ/1068م)، هو ابن أبي محمد ابن أبي زيد، له مشايخ جلة وروايات كثيرة وروى كتاب التهذيب عن مؤلفه أبي القاسم البراذعي، وأخذ عنه الناس، فكان فقيهًا فاضلًا ولاه المعز بن باديس قضاء القيروان في سنة 435هـ/1044م بعد ابن هاشم، توفي ودفن بالقيروان[4].

وهنا تبتدئ طبقة أخرى من علماء الشريعة الذين انتقلوا من القيروان إلى الساحل التونسي واستوطنوه وأقرأوا به وعلى رأسهم **اللخمي** (ت: 478هـ/1085م) هو أبو الحسن علي ابن محمد الربعي، أصله من القيروان وانتقل إلى سكنى صفاقس، أخذ عن التونسي وابن بنت خلدون وابن محرز والسيوري، وكان فقهيًا فاضلًا ذا حظ من الأدب والحديث، ومن أشهر مؤلفاته "التبصرة"، وهو تعليق على المدونة[5].

وكذلك **محمد بن سعدون** (485هـ أو 486هـ/ 1093م)، هو أبو عبد الله محمد ابن سعدون بن علي بن بلال، أخذ عن عدد من الشيوخ الإفريقيين مثل أبا بكر بن عبد الرحمان واللبيدي والسيوري والبوني، وألف كتاب مناقب أبي بكر بن عبد الرحمان وكتاب "الإكمال على التعليق" وهو تكملة لتعليق التونسي على المدونة[6].

ومن أشهر فقهاء هذه الطبقة **ابن الصائغ** (ت: 486هـ/ 1093م)، هو أبو محمد عبد الحميد ابن محمد المعروف بابن الصايغ، وأصله من القيروان وسكن سوسة، وأدرك أبا بكر بن عبد الرحمان وأبو عمران

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص185؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص153.
(2) الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 186.
(3) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 181 - 184؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص22.
(4) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 187 - 189.
(5) القاضي عياض: مصدر سابق، ص850؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 199 وما بعدها؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص104 وما بعدها.
(6) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 198.

الفاسى وتفقه على أبى حفص العطار وابن محرز والتونسى والسيورى وغيرهم، كان فقيها أصوليًا زاهدًا وكان له تعليق على المدونة، هاجر إلى سوسة بعد غزوة بنى هلال ومات بها بعد عهد تميم[1]. وكذلك الفقيه **القفصى** (ت: ق 5ه/ 11م)، هو أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن إبراهيم المؤدب، من فقهاء قفصة وفضلائها، وقرأ على عبد المنعم ابن بنت خلدون والتونسى والسيورى وغيرهم، وألف كتابًا حول رؤية هلال شوال[2].

ومن أشهر هؤلاء الفقهاء الإمام **المازرى** (ت: 536ه/ 1141م) هو أبو عبد الله محمد بن على بن عمر التميمى المشهر بالإمام المازرى، وهو أصيل مدينة مازرة بصقلية، ولكن أخذ العلم بالمغرب الأدنى على يد اللخمى وابن الصائغ، وكان إمامًا للمذهب المالكى فى عصره، فقد كان متضلعًا فى أصول الفقه والعقائد، وكان يركز فتواه على المشهور من المذهب المالكى، واهتم أيضًا بالأدب فكان من فحول الشعراء، كما نبغ فى الرياضيات والطب، وقد أخذ عنه عدد كبير من الأندلسيين، وكانت له مؤلفات عدة:[3]

- كتاب المعلم بفوائد كتاب مسلم، وهو أول شرح على صحيح مسلم.
- كتاب إيضاح المحصول من برهان الأصول.
- شرح على تلقين عبد الوهاب، والتلقين هو تأليف القاضى عبد الوهاب (ت: 422ه/1030م)، وهو أربعة أجزاء[4].

هذا وقد حمل المعز بن باديس الناس فى أيامه على مذهب الإمام مالك وقطع ما عداه، فقد كانت بإفريقية مذاهب الصفرية والشيعة والإباضية والنكارية والمعتزلة ومن مذاهب أهل السنة الحنفية والمالكية، فلم يبق فى أيامه إلا مذهب الإمام مالك[5]. هكذا توفرت الظروف والعوامل لسيادة المذهب المالكى بإفريقية بدولة بنى زيرى على يد فقهاء دافعوا عنه ضد الفرق الضالة، وكان لهم دورًا كبيرًا فى الحفاظ على

(1) القاضى عياض: مصدر سابق، ص849؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 200 وما بعدها؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص260.
(2) حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص688 - 690.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 202 وما بعدها.
(4) حسن حسنى عبد الوهاب: "الإمام المازرى"، منشورات لجنة البعث الثقافى الإفريقى، دار الكتب الشرقية، تونس، ص59.
(5) ابن أبى دينار: مصدر سابق، ص81.

العقيدة السليمة.

ثانيًا: الزهد والتصوف:

قد كان للتصوف تواجد قبل قيام دولة بنى زيرى، فكانت تعقد الجلسات الصوفية أسبوعيًا فى مساجد القيروان مثل مسجدى الخميس والسبت[1]. وزادت هذه الجلسات خاصة بعد منع بنو عبيد لها، وإن كان فقهاء المالكية قد أنكروا كل هذه البدع[2] إلا أن ذلك لم يمنعها من الاستمرار ومن الجدير بالذكر أن المعز بن باديس قد استاء من هذه الجلسات التى كانت تعقد بمساجد القيروان إلا أنه كالعادة فإن جلسات الصوفية كانت تجذب إليها الكثير من العوام مما يعطيها استمرارية[3].

ولم تقتصر هذه الجلسات على مساجد القيروان فحسب بل انتشرت فى كثير من المساجد ببلاد المغرب، كانت تعقد فيها حلقات للذكر وتلاوة القرآن وقراءة كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى وشيء من كتب الوعظ، ولكنها لم تخلو من العديد من البدع، فأقرها بعض الفقهاء بضوابط، ومن أهل التصوف بالمغرب الأدنى **أبى مالك الدباغ** (ت: 361هـ/971م) هو أبو سعد ابن مالك الدباغ الصوفى، كان من العلماء بالله العارفين به ذا أمانة وصدق وتواضع مع فهم دقيق فى القرآن[4].

كما كان **أبو الحسن ابن نصر الزعفرانى** (ت: 362هـ/ 972م) جامعًا لخصال كثيرة من الخير، منها العلم والتعبد ومحبة الصالحين والعلماء، وكان من أهل الورع[5].

وكذلك **أبو القاسم بن سعيد** (ت:366هـ/976م) - هو أبو القاسم بن سعيد العابد قريب أحمد ابن نصر - كان من أهل القرآن والتهجد، حج أربعين حجة واعتمر ألف عمرة، كان يؤثر الفقر ويكتمه ويصبر عليه، وساح فى الجبال وكان حصورًا لا يأتى النساء[6].

كما كان **أبو السرا** (ت: 367هـ/ 977م) - هو أبو السرا واصل ابن عبد الله العابد - من أهل الفقر والتقشف والجد والاجتهاد ولزوم الأسفار والتغرب عن الأوطان، وكان غالبًا ما يأوى إلى مسجد السدرة

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج2، ص238.
(2) المالكى: مصدر سابق، ج1، ص471، 494.
(3) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص280.
(4) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص78 وما بعدها.
(5) المصدر السابق، ج3، ص 80.
(6) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص84.

بالقيروان[1].

ويُعد **تميم بن أبى العرب** (ت: 371ه/981م) من أهل العلم والعبادة والتقشف والزهادة والورع والرقة وسرد الصيام[2].

ومن شيوخ الصوفية بالقيروان **أبى القاسم عبد الرحمن الصقلى** (ت: ما بين 375 و 380ه/ 985 و 990م) - هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكرى الصقلي - ويقول الأستاذ/ حسن حسنى عبد الوهاب: "لا ندرى إن كان ولد بصقلية كما تقتضيه نسبته أو أنه ولد بالقيروان"[3]، قد تلقى العلوم الشرعية على كبار فقهاء القيروان كأبى الحسن بن مسرور والدباغ وأبى العرب التميمى والسبائى وجماعة كثيرة، ورحل المشرق واجتمع بعلماء كُثُر، ثم عاد إلى القيروان وأشهر فيها مذاهب المتصوفين من القول بكرمات الأولياء وخوارق العادات الجارية على أيدى الصلحاء، فأنكر عليه ذلك أبو محمد عبد الله بن أبى زيد أشد الإنكار وألف كتابًا للرد عليه، فأشار أبا القاسم فى تصانيفه إلى قصور الفقهاء الذين ينكرون القدرة وما وهب الحق لأوليائه، وقد اقتدت به حينئذٍ جماعة كبيرة من أهل القيروان واقتفت أثره وأخذت عنه قواعد التصوف، ومن تصانيفه كتابه المسمى بأنوار الصقلى والذى بنى فيه قواعد التصوف على الكتاب والسنة[4].

كما كان **أبو عبد الله محمد** (ت: 384ه/994م) - ابن الشيخ أبى سعيد ابن أخى هشام - من أهل مكابدة الليل والتهجد بالقرآن وسرد الصيام، وكان غزير الدمعة كثير الخشوع زاهدًا ورعًا عفيفًا[5].

وكان من الزهاد **ابن حمديس القطان العابد** (ت: 384ه/949م) كان من أزهد الناس فى وقته مع توبة نصوح وتخلى عن الدنيا ورفضها[6]. كان **أبو القاسم عبد الرحمن الأصغر** (ت: ق4ه/ ق10م) رحمه الله من الفقراء المتجردين المتقشفين المقلين، كان الشيخ أبو الحسن القابسى يعظمه ويثنى عليه ويرغب فى صحبته، وكان من فضلاء المؤمنين ذا ورع وموالاة على الدين، وله كرامات رحمه الله تعالى[7].

---

(1) المصدر السابق، ج3، ص 85.
(2) المصدر السابق، ج3، ص97.
(3) كتاب العُمُر، ج1، ص455.
(4) الدباغ: مصدر سابق، ج2، ص144 - 146.
(5) المصدر السابق، ج3، ص106.
(6) المصدر السابق، ج3، ص106.
(7) المصدر السابق، ج3، ص159.

أما **ابن قمرة** (ت: 386ه/996م) - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الخياط الواعظ - فكان ذو تقشف وعبادة متصوفًا تصوفًا مشوبًا بتقوى رقيقًا شفيقًا[1]. ومن الزهاد **أبى عبد الله محمد الارشانى المتعبد** (ت: 387ه/997م) فكانت له سياحات ورياضات ورباط وعزلة وانفراد، وحج فوق العشرين حجة، وصام حتى نحل وغارت عيناه[2]. وكذلك **أبو بكر بن على بن نصر الزعفرانى** (ت: 389ه/999م) فكان صالحًا صاحب نسك وعبادة وكرم أخلاق[3].

وكان **ابن أخى مروان** (ت: 392ه/1002م) - أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر الأنصارى - كثير القيام والتهجد وصحبة العلماء، وكان من أهل الأدب والمروءة، توفى ودفن بباب تونس[4]. وكذلك **عبد الرحمن ابن عبد الله الخولانى الجزيرى** (ت: 394ه/1004م) وهو والد الفقيه أبى بكر ابن عبد الرحمان، كان من أهل الدين والعبادة والزهد وصحب جماعة من العلماء[5].

وعُرِف بالزهد **أبو بكر الحذاء الزاهد المتعبد** (ت: 400ه/1009م) فكان ذا حج وأسفار وتغرب عن الأوطان، له أحوال حسنة وكان ملازمًا للصيام والقيام[6].

وكذلك **أبو محمد عبدون** (ت: 401ه/1010م)، هو ابن الشيخ أبى محمد التبان، كان من أهل العلم والرقة والأدب وغزارة الدمع، صلى عليه الشيخ أبى الحسن القابسى ودفن بالرمادية[7].

أما العالم المتصوف **ابن أبى طالب** (ت: قبل 430ه/1039م) - على بن أبى طالب ويعرف بالعابر أبو الحسن - فقد كان له شأن فى القيروان على عهد الأميرين باديس وابنه المعز، وكان يقرأ عليه علوم التصوف وله حلقة حافلة يحضرها جماعة من أبناء البلاد ومن المهاجرين من طلبة العلم[8].

وهذا **أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الخولانى** (ت: 432ه/1041م)

(1) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص108.
(2) المصدر السابق، ج3، ص121.
(3) المصدر السابق، ج3، ص 107.
(4) المصدر السابق، ج3، ص 126.
(5) المصدر السابق، ج3، ص 127.
(6) المصدر السابق، ج3، ص 131 وما بعدها.
(7) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 133 وما بعدها.
(8) حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص458 وما بعدها.

كان يمشى للمنستير كل سنة فى رمضان فكان طول رمضان لا ينام الليل، وكان يصوم الدهر فلا يفطر إلا الأيام المحرمة الصوم وكان كثير الصدقة[1].

وكذلك **أبو بكر محمد بن عبد الله القصرى** (ت: 436هـ/1044م)، كان من أهل العلم والقرآن واتباع السنة وخدمة الصالحين، صحب الشيخ أبا الحسن القابسى[2].

كما انتحل **أبو بكر ابن أبى طاعة** (ت: 438هـ/1046م) مذهب الصوفية وسمع من القابسى وجمع الفقه والدين والفضل وكان إمام جامع القيروان، لبس الخشن من الثياب، وكان على معرفة بالقراءات والتجويد، توفى بالقيروان ودفن بباب تونس[3].

وعُرِف من متصوفة المغرب الأدنى **أبى بكر الفرَّوج** (ت: 481هـ/1088م) محمد بن نعمة الأسدى، من أبناء القيروان وبها قرأ على على بن أبى طالب العابر، وأكثر عنه فى الرواية وكان معتنيًا بعلم تعبير الرؤيا، ودخل الأندلس وتوفى بها[4].

وكذلك **أبو الفضل ابن النحوى** (ت: 513هـ/1119م)، هو يوسف بن محمد بن يوسف وعرف بابن النحوى، مولده بتورز سنة 433هـ/1042م، ورحل إلى القيروان وقرأ على عبد الجليل الربعى وغيره، ثم انتقل إلى صفاقس فروى الحديث عن أبى الحسن اللخمى، وكان أبو الفضل من أهل الورع والصيانة من العلماء العاملين وسيرته على سنن الصالحين[5].

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص165 - 169؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص177 وما بعدها.
(2) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 171.
(3) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 172 وما بعدها.
(4) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص571.
(5) السيوطى: بغية الوعاة، ج2، ص362.

ثالثًا: علوم اللغة العربية:

أقبل البربر على اللغة العربية لغة الدين الذين آمنوا به والقرآن الذى يرددون بعض سوره وآياته فى عباداتهم، ثم اتجاه العرب الفاتحين إلى تعليم أصحاب البلاد اللغة العربية من خلال الكتاتيب وجعلها اللغة الرسمية للبلاد فكانت دواوين الدولة منذ إنشائها باللغة العربية فالمكاتبات والرسائل والشكاوى وخطب الجمع والأعياد وغيرها من أمور الدولة كلها كانت باللغة العربية، أضف إلى ذلك المساواة التى بسطها الدين الإسلامى بين الناس فى الحقوق والواجبات فى الحرب والسلم وفى الإدارة وتولى القيادة، مما جعل البربر يتفانون فى مخالطة العرب والإقبال على الدين الإسلامى وتعلم اللغة[1].

1- علمى النحو والبلاغة:

كانت مدن المغرب الأدنى منذ تأسيسها المركز الرئيسى لدراسة علوم الدين واللغة والنحو والبلاغة فى بلاد المغرب، وبذل العلماء جهودًا كبيرة فى تحصيل العلوم العربية والتبحر فيها، وأقبل الطلاب عليهم من كل حدب وصوب يتزودون من علمهم ومعرفتهم ويأخذون عنهم قوانين اللغة النحوية والصرفية والبلاغية وقوانين الشعر العروضية، فدرسوا مذاهب البصريين والكوفيين فى النحو والصرف، ونقل عنهم الأجيال المتعاقبة فى تسلسل مطرد على نهجهم بالاهتمام بهذه العلوم دراسة وتدريسًا، فكان كل جيل منها يضيف لبنة فى بناء هذه المدرسة الثقافية العريقة بكافة المدن حتى أصبحت قبلة للعلم يقصدها الطلاب من كل مكان[2].

وقد شكلت هجرة بنى هلال وبنى سليم إلى إفريقيا الشمالية سببًا مهمًا فى تغيير المنطقة من حيث التكوين السلالى والوضع اللغوى فضلًا عن التأثير فى الخريطة الاجتماعية والثقافية[3]، حيث أن مصاهرة العرب للبربر واختلاط دماء الشعبين، ساعد على تعريب البربر وساعد على ذلك حرص علمائهم على تعلم اللغة العربية فهى السبيل لتعلم الدراسات الإسلامية بمختلف فروعها والطريق للتبحر فى ثقافة الشرق، حتى أصبح من البربر أنفسهم مؤلفين ولغويين ونحاة، لهم مؤلفات باللغة العربية

---

(1) د/ محمد محمد زيتون: مرجع سابق، ص215.
(2) المالكى: مصدر سابق، ج1، ص449؛ ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج1، توطئة الكتاب.
(3) إتورى روسى، مرجع سابق، ص96.

الفصيحة وتركوا ورائهم كتبًا في اللغة[1].

وقد كان العلماء في هذه الفترة يجمعون بين الإحاطة بالنحو والاشتغال باللغة ورواية الأدب، إلا أن بعضهم كان يغلب عليه الاشتغال بالنحو بينما البعض الآخر يميل إلى رواية الأدب واللغة، وممن اشتهر من النحاة من في هذه الفترة من البربر وغيرهم:

القزَّاز (ت: 412ه/ 1027م) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمى القزاز[2]، شيخ اللغة ومسند الأدب في افريقية، ولد في العقد الثالث من القرن الرابع الهجرى بالقيروان ونشأ بها وتلقى العلوم على علمائها خاصة النحو واللغة على علماء القيروان كابن الوزان والعنبرى وغيرهما، رحل إلى المشرق وروى عن أساطين اللغة والأدب في عصره، وأخذ عن الآمدى صاحب الموازنة، وقد اشتغل القزاز بالتدريس ولمع نجمه في النحو واللغة، وتخرج عليه كثير من نجباء التلاميذ كابن رشيق وابن شرف القيروانى والحسين بن محمد التميمى وأحمد بن مكى بن أبى طالب وعبد الرحمن ابن عبد الله المطرز وغيرهم كثير، وكانت طريقة القزاز في درسه أن يلقى على تلاميذه مشكلات المسائل اللغوية وأبيات الشعر العويصة، ويطلب منهم بيان معانيها وتفسير ألفاظها وفهم أغراضها، وقد ألف كتبًا كثيرة:

أ) كتب النحو:

1- الحروف وكان تأليفه بطلب المعز لدين الله الفاطمى وموضوعه شرح الحروف، وهو يقع في ألف ورقة وفرغ منه سنة 361ه/971م بالقيروان.

2- إعراب الدريدية وشرحها.

3- كتاب المعترض.

4- كتاب المفترق.

ب) كتب اللغة:

1- الجامع.

2- المثلث.

3- العثرات في اللغة.

---

(1) صلاح عثمان: مرجع سابق، ص300 وما بعدها.

(2) السيوطى: بغية الوعاة، ج1 ص71.

4- الضاد والظاء.

5- الكلمات المشاكلة الصور.

ج) كتب أدبية عامة:

1- التعريض والتصريح.

2- شرح رسالة البلاغة فى عدة مجالات.

3- ما أخذ على المتنبى من اللحن والغلط فى جزء.

4- أبيات معان فى شعر المتنبى فى جزء.

5- معانى الشعر.

6- شرح رسالة الشيخ جعفرى العدوى.

7- أدب السلطان والتأدب له.

وبهذا المجهود الضخم كان القزاز إمامًا لدراسة النحو واللغة فى القيروان فكان له هيبة عند الملوك والعلماء محبوبًا من الخاصة والعامة، وقد توفى بمدينة القيروان عن عمر يناهز التسعين عامًا[1].

وأيضًا ممن عرف بإحاطته بالنحو واللغة **ابن الأجدابى** (ت: ق5هـ/11م)، هو أبو اسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتى الأجدابى الطرابلسى[2] العالم اللغوى الأديب، ولد بطرابلس ونشأ بها، وصحب مشايخ عصره، وكان من العلماء ومشاهير الفضلاء، ومن أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلامًا وفقهًا ونحوًا ولغةً وعروضًا ونظمًا ونثرًا ولم تكن له رحلة[3].

وقد وضع كتبًا كثيرة ومفيدة، منها كتاب "كفاية المتحفظ" وهذا الكتاب رغم صغر حجمه يدل على غزارة المادة وسعة الأفق، وقد كان مصدرا من المصادر التى اعتمد عليها أهل اللغة، وقد وجد كثيرًا من عناية الباحثين واعتماد الدارسين، فشرحوه وعلقوا عليه، بل ونظموه فيما يشبه الشعر ليسهل حفظه فكانت منظومة الطبرى لكتاب الأجدابى تبلغ

---

(1) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج1، ص2475 - 2479؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج4، ص374 - 376؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، ج9، ص225؛ السيوطى: بغية الوعاة، ج1، ص71.

(2) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج1، ص100 وما بعدها.

(3) السيوطى: بغية الوعاة، ج1، ص408.

ألفًا وثلاثمائة بيت(1).

وللإجدابى كتاب مختصر فى علم الأنساب، وكذا مختصر كتاب "نسب قريش" لابن عبد الله ابن الزبير بن العوام، وأبرز ما يذكر عن أبى اسحاق جودة خطه وحسن اعتنائه به وإقبال الكبراء عليه، وهذا غريب فى الشمال الإفريقى، فإن جودة الخط نادرة فى المغرب الأدنى. وتوفى رحمه الله فى نهاية القرن الخامس الهجرى(2).

كما كان **مكى بن أبى طالب القيسى**(3) (ت: 437هـ/1045م) من الراسخين فى علوم القرآن واللغة، وكان له العديد من التواليف(4)، أصله من القيروان وانتقل إلى الأندلس وسكن قرطبة وهو من أهل التبحر فى علوم القراءات واللغة وكان حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل كثير التآليف فى علم القرآن ومن تواليفه كتاب "مشكل إعراب القرآن" والذى قصد فيه تفسير مشكل الإعراب، وكتاب "المأثور عن مالك فى أحكام القرآن وتفسيره" ويقع هذا التفسير فى عشرة أجزاء، وأيضًا له كتاب "اختصار أحكام القرآن" ويقع هذا التفسير فى أربعة أجزاء(5).

أما **أبو الطاهر التجيبى** (ت: حوالى سنة 450هـ/ 1058-1059م) فكان متضلعًا فى اللغة، عالمًا بفنون الأدب، أخذ عن الحصرى والنهشلى وزار الأندلس ومصر وأقام مدة فى صقلية(6).

وقام **ابن الضابط** (ت: 440هـ/1048م) بتدريس علوم اللغة والأدب بالقيروان(7). كما كان **أبو بكر عتيق السوسى** (ت: 462هـ/1070م) عالمًا بالنحو واللغة(8).

ومن بين هؤلاء العلماء **على بن عبد الجبار بن سلامة بن عيذون الهذلى** تونسى المولد، وكان إمامًا فى اللغة وتوفى بالإسكندرية سنة (ت:

---

(1) أحمد الأنصارى: مرجع سابق، ص 82 - 84.
(2) ناصر الدين محمد الشريف: مرجع سابق، ص94.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 171 وما بعدها.
(4) أبى الحسين الأصبهانى: مصدر سابق، ص53.
(5) أبى الحسن الأصبهانى: مصدر سابق، ص53؛ ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص273؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج5، ص275 وما بعدها؛ أحمد بن محمد الأدنروى: مصدر سابق، ص114 وما بعدها.
(6) السيوطى: بغية الوعاة، ج1، ص443.
(7) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص22؛ التجانى: مصدر سابق، ص78 - 80؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص85 وما بعدها.
(8) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 181.

519ه/1125م)[1]. وكذلك **على بن على البرقى**، (ت: 522ه/1128م)، هو الشاعر النحوى، مات فى ربيع الأول[2]. أما **عبد المعطى التاجونسى** - هو أبو محمد عبد المعطى بن مسافر بن يوسف بن يوسف التجاونسى الخناعى ثم القودى من تاجونس[3] - قال عنه ياقوت "كان من الصالحين وكان سمع بمصر على أبى اسحاق الموطأ راية القعنى وصحب الفقيه أبا بكر الحنفي، فكان حنفى المذهب، وكان مولده سنة 460ه/1068م تخمينًا لا يقينًا". أما **ابن الخازن** هو إسماعيل بن إبراهيم أبو الطاهر بن الخازن الزويلى، فكان متضلعًا فى اللغة[4]. هكذا برع علماء بنى زيرى فى النحو واللغة، فكان لهم جهود مشكورة فى التأليف فى هذا الفن.

2- علوم الأدب والشعر:

فلازال الأدب ببلاد المغرب الأدنى مزدهرًا على مر العصور، فيتواصل التطور الأدبى من عهد الأغالبة حتى عهد بنى عُبيد ثم عهد الدولة الزيرية، فإن كان المعز لدين الله الفاطمى قد أخذ معه عند رحيله من المغرب الشاعر ذائع الصيت ابن هانئ ليفاخر به شعراء المشرق، فإننا نجد أن معظم الشعراء والأدباء لم يصاحبوه إلى القاهرة بل مكثوا فى القيروان وغيرها من المدن، متعهدين بذلك لواء التطور الأدبى ببلاد المغرب الأدنى والذى لا يرتبط وجوده بوجود الدول والحكومات، ولكنه لطالما ارتبط بموروث من التقاليد الأدبية التى تنبثق من الثقافة الإسلامية التى هى بمثابة حضارة إنسانية قد تتأثر بالتغيرات السياسية ولكنها لا تندثر، بل تتطور وتستمر[5].

ورغم تشابه الأدب فى الشرق والغرب من العالم الإسلامى، إلا أننا نجد أن البيئة المحلية تميزت بعدة خصائص تمثلت فى استمرار التقاليد القيروانية، واستيعاب بعض الأعراب المقيمين فى المدن لتلك التقاليد، وظهور اتجاه جديد نحو إكساب الشعر صبغة بدوية[6].

والتنوع والاختلاف فى الآدب قد ساهم على إزدهارها وتطورها،

---

(1) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج1، ص1793؛ حسن خضيرى: مرجع سابق، ص221 وما بعدها.
(2) ياقوت الحموى: المصدر السابق، ج1، ص1820؛ السيوطى: بغية الوعاة، ج2، ص180.
(3) تاجونس: بضم الجيم وسكون الواو، وكسر النون: اسم قصر على البحر بين برقة وطرابلس. لمزيد من التفاصيل انظر: معجم البلدان: ج2، ص5.
(4) ابن رشيق: مصدر سابق، ص81 - 86.
(5) الهادى روجى إدريس: مرجع سابق، ج2، ص391.
(6) د/ أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج3، ص105 وما بعدها.

فهذا الأدب اليهودى قد خضع إلى تأثيرات عدة منها التأثير الإسلامى والمتمثل فى كتب التراث خاصة ألف ليلة وليلة المليئة بالحكايات، هذا إلى جانب تأثير كتب اليهود مثل التوراة والتلمود وغيرها[1]، ويظهر ذلك فى كتابات نسيم بن يعقوب (ت: 478هـ/1085م)، وهى عبارة عن مجموعة من القصص والأساطير الشعبية، أما من الشعر فهناك الشاعر اليهودى اسحاق بن خلفون[2].

وإن كانت هجمات الهلاليين على إفريقية قد أثرت بالسلب على الحضارة القيروانية، إلا أنها لم تستطع أن تضع حدًا للنشاط الأدبى فى المغرب الأدنى، الذى ظل مزدهرًا رغم هجرة كثير من رجال الأدب إلى الشرق والمغرب والأندلس، فنجد ظهور أخبار الوقائع التى حدثت بين القبائل الهلالية والزناتيين فى طرابلس، تصل إلى الباقين منهم فى مصر، فينظمها شعراؤهم فى صورة قصص شعبى عربى، عرف فيما بعد بقصة الهلالية، والتى تختلف عن وقائع التاريخ اختلافًا بينًا كباقى الملاحم الشعبية، وقد تغنى بها أبناؤهم[3].

أ) الشعر:

لقد ازدهر الشعر فى هذه الفترة ازدهارًا استطاع خلاله أن يتحدث عن معظم الأغراض التى طرقها الشعراء فكان هناك الشعر السياسى والمذهبى، وقال الشعراء شعرًا فى الغزل والرثاء والفخر والزهد والحكمة، كما كان هناك الشعر الوصفى والتاريخى والاجتماعى، وقال بعض الشعراء القصائد فى العتاب وطلب العفو، وغير ذلك من الأغراض التى عبر الشعراء عنها خلال هذه الفترة[4]. ففى القرن الرابع الهجرى اتسعت النهضة الأدبية وبلغت مبلغًا سواء فى كثرة الأدباء أو مدى ما وصلوا إليه من تفوق وبراعة فى فن القول شعره ونثره على السواء[5].

ونبغ العديد من الشعراء بالمغرب الأدنى فى عهد بنى زيرى ومنهم **على بن يوسف الإيادى التونسى** (ت: 365هـ/ 976م) فهو من كبار

---

(1) Menahem Mansoor: Jewish History and Thought, Ktav Publishing House, 1991, P. 200- 201.

(2) عطا على محمد شحاتة، "اليهود فى بلاد المغربين الأدنى والأوسط فى عهد بنى زيرى (362 - 555هـ/ 972 - 1160م)"، رسالة دكتوراة، غير منشورة، قسم التاريخ الإسلامى، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 2003م. ص190 وما بعدها.

(3) د/ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص230.

(4) د/ محمد محمد زيتون: مرجع سابق، ص298 وما بعدها.

(5) أبو القاسم محمد كرو: مرجع سابق، ص39.

شعراء المغرب الأدنى فى هذه الفترة وذكره ابن خلكان: "وأما التونسى، فشعره المورد العذب، ولفظه اللؤلؤ الرطب، وهو بحترى الغرب، يصف الحمام فيروق الأنام ويشبب فيعشق ويحبب، ويمدح فيمنح أكثر مما يمنح"(1).

كما كان **الورَّاق السوسى** (ت: 400ه/ 1010م) - أبو عبد الله محمد بن عبدون - شاعرًا رقيقًا تميز بعذوبة اللفظ، وكان من أعيان القيروان المستقرين بسوسة(2).

ومن الشعراء البارزين **العطار** (ت: بعد سنة 400ه/ 1009م) - هو عبد الله بن محمد الأزدى - قال عنه ابن رشيق: "هو شاعر حاذق نقى اللفظ جدًا، لطيف الإشارات، مليح العبارات، صحيح الاستعارات، على شعره ديباجة ورونق يمازجان النفس، ويملكان الحس"(3).

وعندما نتحدث عن شاعر باديس نذكر **النهشلى** (ت: 405ه/ 1014-1015م) هو عبد الكريم بن إبراهيم النهشلى، ولد بالمحمدية (المسيلة) وعاش بها، ومات بالمهدية، كان ناقدًا فذًا عارفًا باللغة والشعر خبيرًا بأيام العرب، لم ينظم إلا مقطوعات صغيرة من الشعر، ولكنه ألَّف كتابًا فى فن الشعر يحمل عنوان "الممتع"، نقل ابن شرف بعض مقتطفاته، واستفاد منه صاحب "العمدة" لما به من رجاحة رأى ورقة تحليل(4).

أما **ابن أبى سهل الخشنى** (ت: 406ه/ 1015- 1016م) فكان شاعرًا يتميز شعره بسهولة الطبع ولطف التراكيب، وكان نصير الدولة (باديس) عارفًا بحقه مقربًا له، مقبلًا عليه(5).

ومن الشعراء المعمرين **الصابونى** (ت: 409ه/ 1018-1019م) هو بكر بن على الصابونى، كان شيخًا معمرًا وشاعرًا مطبوعًا حلوًا صاحب نوادر وهجاء خبيث، ومع ذلك كان حسن الصمت والخطاب(6).

ومن مشاهير أدباء المغرب الأدنى فى دولة بنى زيرى **القزَّاز** (ت: 412ه/ 1022م) أخذ عنه ابن رشيق وابن شرف ويعلى الإرسى، وله العديد من المؤلفات فى اللغة والأدب منها كتاب ضرائر الشعر، وشرحين

(1) وفيات الأعيان: ج1، ص112.
(2) التجاني: مصدر سابق، ص38 - 42.
(3) الأنموذج: ص198 - 203.
(4) ابن رشيق: مصدر سابق، ص170 - 176؛ الصفدى: مصدر سابق، ج19، ص51 وما بعدها.
(5) ابن رشيق: مصدر سابق، ص158 - 161.
(6) المصدر السابق، ص94 - 98.

وكتابًا فى العلوم السياسية بعنوان أدب السلطان والتأدب[1]، قال ابن رشيق عن شعره "كان له شعر جيد مطبوع مصنوع"[2].

وفى عهد الدولة الزيرية كان الشعر يقرضه الخاصة والعامة ويظهر ذلك من قصص الأنموذج لابن رشيق فكان ابن رشيق يجلس فى بعض الحوانيت والدكاكين ويظهر مدى الاهتمام في ذلك الوقت بقرض الشعر، فنجد فى شعرهم إبداع المعانى واختراع الأساليب مع جزالة التراكيب وفصاحة الألفاظ، فامتاز الشعر فى فترة البحث بالمعانى الدقيقة والأفكار اللطيفة والأساليب المتينة والمبانى الرصينة، فهذا **الحصرى** (ت: 413هـ/ 1022م) - هو أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن تميم الأنصارى المعروف بالحصرى نسبة إلى صناعة الحصر أو بيعها - كان شبان القيروان يجتمعون عنده ويأخذون عنه، فهو أحد رواة الشعر والأدب وقد أخذ الأدب وفنون اللسان عن أعلام عصره، وعندما انتقل الفاطميون إلى مصر خلا له الجو فبرز كأديب فذ تدور حوله الحياة الأدبية وتتلمذ على يديه الكثيرون، كان يحب المجانسة والمطابقة ويرغِب فى الاستعارة، واشتهر بكتابه "زهر الآداب ونثر الألباب"، الذى ألَّفه بطلب من أحد كتَّاب ديوان الرسائل أبى الفضل العباس بن سليمان، وقد جمع فى هذا الكتاب الكثير من النصوص الأدبية شعرًا ونثرًا، ومن مؤلفاته أيضًا: "جمع الجواهر فى الملح والنوادر"، "نور الطرف ونور الظرف"، "المصون فى سر الهوى المكنون"، "طيبات الأغانى مطربات القيان"[3].

وكان **خلف بن أحمد** (ت: 414هـ/ 1023م) شاعرًا موهوبًا، درس الأدب فى إفريقية، ورحل إلى القاهرة، توفى فى زويلة[4]. وكذلك **ابن زنجى الكاتب** (ت: 416هـ/ 1025م) هو الحسن بن على الكاتب، ظهرت موهبته من خلال قصيدة صنعها فى قتل الشيعة الروافض، ومنها:[5]

يقولون: مولاهم علىٌّ وإنهم *** لأعظم بغضًا فيه من آلِ ملجمِ

سببتم عتيقا والإمامين بعدَهُ *** فلم تعتقوا يوم الحريق المضرّم

وسؤتم نبىَّ اللهِ فى خير أهله *** وأفضل بكرٍ فى النساء وأيّمِ

(1) السيوطى: بغية الوعاة، ج1، ص71.
(2) الأنموذج: ص365 - 369.
(3) ابن رشيق، مصدر سابق، ص45 - 49.
(4) ابن رشيق: المصدر السابق، ص 126 - 127.
(5) المصدر السابق، ص 107 - 110.

ومن شعراء هذه الفترة **أبو الحسين الكاتب** (ت: 418هـ/ 1027م)، ينتمى إلى أسرة من كتَّاب ديوان الرسائل والشعراء، وقد نظم قصائد فى مدح والى إفريقية محمد بن أبى العرب[1].

أما القاضى **ابن الربيب** (ت: 420هـ/ 1029م) هو الحسن بن محمد التميمى القاضى التاهرتى تولى القضاء فترة من الزمن بمدينة تاهرت مسقط رأسه ثم طلب العلم بالقيروان، وكان القزَّاز معنيًا له محبًا له، فبلغ به النهاية فى علم الأدب والخبر والنسب، وكان خبيرًا باللغة شاعرًا متقدمًا قوى الكلام. وقد التحق بخدمة بنى أبى العرب، ومدحهم[2].

كما كان **ابن غانم الكاتب** (ت: 421هـ/ 1030م) شاعرًا لطيف الألفاظ رشيق المعانى قليل المدح والهجاء كليفًا بالمواعظ فى نظمه، هكذا وصفه ابن رشيق، وكان قد أقام بمصر مدة ثم عاد للقيروان وتوفى بها[3].

ومن شعراء بنى زيرى الكاتب المؤرخ **ابن الرّقيق** (ت: 425هـ/1034م) هو أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الدبلوماسى والمؤرخ لدولة بنى زيرى المعروف بالرقيق النديم، كان من فحول الشعراء وكبار الأدباء، مدح مخدوميه وكان أديبًا وإخباريًا بارعًا،[4] وقد قدم مصر فى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة بهدية من نصير الدولة باديس بن زيرى إلى الحاكم، فقال قصيدة يذكر فيها المناهل يقول فيها بعد مدح كثير ووصف جميل:[5]

هدية مأمون السريرة ناصحٍ *** أمين إذا خان الأمين المضِّيعُ

وما مثل باديس ظهير خلافةٍ *** إذا اختير يومًا للظهيرة موضعُ

نصير لها من دولة حاتمية *** إذا ناب خطب أو تفاقم مطمعُ

حسام أمير المؤمنين وسهمُهُ *** وسمٌّ زُعاف فى أعاديه منقعُ

ومن أشهر مؤلفات ابن الرقيق كتاب النساء وكتاب الأغانى وكتاب الراح والارتياح، وقطب السرور فى أوصاف الخمور، ونظم السلوك فى

---

(1) المصدر السابق، ص360 - 364.
(2) المصدر السابق، ص 111 - 116.
(3) الأنموذج: ص50 - 54.
(4) محمد الطالبى: مرجع سابق، ص44 وما بعدها.
(5) المالكى: مصدر سابق، ج1، ص17.

مسامرات الملوك[1].

وكان **ابن أبى الرجال** (ت: 426ه/ 1034م) فى الدرجة الرفيعة من معرفة الأدب وصناعة الشعر، وله دور كبير فى تطوير الأدب الأفريقى من خلال تشجيع الكتَّاب والشعراء بالعطايا الطائلة والأموال، وكان من ثراء أسرته وكرمها أن لقبت بـ"برامكة إفريقية"، فهو ينحدر من أسرة قوية النفوذ فى مدينة تاهرت، وتربى بالقيروان وأصبح رئيس قلم الإنشاء فى عهد باديس، وعمل ابن رشيق تحت إمرته وألَّف باسمه كتابه الشهير العمدة، وهو من قام بتربية وتأديب المعز بن باديس ويبدو أنه كان له تأثيرًا بالغًا فى تسيير شئون الدولة[2].

أما **ابن سفيان** - هو أبو على الحسن بن أبى بكر بن سفيان الصيرفى - فكان من اهل العلم بهذه الصناعة، وكان من شعره فى رثاء الفقيه أبى محمد بن أبى زيد:[3]

غصَّت فجاجُ الأرض حتى ما تُرَى *** أرضٌ ولا علمٌ ولا بطحاءُ

مازلت تقدم جمعهم هدْيًا لهم *** فى موكب حفَّتْ به النجباءُ

ومن شعراء بلاط الأمير المعز بن باديس **إبراهيم بن المرادى**، أخذ بأطراف العلوم غير أن الغالب عليه علم الخط[4]، و**أبو بكر عتيق المجدولى**، كان شاعرًا خبيثًا معجبًا بنفسه[5]. ومثلهما كذلك **ابن عطية الكاتب** خدم باديس وابنه المعز، وكان شاعرًا متوقد سلس الكلام[6].

كما اشتهر **يحيى الشقراطسى** (ت: 429ه/ 1037م) - هو يحيى بن على بن زكريا الشقراطسى أبو زكريا - بالأدب فى مدينة توزر، وكان أيضًا من شعراء بلاط المعز بن باديس، الذى ما فتئ أن يسهل على العلماء والأدباء النزوح إليه، فكان يحيط به زهاء المائة شاعر، وكان مولعًا بالتحدث إليهم فى شئون اللغة والأدب[7].

---

(1) ابن رشيق: مصدر سابق، ص55 - 64.
(2) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص295؛ القلقشندى: مصدر سابق، ج14، ص366 وما بعدها.
(3) ابن رشيق: مصدر سابق، ص99 - 101.
(4) ابن رشيق: المصدر السابق، ص65 - 68.
(5) المصدر السابق، ص248 - 250.
(6) المصدر السابق، ص396 - 399.
(7) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص118.

وكتب **كاتب كرامة،** (ت: بعد سنة 441هـ/ 1049م) - هو إسماعيل بن على أبو طاهر - لكرامة بن عدة العزيز بالله (المنصور بن بُلكين)، وهو من أهل قفصة، وكان عالمًا فى الأدب ومن فحول الشعراء، وله عدة مؤلفات[1]. وكذلك **الزوَّاق** (ت: 447هـ/ 1055م) - هو عبد الواحد بن فتوح الكتامى - من مدينة تونس واستوطن القيروان وانخرط فى سلك كتَّاب الدواوين، قال عنه ابن رشيق: "هو شاعر مفلق، قوى أساس الشعر، كأنه إعرابى بدوى، يتكلف بعض التكلف"[2].

وكذلك **أبو الطاهر التجيبى** (ت: حوالى سنة 450هـ/ 1058-1059م) شاعر قيروانى أقام بالمهدية وأخذ عن الحصرى والنهشلى، وزار الأندلس ومصر وأقام مدة فى صقلية، وكان عالمًا بفنون الأدب، متضلعًا فى اللغة، شاعرًا مجودًا وكاتبًا رقيقًا[3]. ومثله **ابن حديدة** (ت: 450هـ/ 1058-1059م) - هو أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبى الليث - قال عنه زميله ابن رشيق: "هو شاعر فَكِه الشعر، رائق التشبيه، مولع به قليل التكلف، قوى المنهج والظرف، يرفض المدح والهجاء"، ومن شعره فى النجوم:[4]

هنّ البدورُ النيراتُ سوافِرُ *** تهتزُّ فى كُثُبٍ بهن غصونُ

البرء ما أهدت لهن مباسمُ *** والسقمُ ما بعثت لهن عيونُ

واشتهر بالشعر أيضًا **ابن الاسفنجى،** هو أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد اللخمى[5]. وكذلك **أبو هلال التجيبى،** هو الحسن بن أحمد بن على بن الحسن بن أبى هلال التجيبى أبو هلال، من أبناء القيروان، وأوطن سوسة، فكان شاعرًا معروفًا فى سوسة، وكان شعره بين التصنع والاسترسال أحيانًا، ومن شعره:[6]

يهدى إلى العليا فما من سالكٍ *** طرق العلى إلا وكان دليلَهُ

فضلَ الورى فى الفضل حتى أنه *** لو قيل: من فَذُّ الأنامِ لقيل: هُو

(1) ابن رشيق: مصدر سابق، ص90 - 91.
(2) الأنموذج: ص226 - 230.
(3) السيوطى: بغية الوعاة، ج1، ص443.
(4) الأنموذج: ص71 - 77.
(5) المصدر السابق، ص92 - 93.
(6) ابن رشيق: المصدر السابق، ص102 - 103.

ومن شعراء بنى زيرى أيضًا **أبو الفتوح السوسى**، نشأ بسوسة وهو من أهلها كان شعره سهل وطيء من غير تكلف[1]. وكذلك ممن ذاع صيته **ابن حربون** - هو حسن بن عبد العزيز - من مدينة تونس، تميز شعره بذكر الخيل وآلة الحرب تقوية للكلام، وتفخيمًا للمستمع، ومن شعره:[2]

راح ذاك الشباب عنى عزيزًا *** وأتانى المشيب خصمًا ألدَّا

وكأن العيون مهما رأتْهُ *** خِفْنَ لونَ البياضِ أن يتعدى

وذكر ابن رشيق فى كتابه "الأنموذج" ثلاثة شعراء من المهدية وأدرج تراجمهم ونماذج من شعرهم، وهم: **ابن المؤدب**، كان شاعرًا مغرمًا بالسياحة، **محمد بن حبيب** من شعراء المهدية أيضًا، ومثلهما **ابن الخازن** - هو إسماعيل بن إبراهيم أبو الطاهر بن الخازن الزويلى - مدح المعز بن باديس وقال عنه ابن رشيق: "له شعر جيد وطئ الأكناف، سهل المخارج ... وطريقته فى الشعر طريقة العلماء يستعمل ما عليه الناس"[3].

ويُعد من أشهر شعراء بنى زيرى وأكثرهم تأثيرًا على الحركة الأدبية أبو على الحسن **ابن رشيق** (ت: 456ه/ 1064م)، نجمًا ساطعًا فى سماء الآداب العربية، وهو أحد نبغاء الثقافة الأدبية بأفريقية فى عهد بنى زيرى، وسنورد بعض التفاصيل عن هذا الشاعر الفذ، لربما نوفيه جزءًا من حقه:[4]

فقد وُلد ابن رشيق بمدينة المحمدية (المسيلة) سنة 385ه/ 995م، وتربى بها إلى أن رحل إلى القيروان سنة 406ه/ 1015م، أى نفس السنة التى توفى فيها باديس، وكان عمره وقتئذٍ ما بين ستة عشرة وعشرين سنة، وتعلم وأخذ عن مشايخ عدة، على رأسهم القزَّاز الذى كثيرًا ما يستشهد به ويسميه بشيخه، كما درس على النهشلى فى المسيلة وابن سهل الخشنى[5].

وابن رشيق ليس من أصل رومى كما أشيع عنه فى بعض كتب

(1) المصدر السابق، ص69 - 70.
(2) المصدر السابق، ص104 - 106.
(3) ابن رشيق: المصدر السابق: ص81 - 86.
(4) إسماعيل باشا البغدادى: مرجع سابق، ج1، ص311 وما بعدها.
(5) ابن العماد: مصدر سابق، ج5، ص237 وما بعدها.

تاريخ الأدب، ولكنه من أصل عربى واسمه عربى محض كان شائعًا فى القبائل العربية التى انتشرت فى أنحاء المغرب[1]، ولم يلبث ابن رشيق أن جلب الأنظار إليه، لصواب ملاحظاته وعلامات ذكائه الشديد، ولنبوغه التحق بدواوين رئيس قلم الإنشاء ابن أبى الرجال، ثم قرَّبه المعز بن باديس إلى دائرة شعرائه وجلسائه، واشتهر بمنافسته لابن شرف، مما أوحت هذه المنافسة إليه بعدد من قصائد الهجاء[2].

انتقل مع المعز إلى المهدية سنة 449هـ/1054م، وكان حضرة المعز يطرأ عليها نحو مائة شاعر يرأسهم ولى نعم ابن رشيق على بن أبى الرجال الكاتب الشيبانى، وهو الذى أهدى إليه كتاب العمدة كما يقول[3]، ولما توفى المعز، رثاه ابن رشيق بقصيدة، وبقى فى خدمة ابنه تميم قليلًا ثم رحل قاصدًا صقلية واستقر بمدينة مازرة إلى أن توفى بها عن عمر يناهز السبعين، وقد قضى شاعرنا حياته فى مخالطة الشعراء والأدباء[4].

وكان ابن رشيق نبيل العاطفة فاضل النفس طاهر الضمير، وقد اشتهر بوفائه وعاطفته الوطنية، ويظهر ذلك من حالة الحزن التى لازمته بعد خراب القيروان وزاد من ذلك بعد رحيله عنها ما آل إليه أمر العرب فى أواخر أيامه من تفكك بالداخل وضعف نفوذهم فى البحر المتوسط، فقال فى ذلك:

لا تعجبن لراسى كيف شاب أسى ... واعجب لاسود عينى كيف لم يشب

البحر للروم لا يجرى السفين به ... إلا علـى غـرر، والبـر للعـرب

وكان ابن رشيق مثالًا قويًا للأدب بأوسع معانيه، متضلعًا فى جميع مواد الأدب من لغة راسخة وذوق رفيع، وله مؤلفات عظيمة فى مختلف فنون الأدب من لغة ونقد وتراجم وغيرها، ولكنه قد اكتسب مجده لأنه كان ذو نقد دقيق، فنجد كتابه الشهير "العمدة" يضعه فى مكان رفيع بتاريخ النقد الأدبى العربى، لما شمله من ملاحظات اتسمت بالدقة وعمق الفكرة، وجمعت بين الصنعة والفن والعبقرية، وأوضحت أنه شاعرًا فذًا

(1) أبو القاسم محمد كرو: مرجع سابق، ص97.
(2) ابن بسام: مصدر سابق، ج4، ص597؛ أبو الحسن القفطى: مصدر سابق، ج1، 333 - 339؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج2، ص85؛ الصفدى: مصدر سابق، ج12، ص9.
(3) أبو البركات الميمنى: مرجع سابق، ص28.
(4) اليافعى: مصدر سابق، ج3، ص60.

مطبوعًا تلقائيًا غير متكلف[1].

ومن بين الكتب التى ألفها ابن رشيق فى النقد: "رسالة قراضة الذهب فى نقد أشعار العرب"، وهو حول السرقات الشعرية، كما ألف شرحًا على الموطأ، أما كتاب "أنموذج الزمان من شعراء القيروان" فكان له أعظم الأهمية للكثير من الرواة فى نقل بعض المقاطع التى سردها، فبفضل ابن رشيق نستطيع أن نتصور النشاط الأدبى فى المغرب الأدنى فى أوج ازدهار دولة بنى زيرى[2]. ومن شعره:

أحب أخى وإن أعرضت عنه *** وقل على مسامعه كلامى

ولى فى وجهه تقطيب راض *** كما قطبت فى وجه المدام

ودرب تقطب من غير بغض *** وبغض كامن تحت ابتسام

ويليه فى الشهرة رفيقه ومنافسه **ابن شرف**، (ت: 460ه/ 1067م) هو محمد ابن سعيد ابن شرف الأجدابى، وهو أحد من نظم قلايد الآداب ومن وجوه الأدب الزاهية فى القرن الخامس الهجرى، ولد بالقيروان حوالى سنة 390ه/1000م، وأخذ بها النحو واللغة عن القزاز، والأدب عن الحصرى، والفقه عن القابسى وأبى عمران الفاسى، كما فرض نفسه كشاعر وناثر، وعمل مع ابن أبى الرجال كرئيس قلم الإنشاء، ورغم أنه كان أعور، إلا أنه نجح فى البلاط، وكانت المنافسة بينه وبين ابن رشيق شديدة، وكان المعز بن باديس ورجال بلاطه، يستمتعون بمناظرات الشاعرين[3].

وقد فارق ابن شرف القيروان إثر زحفة بنى هلال، وتوجه إلى المهدية، وأقام بها عند تميم بن المعز، ثم قصد هو الآخر صقلية، ثم بعد ذلك توجه ابن شرف مع عائلته إلى الأندلس، قال ابن بسام فى ذلك نثرًا: "وانتحى ابن شرف، فيما وصف من فتنة قيروانه، منحى القسطلى فى

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، ج4، ص597؛ أبو الحسن القفطى: مصدر سابق، ج1، 333 - 339؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج2، ص85؛ الصفدى: مصدر سابق، ج12، ص9.

(2) الوزير السراج: مصدر سابق، ص99 وما بعدها؛ الهادى روجى إدريس: مرجع سابق، ج2، ص410.

(3) ابن بسام: مصدر سابق، ج4، 598 وما بعدها؛ ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص242؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص193 وما بعدها؛ الصفدى: مصدر سابق، ج3، ص82 - 86.

شكوى زمانه، والحديث عن الفتن فكائر البحر بوشلٍ مشفوهٍ، وجارى الريح بكودن لا فضل فيه"[1]، وتوفى بها. ولابن شرف قصيدة فى هذه الحادثة منها قوله:

وأطفالها ما سمعت بالفلا *** قط فعادت فى الفلا دارها

ولا رأت أبصارها شاطئًا *** ثم جلت باللج أبصارها

وكانت الأستار آفاقها *** فعادت الآفاق أستارها

ولم تكن تلحظها مقلة *** لو كحلت بالشمس أشفارها

فأصبحت لا تتقى لحظة *** إلا بأن تجمع أطمارها

ومن مؤلفات ابن شرف "أبكار الأفكار"، قد جمع فيها منتخبات من شعره ونثره، ومن أهم مؤلفاته كتاب "أعلام الكلام"، كما ألف "رسائل الانتقاد"، الذى انتهج فيه نهج ابن المقفع وسهل بن هارون وبديع الزمان الهمذانى، وكان ابن شرف موفقًا فيه حيث كان نقده نابعًا من فكر ثاقب، وتجرد وبحث عن الحق[2].

وكما ذكرنا فإن الكثير من الشعراء الأفذاذ قد غادروا إفريقية بعد الغزوة الهلالية ومنهم أيضًا **ابن فضَّال الحلوانى**، الذى توجه إلى صقلية ثم الأندلس وقد تميز شعره بالروعة والرقة والبساطة، فمن شعره:[3]

إذا كان البياضُ لباس حزنٍ *** بأندلسٍ فذاك من الصواب

ألم ترنى لبست بياض شيبى *** لأنى قد حزنتُ على الشباب

وكذلك رحل **أبو الحسن الحصرى**، (ت:488ه/1056م)، هو أبو الحسن على ابن عبد الغنى المقرِّى الفهرى المعروف بالحصرى، وهو ابن عم إبراهيم الحصرى صاحب كتاب "زهر الآداب"، فقد كان أديبًا وشاعرًا مفلقًا ميالًا للهجاء[4].

---

(1) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة: ج4، ص91 وما بعدها.
(2) الهادى روجى إدريس: مرجع سابق، ج2، ص412 - 414.
(3) ابن بسام: مصدر سابق، ص914.
(4) ابن بسام: مصدر سابق، ج4، ص245 وما بعدها؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج3،

وتجدر الإشارة إلى الشعراء الأجانب الذين عاشوا فى بلاط الأمير تميم بن المعز مثل **ابن بشير**، وهو من أشهر الشعراء الذين مدحوا عليًا بن يحيى بن تميم، وكذلك **ابن حمديس،** هو شاعر صقلى ذائع الصيت، هاجر إلى إفريقية ثم إلى الأندلس، ثم قدم إلى المهدية، والتحق بخدمة على ثم الحسن، وهو من أكثر الشعراء الذين مدحوا مخدوميهم من أمراء بنى زيرى. أما **أبو الصلت أمية بن عبد العزيز** (ت: 529هـ/ 1135م)، فقد عاش فى ربوع إفريقية إلى أن أدركته المنية ودفن بالمنستير، وكان متبحرًا فى شتى العلوم والفنون، فتألق فى عدة مواد أدبية وعلمية، وقد برع فى مدح أمراء بنى زيرى الثلاثة الأخيرين[1].

أما من حيث الموضوع فإن المدح بطابع التأنق يأتى فى المقام الأول وإن وجدت به بعض المبالغة إلا أنه لا يخلو من رقة وسلاسة، ثم يأتى الوصف فى الدرجة الثانية بعد المدح، وخاصة وصف المعارك والأساطيل ومظاهر البذخ التى كان يعيشها الأمراء ويشاركهم فيها الشعراء، كما تناول الوصف مظاهر الطبيعة فى البر والبحر، فتحدث الشعراء عن الزهور والفواكه والحيوان، كما تناول الحياة الاجتماعية كمجالس اللهو والمشاكل الاجتماعية وغيرها. ولكن أهم ما يميز الموضوع الشعرى فى هذه الفترة هو ابتكار موضوع جديد بعد خراب القيروان وهو رثاء المدينة ووصف ما كان لها من حضارة وعمران، وإظهار الشوق والحنين إليها[2].

وبرز شعراء من بنى هلال فى المغرب الأدنى نذكر منهم **أبى عمران شاكر الهلالى**[3]، و**فرحان القابسى**، شاعر هلالى، وكان وزير مدافع بن رُشيد صاحب قابس ومادحه[4]. وهكذا نبغ العديد من الشعراء بالمغرب الأدنى بدولة بنى زيرى، بعدما انتشرت اللغة العربية، فتعددت أغراض الشعر وصار رافدًا من روافد الشعر العربى.

ب) النثر والكتابة:

النثر هو الكلام غير الموزون، لا يتقيد بالوزن أو القافية. فهو شكل أدبى للكتابة يحتوى على سمات جمالية كالسجع والطباق وغيرها،

ص331 - 334؛ الدباغ: مصدر سابق، ص 202.

(1) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج1، ص740 - 743؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج1، ص243 - 247؛ المقرى: مصدر سابق، ج1، ص194.

(2) أبو القاسم محمد كرو: مرجع سابق، ص40.

(3) حسن خضيرى أحمد: مرجع سابق، ص192.

(4) Lewis (A.R.), Naval Power and trade in the Mediterranean, Princeton, New Jersy, 1951. P.28.

ويستخدم في الخطب والدعاء[1]. وتعد النماذج النثرية التى تحدثت عنها المصادر الأدبية والتاريخية فى عهد بنى زيرى قليلة جدًا، رغم تميز عصر بنى زيرى بتعدد فنون النثر الأدبية من محاورات ورسائل وحكم وأمثال ونحو ذلك، كما كانت النماذج النثرية الأخرى من كتابات سياسية ودينية ورسائل ديوانية أيضًا قليلة رغم توفر العوامل والدواعى لوجود ذلك النوع من الكتابة والتى كانت تبلغ عن طريق المراسلة (البريد)[2].

المراسلة:

المفهوم اللغوى: اتبع فقهاء المالكية أسلوب المراسلة منذ وقت مبكر، اقتداءً بالإمام مالك الذى كانت المراسلة إحدى وسائله فى النقاش مع الفقيه المصرى الليث بن سعد (ت:175هـ/791م)، وقد اهتم المغاربة بالمراسلة وتنوع الغايات منها سواء كانت مراسلات شخصية أو إدارية[3].

ويمكن أن نقسم النثر فى هذا العصر كغيره من العصور إلى ثلاثة أنواع رئيسية:

1- النثر الإدارى الذى يستعمل فى مراسلات الدولة وأجهزة القضاء والجيش... وأحسن من يمثل هذا النوع من النثر فى عصرنا هذا هو على بن أبى الرجال الذى كان رئيسًا لقلم المراسلات فى دولة المعز بن باديس، ومحمد بن عطية بن حيان الكاتب.

وكما ذكرنا أن هذا النوع من النثر لم يصلنا منه إلا النذر القليل، حيث أن المؤرخين لم يعنوا بالحديث عنه، رغم ما له من أهمية كبيرة خاصة فى عصر بنى زيرى وما بعده، خاصة وأنه كان مستعملًا فى صقلية وجنوب إيطاليا حتى بعد زوال الحكم العربى منهما، إذ بقيت العربية هى اللغة الإدارية فى صقلية وجنوب إيطاليا أكثر من قرن[4].

ومن هذه النماذج القليلة رسالة جوذر إلى عبد الله بن المعز لدين الله الفاطمي وهو في طريقه إلى برقة، حتى يرسل إليه مددًا من السلاح والعدة فعبر عن ذلك:

---

(1) ابن خلدون: مصدر سابق، ج1، ص281 وما بعدها.
(2) أحمد مختار عمر: مرجع سابق، ص200.
(3) علياء هاشم ذنون محمد المشهدانى: "فقهاء المالكية، دراسة فى علاقاتهم العلمية فى الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن 6ه/12م"، أطروحة ماجستير، غير منشورة، جامعة الموصل، العراق، 1424هـ - 2003م، ص17.
(4) أبو القاسم محمد كرو: مرجع سابق، ص52.

"والواجب أن مجمل عسكرنا بالعدة والسلاح الشاكى والزى الحسن، حتى يكون دخولنا تامًا بهيًا، فاكتب إلى الأمير عبد الله صلى الله عليه تعرفه بذلك، وتسأله بإنفاذ شيء من السلاح والعدة، زيادة على ما عندنا، وتعرفه أنى أحب الوصول إلى النصر المبارك بهذا الزى". وجاء الرد من عبد الله يقول: "سلمك الله وأتم نعمته عليك، وتابع آلاءه عليك ومنع فقدك، وقضى لك بالحج إلى بيت الله الحرام، مع مولانا عليه السلام، انتهى إلينا كتابك ووقفنا على جميعه، من بعد أن وقف عليه مولانا، وقبلنا له الأرض وهو يرد، أن أمره نفذ إلى نصير الخازن ببعثه الجمال وصدرًا كثيرًا من السلاح لا حد له، وهو يصل إليكم إن شاء الله"[1].

2- أما النوع الثاني من النثر فهو النثر العلمى ونعنى به ما كان مستعملًا فى التأليف كالقصة وفنون اللغة والطب والتاريخ والجغرافية ...الخ، ومن أبرز كتَّاب هذا النوع ابن الجزار الطبيب، وأبو الحسن القابسى فى الفقه، وإبراهيم الرقيق فى التاريخ، وأبا العرب التميمى المؤرخ النسابة.

3- أما النوع الثالث من النثر فهو النثر الأدبى وهو الذى نركز عليه فى دراستنا أكثر من سابقيه، فقد كان فى هذا العصر مطبوعًا بطابع الصنعة عند أغلبية الكتَّاب مهما كانت طبقتهم، ولم يسلم منه إلا ابن رشيق، أما معاصروه الآخرون فقد جرفهم هذا التيار الذى كانوا يرون فيه الأنموذج الراقى فى أساليب الكتابة والبلاغة، وكأنهم تخذوا من أسلوب أصحاب المقامات فى المشرق رائدًا لهم فى النثر الأدبى، ومن مظاهر الصنعة الشائعة عندهم، التزام السجع والإكثار من الاستعارات وأنواع المجاز والتأنق اللفظى ...الخ[2].

وطبقات الكتَّاب فى هذا العصر كثيرة متعددة، كتعدد طبقات الشعر ولاشك أن ابن رشيق يأتى فى طليعة الطبقة الأولى ويليه ابن شرف ثم أبو اسحاق الحصرى[3]، وتليهم طبقة أخرى تتكون من عدد كبير من الكتَّاب الذين لم ينالوا من الشهرة ما نالته الطبقة الأولى، ونذكر فى طليعة

---

(1) أحمد مختار عمر: مرجع سابق، ص201.
(2) أبو القاسم محمد كرو: مرجع سابق، ص53.
(3) ابن خلكان: مصدر سابق، ج1، ص54 وما بعدها؛ الصفدى: مصدر سابق، ج6، ص41 وما بعدها.

هذه الطبقة عبد الكريم النهشلى[1] الذى تتلمذ عليه ابن رشيق فى النقد الأدبى، وابن الربيب المعروف بالقاضى التاهرتى، ومن المفيد أن نأتى ببعض الفقرات من رسالة بعث بها التاهرتى إلى صديق له فى الأندلس، لأنها تعطينا صورة عن نوع من المراسلات التى كان يتبادلها الأدباء فى ذلك العصر، ونوع الشواغل الثقافية التى كانت تدور عليها هذه الرسائل:

"... وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم، كل امرئ منهم قائم فى ظله لا يبرح، وراتب على كعبه لا يتزحزح، يخاف إن صنف أن يعنف، وإن ألف أن يخالف ولا يؤلف، لم يتعب منهم أحد نفسًا فى جمع فضائل أهل بلاده، على أنه لو أطلق ما عقل الإغفال من لسانه، وبسط ما قبض الإهمال من بيانه، لوجد القول مساغًا ولم تضق عليه المسالك ولم تخرج به المذاهب.. فإذا اخترمته منيته دفن معه أدبه وعلمه، فمات ذكره وانقطع خبره".

ومن هذه الطبقة نذكر الإمام ابن القزاز محمد بن جعفر صاحب المعجم الكبير المسمى "الجامع فى اللغة"، فهو يعتبر من أمهات كتب اللغة، وكان القزاز أستاذًا لابن رشيق وابن شرف وطبقتهما، وترك تأثيرًا كبيرًا فى شخصية ابن رشيق خاصة، وهو كثير الاستشهاد بأقواله. ومن هذه الطبقة أيضًا، ابن فضال المجاشعى وعلى بن القطاع الصقلى وعثمان بن على السارقوسى، وغيرهم كثير[2].

ومن نثر الشاعر ابن شرف فى مدح الشطرنج:

"حربٌ سجال، وخيلٌ عجال، وفرسان ورجال، قريبة الآجال، سريعة عودة المجال، تستغرق الفكرة، وتستلب اللب استلاب السكرة. وتترك اللسان وما أراد، أساء أو أجاد. إلا أنها تدنى مجلس الصعلوك، من أشراف الملوك، حتى لا يكون بينهما فى أقرب بقعة، إلا عرض الرقعة، وربما التقت ثيابهما فى بيت القطعة، ولسانهما على بيت القطعة، لعب أصولي وغريب صولى، قمر لجاكي، ولعب لجلاجي، مظفر الفئة يراها عن مائة بيوته حصينة وشاهه مصونة ودوابه مجتمع, وشاهه ممتنعة"[3].

---

(1) ابن رشيق: مصدر سابق، ص170 - 176؛ الصفدى: مصدر سابق، ج19، ص51 وما بعدها.
(2) أبو القاسم محمد كرو: مرجع سابق، ص54.
(3) أبو البركات الميمنى: مرجع سابق، ص92 وما بعدها.

ونختم الأمثلة النثرية بنثر ابن رشيق فى وصية فى كتابه الشهير العمدة يقدمها للشعراء خاصة وللأدباء بوجه عام، قال فيها بعد أن ذكر فضلهم:

"هذا على إنى ذممت إلى المحدثين أنفسهم فى أماكن فى هذا الكتاب، وكشفت لهم عوارهم، ونعيت لهم أشعارهم، وليس هذا جهلًا بالحق، ولا ميلًا إلى ثنيات الطرق، ولكن غضًا من الجاهل المتعاطى والمتحامل الجافى، الذى إذا أعطى حقه تعاطى فوقه وادعى على الناس الحسد، وقال: أنا ولا أحد! والى كم أعيش لكم، وأى علم بين جنبى لو وجدت مستودعًا. فإذا عُرض فى شعره بسؤال عن معنى فاسد ومتهم، أو طولب بحجة فى لحنة أو شاذ، أو نوظر فى كلمة من ألفاظ العرب مصحفة أو نادرة، قال: هكذا أعرف !.. وكأنما أُعطى جوامع الكلم. حاشا لله وأستغفر. بل هو العمى الأكبر والموت الأصغر"[1].

وقول الحكمة كانت من الكتابات النثرية المعروفة فى هذا العصر، فقد روى عن أبى عبد الله محمد بن بكر (ت440هـ/ 1048م) حكم عديدة منها قوله: "هم أهل زمان كالسبخة إن ابتليت زلقت، وإن جفت خدشت"، وقوله: "قطيعة الرحم كقطع عضو من الجسد لا يخاط ولا ينخاط ولا يربط". كما روى عن جعفر الوسلاتى - صاحب ابن بكر السابق - قوله: "ثلاث من الحكمة لو شئت كتبتها فى ظفرك اتبع ولا تبتدع، اختفض ولا ترتفع، من تورفع فلا يتسع"[2].

هذا وقد نهضت الكتابة وازدهرت فى هذا العصر وقد ساعدت النهضة العلمية الواسعة والتقدم فى جميع فروع الحياة على ذلك، فكانت الكتابة تذيل فيها الرسائل بالشعر وقد تشتمل على بعض آيات القرآن التى تناسب المقام وذلك هو طابع العصر العام، بل وكانت الرسائل تتخذ فى الرد على الأعداء والخصوم، وإيراد الحجج القوية لردع الخصوم والفت فى عضدهم[3].

ج) النقد الأدبى:

---

(1) أبو القاسم محمد كرو: مرجع سابق، ص52 - 54.
(2) أحمد مختار عمر: مرجع سابق، ص186.
(3) د/ محمد محمد زيتون: مرجع سابق، ص318.

كانت حركة النقد الأدبى قوية فى العصر الزيرى، فقد بدأت أول أمرها فى القرن الثانى، ونضجت فى القرن الثالث، وبلغت أوج ازدهارها فى القرنين الرابع والخامس، فهذا **عبد الكريم النهشلى** (ت: 405هـ/1014م) والذى عرف بشاعر باديس، وكذلك **إبراهيم الحصرى** (ت: 413هـ/1022م) صاحب كتاب زهر الآداب عن النقد الأدبى وتقسيم الشعر من الناحية الفنية، ولعل من أعظم الأعمال فى النقد الأدبى كله هو كتاب العمدة **لابن رشيق** (ت:456هـ/ 1063م) فهو كتاب نقد أدبى صميم تناول فيه مؤلفه نقد الشعر عامة ونقد عدد من الشعراء بصفة خاصة، كما اعتنى **ابن شرف** (ت: 460هـ/ 1067م) بالنقد الأدبى، فألف "رسائل الانتقاد" وهو عبارة عن مقامات يتحدث فيها عن الشعراء من المتقدمين والمحدثين. وهكذا نجد أن النقد الأدبى قد وصل إلى ذروة الازدهار والنضوج فى هذه الفترة، وما هو إلا مؤشر واضح لما بلغته الحضارة والثقافة العربية فى هذه البلاد فى عهد بنى زيرى[1].

ومن خلال هذا العرض للعلوم النقلية ببلاد المغرب الأدنى ببنى زيرى، يتضح مدى قوتها وتنوعها وإلى أى مدى وصلت النهضة العلمية آنذاك، مما أدى إلى إنشاء نهضة ثقافية زاهرة، وقد زاد من ازدهارها الاهتمام بنشر علوم التاريخ والجغرافية والعلوم العقلية كما سنبين.

---

(1) أبو القاسم محمد كرو: مرجع سابق، ص40 - 42.

الفصـــــل الرابـــع

العلوم النقلية والعقلية فى بلاد المغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية

- أولًا: العلوم النقلية:
  1- علم التاريخ.
  2- علم الجغرافية.
  3- علم التربية.
- ثانيًا: العلوم العقلية:
  1- علم الطب.
  2- علم الكيمياء.
  3- علوم الفلك.
  4- علم الكلام.

تناولنا فى النشاط الثقافى لدولة بنى زيرى العلوم الشرعية والأدب وعلوم اللغة وما تضمنته العلوم النقلية آنذاك، وسوف نتناول فى هذا الفصل بعض العلوم النقلية التى دعا إليها الإسلام مثل علمى التاريخ والجغرافية وعلم التربية. فقد كان لهذه العلوم أهمية كبيرة لدى علماء بنى زيرى، حيث كان لهم العديد من الإسهامات فى هذه الفنون كما سنرى.

ولم يقتصر النشاط العلمى والثقافي فى عصر بنى زيرى على العلوم النقلية فحسب، بل تناول العلوم العقلية وما تضمنته من العلوم الطبيعية مثل الطب والصيدلة والكيمياء والفلك، فبعد نمو حركة الترجمة والنقل العلمى وامتزاج الثقافة الإسلامية بغيرها من الثقافات أتقن علماء المسلمين هذه العلوم وكان لهم العديد من الإسهامات فيها.

كما تأثرت الحياة العقلية فى المغرب الأدنى بما كان يدور فى المشرق من مناقشات أثارتها الفرق المختلفة من مرجئة ومعتزلة وقدرية وخوارج فى هذه الفترة من المسائل الكلامية، فكان لعلماء المالكية بدولة بنى زيرى دورًا كبيرًا فى الرد على أهل البدع فى المسائل العقائدية، وما تعلقت به من مسألة الإيمان وصفات الله تعالى بذاته، وغيرها من مسائل علم الكلام[1].

وسوف يعرض هذا الفصل لهذه الفنون من العلوم النقلية ثم العلوم العقلية.

أولا: العلوم النقلية:

يشمل مصطلح العلوم النقلية علوم التاريخ والجغرافية والتربية وما يتفرع منها من علوم تهتم بالمجتمع وتراثه الثقافى والعلاقات التى تربط بين أفراده، وهذه العلوم هى التى تقوم بإعداد الفرد فى جميع جوانب حياته، ليتكيف مع بيئته المحيطة ويتفاعل معها من خلال إكساب الفرد الخبرات الاجتماعية النابعة من قيم ومعتقدات المجتمع المسلم، وكان لعلماء المالكية دورًا فى تطور الوعى الاجتماعى والتربوى فى مجتمع بنى زيرى، وسوف نتناول هذه العلوم فى بنى زيرى كالتالى:

1- علم التاريخ:

يُعد التاريخ مرآة الزمان ووعاء العمران، فهو الذى يوقد الذهن

---

(1) ابن أبى العز (صدر الدين أبو الحسن على بن علاء الدين بن محمد بن أبى العز الدمشقى، ت: 792ه/1390م): "شرح العقيدة الطحاوية"، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركى، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: الثانية، 1411هـ - 1990م، ج1، ص463.

ويرقى الإدراك، فحوادث الأزمان والأحقاب تكون فيها ترغيب وترهيب، وتهذيب وتشذيب وإنذار واعتبار، فهو النافذة لمعرفة نتائج الأولين وآثار الأقدمين فى العلوم والصنائع وبدائع الأفكار، وأخبار الأمصار وما لها وما عليها من الأحداث المتعاقبة، فالتاريخ سجل لأعمال الرجال فى كل مجال فالجهل به سبة والعلم به جميل المغبة[1].

وقد اهتم أهل إفريقية منذ زمن مبكر بتدوين أخبار بلدهم وتسجيل أخبار رجالاته وتتبع آثار الدول المتعاقبة عليه، ومن أقدم المؤرخين الذين كتبوا فى تاريخ إفريقية قبل بنى زيرى وكانوا بمثابة المدرسة التاريخية التى أفادت المؤرخين الذين ظهروا فى عصر الدولة الزيرية منهم: **عبد الله بن أبى حسان اليحصبى** (ت: 227هـ/842م)، كان فقيهًا ثقة عالمًا بالتاريخ وأنساب العرب، وهو من عرب إفريقية البلديين وقد توفى عن سبع وثمانين سنة[2].

وممن كتب عن تاريخ إفريقية **عيسى ابن محمد بن أبى المهاجر** (ت: 250هـ/864م) هو حفيد فاتح إفريقية المشهور أبو المهاجر بن دينار، تربى بالقيروان ثم رحل فى طلب العلم فروى عن علية المحدثين المصريين مثل الليث بن سعد وعبد الله بن وهب ثم عاد إلى إفريقية، وقد ألَّف كتابًا فى فتوح إفريقية يعتبر المصدر الأساسى لتاريخ الفتح العربى[3].

واشتهر **محمد بن سحنون** (ت: 256هـ/870م)[4] بالفقه والحديث وكانت له مشاركة فى سائر الفنون لاسيما علم التاريخ والرجال، وله فى ذلك مؤلفات مثل: [طبقات العلماء سبعة أجزاء - كتاب التاريخ ستة أجزاء]، وقد نقل المالكى عنه الكثير من كتب الطبقات، كما كان له كتاب

(1) محمد بن عبد العزيز الدباغ: "نحن والتاريخ"، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، العدد السادس، السنة العاشرة، محرم 1387ه - ابريل 1967م، ص43 - 48.

(2) الرقيق القيرواني (أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق): "قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب"، تحقيق: د/ عبد الله العلي الزيدان، د/ عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1990، ص71.

(3) أبى العرب: مصدر سابق، ص120؛ محمد بن مخلوف: مصدر سابق، ص69.

(4) ابن حجر العسقلانى (الحافظ أبى الفضل أحمد بن على بن حجر شهاب الدين العسقلانى الشافعى، ت: 852ه/ 1448م): "لسان الميزان"، أخرجه سلمان عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط: الأولى 1423هـ - 2002م، ج7، ص304.

فى الإمامة يتمثل فيه الفكر التاريخى العقائدى[1].

وتميز **أبو سهل فرات بن محمد العبدى** (ت: 292هـ/905م) بغزارة المادة التاريخية وتنوعها، فهو أحد كبار رواة الأخبار ونقلها مع دراية بعلم الرجال ومعرفة بأحوال الأمم المتقدمة، ولعل مما يدخل فى تاريخ الأنبياء ما ذكره الدباغ من أن فرات كان يقرأ من الزبور[2]، بالإضافة إلى آخرين اهتموا بأخبار الأنبياء السابقين والأمم السابقة[3].

وفى العصر الزيرى نبغ عدد من أبناء إفريقية فى مجال التاريخ والطبقات والتراجم، ومن هؤلاء الأعلام **ابن الجزار** (ت: 369هـ/979م) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبى خالد، كان طبيبًا مشهورًا بالطب مع إلمام بسائر المعارف والثقافات المختلفة فى عصره، صحب كبير أطباء القيروان فى عصره اسحاق بن سليمان الإسرائيلى، وكانت له تواليف جيدة فى التاريخ منها:

- التعريف بصحيح التاريخ، وهو أشبه بكتاب تراجم لعلماء عصره وأخبارهم.
- مغازى إفريقية، ذكر فيه فتح إفريقية ونقل عنه البكرى فى كتابه المسالك والممالك.
- طبقات القضاة، خصصه لتراجم العلماء الذين تولوا القضاء بإفريقية إلى وقته.
- أخبار الدولة، فى تاريخ الدولة العبيدية بالمغرب[4].

كما يُعد **الخُشنى** (ت: 371هـ/981م) من أشهر المؤرخين بإفريقية وهو أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد، والاسم مشتق من خُشن وهو موضع بإفريقية - طبقًا لما جاء فى ياقوت[5] - كان عالمًا بالأخبار وأسماء الرجال، وله فى التاريخ تواليف عديدة امتاز فيها بسعة أفقه وخروجه عن أسلوب المحدثين فى كتابة التاريخ، وامتازت مؤلفاته بصحة النقل

---

(1) رياض النفوس: مقدمة الجزء الأول ص13م، ج2، ص310.
(2) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص139؛ معالم الإيمان: ج2، ص249 وما بعدها.
(3) المالكى: مصدر سابق، ج1، ص401 - 403؛ البكرى: مصدر سابق، ص45؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص179 وما بعدها.
(4) المالكى: مصدر سابق، مقدمة الجزء الأول ص16م وما بعدها؛ ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ص187 وما بعدها؛ ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص237؛ ابن جلجل: مصدر سابق، ص88 - 90؛ حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ج1، ص306 - 326.
(5) معجم البلدان، ج2، ص374.

والتثبت وعدم التحيز، ومن هذه المؤلفات:

- تاريخ الأفارقة أوالإفريقيين.
- طبقات علماء أفريقية وهو تكملة لطبقات أبى العرب.
- طبقات فقهاء المالكية.
- كتاب الاقتباس.
- كتاب النسب.
- كتاب التعريف.
- تاريخ علماء الأندلس.
- تاريخ قضاة الأندلس[1].

واهتم بعض علماء المغرب الأدنى بكتابة المغازى والسير، ومن بين هؤلاء **أبى محمد عبد الله بن أبى زيد** (ت: 386ه/996م)، فقد اهتم بكتابة تاريخ السير والمغازى التى قادها الرسول ρ فى كتاب ألفه بعنوان كتاب "الجامع فى السنن والآداب والسير والمغازى والتاريخ"[2].

كما ألَّف **أبو بكر بن خلف التجيبى** (ت: 422هـ/1031م) - هو أبو بكر عتيق بن خلف التجيبى الواعظ المؤرخ - فى التاريخ والطبقات فكان مؤرخًا كبيرًا من مؤرخى إفريقية المعتمدين، سمع من أبى محمد بن أبى زيد، وأبى محمد بن التبان، وغيرهم من الأجلاء من أهل العلم، وكان له عناية بالعلم ومناقب الصالحين، ومن مؤلفاته:

- كتاب الافتخار بمناقب شيوخ القيروان، وما تعلق بهم من تاريخ فقهاء الأمصار.
- كتاب الطبقات[3].

---

(1) المالكى: مصدر سابق، ج1، المقدمة، ص15م وما بعدها؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص81 - 83؛ الذهبى: العبر فى خبر من غبر، ج2، ص112؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص212 وما بعدها؛ هذا وقد وجد اختلاف فى عام وفاته هل هو عام 361 أم 371ه، ويرجح العلامة حسن حسنى عبد الوهاب عام 371ه، وقد أوضح ذلك فى كتابه العُمُر، ج2، ص397.

(2) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص293؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج17، ص10 - 13؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص427 - 429.

(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 158 وما بعدها؛ النويرى: مصدر سابق، ج1، ص266 وما بعدها.

واحتفظت الأيام ببعض مؤلفات مؤرخى إفريقية منهم **الرقيق القيروانى** (ت: بعد 425ه/1034م) هو أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم، وأحد كتَّاب دولة بنى زيرى ومن شعرائها المجيدين، مدح مخدوميه وكان أديبًا وإخباريًا بارعًا، وقدم مصر فى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة بهدية من نصير الدولة باديس بن زيرى إلى الخليفة الفاطمى، ويُعد من أشهر مؤرخى إفريقية وعليه اعتمد من جاء بعده فقد نشر له المنجى الكعبى جزءًا من كتاب تاريخ إفريقية والمغرب من أواسط القرن الأول إلى أواخر القرن الثانى الهجرى، فقد كان الرقيق عالمًا متعدد المواهب خاصة فى علم التاريخ، ويزكيه العلامة ابن خلدون قائلًا: "... لم يأت من بعده إلا ملقد"(1). ومن مؤلفاته:

- الاختصار البارع للتاريخ الجامع، فى عدة مجلدات.
- نظم السلوك فى مسامرات الملوك.
- وكتابه تاريخ إفريقية والمغرب، مشهور معروف(2).

ويُعد من مؤرخى بنى زيرى **أبو عبد الله الأجدابى** (ت:432ه/1040م)، هو الحسين بن أبى العباس عبد الله بن عبد الرحمن الأجدابى أبو عبد الله المؤرخ، كان عالمًا فاضلًا عارفًا بالتاريخ، وكان فى كل فن واحد وقته ثقة مشهورًا بين فقهاء القيروان، عرف بسعة الرواية وكان من أصحاب القابسى وابن أبى زيد وسمع من تميم بن أبى العرب وغيره ورحل إلى مصر والحجاز فأخذ عن أبى نصر النيسابورى وغيره، وكان أكثر اشتغاله بالتاريخ حتى اشتهر به، وأخذ عنه أبو بكر عبد الله بن محمد المالكى وغيره، وله تآليف عديدة تختص بتعداد مناقب كبار العلماء بالقيروان، منها:

- مناقب ربيع القطان.
- مناقب أبى الفضل الممسى.
- مناقب أبى اسحاق السبائى.
- مناقب أبى مروان عبد الملك بن نصر(3).

---

(1) المقدمة، ص7.
(2) المالكى: مصدر سابق، ج1، المقدمة، ص17م؛ الرقيق القيروانى: مصدر سابق، مقدمة المحقق، هامش ص1؛ ابن رشيق: مصدر سابق، ص55 - 64؛ الصفدى: مصدر سابق، ج6، ص61؛ حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ج2، ص443 وما بعدها؛ محمد الطالبى: مرجع سابق، ص44 وما بعدها.
(3) المالكى: مصدر سابق، مقدمة الجزء الأول ص18م؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص170؛ محمد بن مخلوف: مصدر سابق، ص98؛ ناصر الدين محمد الشريف:

وكتب أيضًا فى مناقب الصالحين **اللبيدى** (ت: 440هـ/1048م) هو عبد الرحمن أبو القاسم بن محمد الحضرمي، من مشاهير علماء إفريقية وخاتمة علماء القيروان المحققين، تفقه بأبى محمد بن أبى زيد وأبى الحسن القابسي، وسمع من أبى اسحق الجبنيانى وانتفع به، وله تآليف فى تأصيل الفقه المالكى وتفريعه، وقد كتب عن مناقب الصالحين بإفريقية وعبادها، فألّف فى مناقب أبى اسحق الجبنيانى وفضائله[1].

واشتهر فى إفريقية فى هذا العصر **أبو بكر المالكى** (ت: بعد 453هـ/1061م هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله الفقيه المؤرخ، وهو صاحب كتاب رياض النفوس المشهور بكتاب المالكى فى طبقات علماء إفريقية وزهادها، وكان فقيهًا فاضلاً ثقة صحب أبا بكر بن عبد الرحمن، وقد بقى بالقيروان بعد خرابها مع الشيخ الحسين الأجدابى وجماعة من العلماء[2].

هكذا كان لمؤرخى دولة بنى زيرى دورهم فى مجال التأليف فى التاريخ والطبقات والتراجم والشرح والتلخيص، إذ لم يكونوا بمعزل عن مؤرخى عصرهم، مما يعد تنوعًا ملائمًا لتطور الحركة الثقافية فى هذه الفترة.

2- علم الجغرافية:

إن علمي التاريخ والجغرافية عند علماء المسلمين فرعان لا يفترقان فى بحر العلم، ومازال الأمر كذلك إلى يومنا هذا، فالجغرافية هى علم المكان والتاريخ هو علم الزمان، والزمان والمكان هما بعدا الوجود البشرى كله، والبعد الثالث هو الإنسان نفسه وهو موضوع التاريخ والجغرافية جميعًا. وقد كان لتسهيل الأسفار وتمهيد السبل فى القرنين الثانى والثالث الهجريين أثر كبير فى قيام العديد من الكاشفين والرحالين للقيام برحلات مهمة وضعوا في وصفها الكتب والأسفار، ووصفوا لنا ما شاهدوه فى البلدان وصفًا دقيقًا مبنيًا على المشاهدة، وبذلك خلف لنا جغرافيو المسلمين ثروة كبيرة هى خلاصة مشاهداتهم وتجاربهم التى اكتسبوها من أسفارهم فى كثير من الأقاليم والمماليك والبلدان[3].

مرجع سابق، ص76 وما بعدها.

(1) القاضى عياض: مصدر سابق، ص834؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 175؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص484.

(2) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص190 - 192، الزركلى: مصدر سابق، ج4، ص121 وما بعدها؛ محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص108.

(3) د/ حسين مؤنس: "أطلس تاريخ الإسلام"، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، ط:

وفي خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، برع العرب المسلمون فى كافة العلوم وكان لعلم الجغرافية اهتمام خاص من قبلهم فشَّكل أدب الرحلات مصدرًا هامًا من مصادر المعرفة الجغرافية فى التراث العربى الإسلامى بشكل خاص والتراث العالمى بشكل عام(1).

وقد اشتهر العديد من جغرافى المسلمين وتعددت وتنوعت اهتماماتهم فى تدوين وكتابة مشاهداتهم الشخصية، فقد كثُر عدد هؤلاء الرحالة وغزُر انتاجهم العلمي، وتعددت وتنوعت الأماكن التى رحلوا إليها سواء من المناطق العربية أو من بلاد فارس أو من بلاد ما وراء النهرين والقوقاز وغيرها(2). وكانت فريضة الحج فى الإسلام من أعظم البواعث على سفر الكثير من المغاربة فى كل عام لأداء فريضة الحج، وبعد زيارة الحرمين الشريفين كان الكثير منهم يقصدون المقامات المباركة بالمشرق كالمسجد الأقصى بالقدس، ثم يعرجون على دمشق ومدائن أخرى من الشام، ولطالما زاروا بغداد عاصمة العباسيين بالعراق، وفى رجوعهم يقضون وقتًا بمصر، ثم يكملون الرحلة إلى برقة ثم طرابلس ثم تونس، وكان العديد من هؤلاء الحجيج يكتبون مشاهداتهم ويصفون أحوال تلك الأقطار ويسجلون الأحداث التى عرضت لهم مدة ترحالهم، لينتفع بها غيرهم فى المسالك التى يجب أن يسلكوها(3).

وكانت الملاحظة الشخصية أهم مصدر من مصادر المعرفة الجغرافية لدى هؤلاء الرحالة الذين لم يصل لنا العديد من مؤلفاتهم سوى ما يمكن ملاحظته فيما بين السطور، وكان من هؤلاء **محمد بن يوسف الورَّاق القيروانى** (ت: 363هـ/973م) الجغرافى القيروانى، ذكر لنا ابن الآبار(4) أنه كتب للحكم المستنصر بالله كتابًا فى مسالك إفريقية وممالكها وفى أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم، وكذلك ألَّف فى أخبار المدن، وقد شكلت مؤلفات هذا الجغرافى المؤرخ القيروانى المولد أحد الأصول الفريدة فى تاريخ وجغرافية بلاد المغرب، وذلك من خلال ما قدمه البكرى فى المسالك والممالك من اقتباسات لها أهميتها، نظرًا إلى فقدان كتب الورَّاق التى ضاعت، شأنها شأن الكثير من المؤلفات التى

الأولى، 1407هـ - 1987، ص24.

(1) د/ خليف مصطفى غرايبة: "الرحلات الجغرافية فى التراث العربى الإسلامى فى القرنين الرابع والخامس الهجريين" دورية كان التاريخية، السنة الثانية، العدد الثالث، مارس 2009م، ص8 - 12.
(2) د/ محمد محمد زيتون: مرجع سابق، ص374.
(3) بشير التليسى، الاتجاهات الثقافية، ص482.
(4) التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص155.

دوّنها معاصروه، وبعض من سبقه من الرحالة، وقد اهتم البكرى بشكل خاص برواية الورَّاق عن مدن بلاد المغرب وأورد عنها معلومات تاريخية قيّمة نسبها إليه(1).

وينقل البكرى فى كتابه عن محمد بن يوسف فى ذكر الساحل من طبرقة إلى تونس قوله: "مرسى القبة عليه مدينة بنزرت وهى مدينة على البحر يشقها نهر كبير كثير الحوت، ويقع فى البحر وعليها سور ضخم وبها جامع وأسواق وحمامات وبساتين وهى أرخص البلاد حوتًا"(2)، وما نقله يدل على أن الورَّاق كان دقيقًا فى وصفه مع ملاحظاته للظواهر المعاينة للدور والبناء والأماكن الأخرى كالحمامات والملاحات وغيرها.

كما ألَّف **ابن الجزار** (ت: 369هـ/979م) - هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبى خالد - كتاب عجائب البلدان والذى أخذ البكرى عنه فى المسالك وابن عذارى فى البيان وياقوت فى معجم البلدان(3).

بالرغم من قلة أعداد الجغرافيين الذين أنجبتهم إفريقية فى العصر الزيرى إلا أن تأثيرهم كان كبيرًا على علم الجغرافية والجغرافيين الذين أتوا من بعدهم.

3- علم التربية:

نقصد بالتربية هنا النظريات التربوية التى يمكن أن نتلمسها من الحياة التعليمية والإرشادات التى كانت توجه فى حقل الحياة التعليمية فيتضح لنا مستوى الفكر التربوى فى المغرب الادنى فى هذه الفترة، وممن ألَّف فى التربية من أهل القيروان أبو الحسن على بن محمد ابن خلف المعافري المعروف بأبي الحسن القابسى المتوفى سنة 403ه/1012م، ألف رسالة مفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين وقد راعى فيها المعلم والمتعلم(4).

كما أوصى فى رسالته: "بأن يكون المعلم مهيبًا لا فى عنف، وألا يكون عبوسًا مغضبًا ولا مبسوطًا مُرفقًا بالصبيان دون لين، وينبغى أن يخلص أدب الصبيان لمنافعهم، ولا يجعل شيئًا من ضربه لقبضه ويريح

---

(1) المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب: ص68؛ ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص139 ، 232.
(2) المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب: ص57 وما بعدها.
(3) المالكى: مصدر سابق، مقدمة الجزء الأول ص16م وما بعدها؛ معجم الأدباء: ص187 وما بعدها؛ البيان المغرب، ج1، ص237؛ ابن جلجل: مصدر سابق، ص88 - 90؛ حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ج1، ص306 - 326.
(4) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 134 - 143.

قلبه من غيظه، فإن فعل فإنما ضرب أولاد المسلمين وليس من العدل. وصفة ضربه ما لا يؤلم ولا يتعدى إلى التأثير المستبشع أو الموهن المُضر، ولا يولى الصبيان الضرب لما علم بينهم من الحمية، إلا من يعلم منه عدم التجاوز فيسعه التخلف مع العذر، ولا يضربه على رأسه ووجهه، إذ هو غرر يصيب الدماغ أو يضرب إلا بالدارة ويجتنب الضرب بالعصا واللوح"[1].

ومن هذه النظرية كانوا يرون مسئولية الأستاذ عن تلميذه عندما تعتريه مشكلة نفسية أو نازع شهوانى يجعله يلهو أو يقصر فى الدراسة أو ينقطع عنها فيحاول الأستاذ معالجة ذلك وإصلاح ما إعوج من التلميذ، ومما يجدر التذكير به فى هذا المقام هو عنايتهم بالتربية الخلقية ويظهر ذلك جليًا فيما ذكره الدباغ من أن بعض طلبة الأندلس قدم على أبى محمد عبد الله بن أبى زيد القيروان للقراءة عليه فأكرمه وأنزله وأجرى عليه ما يحتاج إليه من نفقة وجعله إمام مسجده فبينما هو ذات يوم خارج من داره إلى الصلاة وكانت داره التى أنزله فيها مجاورة للمسجد فى قبالة حمام أبى محمد إذ نظر إلى إمراة خارجة من الحمام وقد كشفت عن وجهها لما نالها من حر الحمام ولم تظن أن أحدًا ينظر إليها فلما رأته سترت وجهها وانصرفت فقيدت بصره وأخذت من نفسه مأخذًا عظيمًا فتبعها إلى أن دخلت دار الفقيه أبى محمد بن أبى زيد والفقيه ينظر إليه فى تلك الحالة فلما رآه ينظر إليه سقط ما فى يده وداخله من الحياء والخجل ما لا مزيد عليه ورجع إلى داره حزينًا كئيبًا فلما تأخر عن الصلاة آتاه المؤذن يؤذنه بها وأعلمه أن الشيخ أبا محمد بعث إليه فأتى وصلى بالناس ثم أخذ الفقيه معه فى المذاكرة والمؤانسة إلى أن صلى العشاء الآخرة فقال له أبو محمد انصرف إلى دارك حتى أصل إليك فلم يشك أنه يقول له فى ذلك وظن سوءًا وعاد إليه حزنه وكآبته فلما وصل إلى داره لم يجلس إلا وأبو محمد فى أثره فقال له يا بنى، إنما جئت لك معتذرًا من تقصيرى فى حقك إذ لم أقم بجميع ما تحتاج إليه وذلك أنى لم أتفقد أنك تحتاج إلى النساء فإنك شاب وها أنا شيخ أحتاج إلى الزيادة من ذلك فكيف أنت؟ وأما الصبية التى رأيتها خارجة من الحمام فإننى ربيتها صغيرة لنفسى وهى لك وما أخرتها لهذا الوقت إلا أنهم فى الدار من ذلك الحين يصلحون من شأنها فلم يبرح حتى وصلت الصبية بجميع ما تحتاج إليه من ثياب وحلى

---

(1) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ص128 - 131؛ الونشريسى: مصدر سابق، ج8، ص 250.

وفرش وتركها فى منزله وانصرف بعد أن عقد له النكاح عليها[1].

وقد اهتم علماء المغرب الأدنى بصحة الأطفال ورعايتهم فكان أول من وضع تواليف فى طب الأطفال الطبيب الشهير أبو جعفر ابن الجزار (ت: 369هـ/979م) الذى ألَّف كتابه "سياسة الصبيان وتدبيرهم"، وهذا الكتاب يحتوى على اثنين وعشرين بابًا، واهتم بصحة الطفل منذ الولادة والأمراض التى يتعرض لها الأطفال وطرق الوقاية والعلاج، كما خصص به بابًا تحدث فيه عن طباع الصبيان وتربيتهم، والتصنيف فى هذا المجال لم يسبقه إليه أحد[2].

وكان الآباء أيضًا يهتمون بمعرفة أحوال الأبناء ويسألونهم عن مستواهم الدراسى ويناقشونهم خاصة إذا كانوا من العلماء، وكانوا يكافئون معلمى أبنائهم مكافآت جزيلة، وبعد أن ينتهى الصبى من ختم القرآن يواصل الدراسة بعد ذلك فى حلقات المسجد حول سوارى الجامع الكبير بالقيروان، حيث التخصصات فى الشريعة أو اللغة أو الأدب وغيرها من العلوم[3].

وكان مما يسلكونه فى طرق التدريس إلقاء الأسئلة للإجابة عنها فإذا ما أشكلت المسألة على الطلبة بيَّنها لهم الأستاذ، وكان أبو محمد بن أبى زيد يفتتح مجلسه بجواب سؤال السائلين عن غوامض المسائل ودقائقها، ولاشك أن هذا من طرق التدريس الناجحة التى كان يطبقها ذلك الشيخ فى درسه، ويوضح بعض الطرق التربوية التى كان يسير عليها العلماء فى القيروان، وكان من التربية أيضًا أن يتلقى الطالب العلم على أستاذ، ولذلك كانوا يهتمون بذكر الأساتذة الذين تلقوا عليهم ويرون من يتفقه أو يتعلم بنفسه من غير المتلقى على أستاذ يعد عيبًا فيه[4].

ومن نظرياتهم التربوية إباحة التعليم لكل راغب فى العلم دون التقيد بسن أو بتسجيل للتلاميذ فالتعليم للجميع، والحلقات مباحة لحضور جميع الأعمار من شباب وشيوخ وغيره، كما تتسم الحركة التربوية بأنها لم تكن قاصرة على الكتاتيب والحلقات فى المساجد بل كان الأثرياء والأمراء يحضرون المعلمين لأبنائهم فى منازلهم حيث يحيطون بالعلوم السائدة في ذلك العصر وكانوا يجزلون الأموال لأولئك المعلمين، كما أن نظرتهم التربوية لم تكن تقصر التعليم على الذكور بل كان الإناث أيضًا

(1) معالم الإيمان: ج3، ص113 وما بعدها.
(2) بشير التليسى، الاتجاهات الثقافية، ص503.
(3) الونشريسى: مصدر سابق، ج8، ص 248.
(4) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص109 - 121.

يتعلمون[1].

هكذا يتضح بجلاء مقدار فهم علماء المغرب الأدنى لحاجة الطالب وما يحتاجه من أجواء ملائمة تضمن له نموًا تربويًا صحيحًا ونضجًا كاملًا، يظهر مدى الرقى التربوى فى مجتمع بنى زيرى.

ثانيًا: العلوم العقلية:

تشمل العلوم العقلية العلوم الطبيعية وهى التى تتصل بالحياة العملية كالطب والصيدلة والطبيعة والكيمياء وعلوم الرياضة والفلك، وقد ابتدأ بعضها فى القيروان فى منتصف القرن الثانى الهجرى ثم أخذ فى النمو والازدهار بحيث استطاع أن يقوم علماء كل علم بدور فكرى خصب وأن يؤدى كل منهم واجبه فى رقى الحياة والمساعدة على تقدمها.

كما يندرج علم الكلام تحت مسمى العلوم العقلية والفلسفية، حيث انتقل علم الكلام إلى إفريقية نتيجة للتطورات الفكرية التى شهدها العالم الإسلامى فى ذلك الوقت، فكان علماء السنة بالمغرب الأدنى يقوموا بدراسته وتعلمه للرد على مخالفيهم من الفرق الأخرى، وسوف نعرض لذلك بعد سرد لبعض العلوم الطبيعية ببلاد المغرب الأدنى آنذاك.

1- علم الطب:

عرفت إفريقية علوم الطب والصيدلة من منتصف القرن الثانى الهجرى، فى ولاية بنى المهلب، وأول طبيب ظهر فى إفريقية هو الطبيب السريانى (أبو يوحنا ماسويه)، الذى قدم إلى القيروان وقام بمعالجة رجال الدولة وأعيانها، وكان يوحنا قد اتصل بهارون الرشيد وخدمه ثم استصحب الأمير يزيد المهلبى[2].

وبرز فى عهد الأغالبة الاهتمام بوسائل المحافظة على الصحة من وجود مرستانًا أو مستشفى بالمدن الكبيرة، أولها التى أنشئت بالقيروان وتسمى "الدمنة"[3]، وكان يباشر العلاج فيها من الفقهاء من كان عنده خبرة بالطب، وكان يسمى بفقيه البدن[4]، ومن فقهاء القيروان من اشتغل بالطب **سحنون** (ت:240هـ/854م) فذكره أبو العرب فى ترجمته أنه كان

---

(1) د/ أحمد مختار العبادى، "فى تاريخ المغرب والأندلس"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص13 وما بعدها.
(2) الدباغ: مصدر سابق، ج1، ص237.
(3) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ج1، ص273 وما بعدها.
(4) المالكى: مصدر سابق، ج1، ص411 وما بعدها.

فقيه البدن أى طبيبًا[1]. وكذلك **يحيى بن عمر** (ت:289هـ/902م)، فكان فقيه البدن، وكذلك **أبا عبد الرحمن بن دحمان**، و**نصر بن فتح التسورى**[2].

وإن كانت المصادر لم تتناول علوم الطب فى هذه الفترة بشيء من التفصيل، إلا أن البداية الحقيقية للطب فى القيروان كانت على يد الطبيب المشهور **اسحاق بن عمران الملقب بسم ساعة** (ت: 294هـ/907م)[3]، وهو طبيب بغدادى تعلم فى بغداد وبرع فى الطب حتى اشتهر بسم ساعة لما يظهر من سرعة تأثير الأدوية التى كان يصنعها للمرضى وقد استُقدم إلى القيروان وقام بنشر الطب فيها حيث تلقى عليه عدد من أبناء القيروان الطب، وممن برع من تلاميذه فى القيروان زياد بن خلدون واسحاق ابن سليمان الإسرائيلي الوافد من مصر وأبو بكر محمد بن الجزار وغيرهم، وكان له مؤلفات كثيرة فى الطب مثل [كتاب فى المالنخوليا، وكتاب الأدوية المفردة، وغيرها][4].

واشتهر بالطب فى بنى عبيد **زياد بن خلفون** (ت: 308هـ/920م)، الذى تتلمذ على اسحاق بن عمران، وقد اشتغل بالطب فى نهاية الدولة الأغلبية ثم خدم المهدى مدة عشر سنوات إلى أن قتل، كما ذكر ابن عذارى وفاة جماعة من الأطباء سنة 307هـ/919م، مما يدل على وجود عدد غير قليل من الأطباء آنذاك[5].

ومن الأطباء المشهورين فى هذه الفترة **اسحاق بن سليمان الإسرائيلى** (ت: بعد 350هـ/961م)، هو من أهل مصر وكان كحالًا فى بدايته أى يهتم بأمراض العيون ثم سكن القيروان، وطبب أمراء بنى عبيد[6]، وتتلمذ على اسحاق بن عمران وبرع فى الطب وألف فيه كتبًا كثيرة منها: [كتاب الحميات، وكتاب البول، وكتاب المدخل إلى صناعة الطب، وكتاب الترياق وغيرها][7].

وقام **دونش** (ت: 360ه/971م) - هو أبو سهل دونش - بعلاج الأمراء ورجال الدولة فى بنى عبيد، ويدعى عند اليهود (أدنيم بن تميم)،

---

(1) طبقات علماء إفريقية وتونس، ص101.
(2) الدباغ: مصدر سابق، ج2، ص237 ، 319 ، 340.
(3) ابن جلجل: مصدر سابق، ص84.
(4) ابن جلجل: مصدر سابق، ص85 وما بعدها؛ حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج2، ص738.
(5) البكري: مصدر سابق، ص24؛ البيان المغرب: ج1، ص183.
(6) ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، ص242.
(7) ابن جلجل: مصدر سابق، ص87.

وينعت بالشفلجى الإسرائيلى، ولد بالقيروان وقرأ على كبير أطباء وقته إسحاق بن سليمان، وتخرج عليه فى الطب والفلسفة والحساب، وبرع فيها وأتقن العربية، وله مؤلفات فى الطب والحساب والنجوم(1). ومن أطباء بنى عبيد أيضًا **موسى بن العازر** (ت: بعد 365هـ/976م)(2)، الذى برع فى الطب ومهر فى معالجة أمراض العيون فى القيروان وكانت له مكانة عالية، وانتقل مع المعز إلى مصر ثم مات بعدها، ومن مؤلفاته: [كتاب السعال، وكتاب الأقرباذين أى الصيدلية](3). على أية حال كانت مدرسة الطب قبل قيام الدولة الزيرية ذات تأثير كبير على مدرسة الطب فى العصر الزيرى.

ومنذ بداية الدولة الزيرية والمدرسة القيروانية تشتهر بالطب والأطباء الأكفاء، مثل الطبيب الشهير **أبو جعفر ابن الجزار (ت: 369هـ/979م)** هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبى خالد، ولد بالقيروان سنة 285ه/898م من أسرة اشتغلت بالطب واشتهرت به فكان أبوه طبيبًا، وكان عمه أبو بكر طبيبًا، وقد تلقى عليهما العلوم الطبية، صحب كبير أطباء القيروان فى عصره اسحاق بن سليمان الإسرائيلى، كما تتلمذ على اسحاق بن سليمان واستفاد من علمه وخبرته، وقد برع فى الطب والطبيعة والتاريخ مع إلمام بسائر المعارف والثقافات المختلفة فى عصره، وكانت له عيادة للمرضى جعلها فى مكان مستقل بجوار بيته كما خصص قسمًا للصيدلة(4)، أجلس فيه غلامًا رشيقًا وأعد له الأدوية من معجونات وأشربة ومراهم وغير ذلك من الأدوية، فإذا فحص المريض وشخص له العلاج تحول المريض إلى رشيق ليأخذ منه العلاج، وكان ذو عناية بالفقراء فيحسن إليهم ويداويهم بدون أجر تقربًا لله تعالى، فكان يقرئ الطب ويعالج المرضى الفقراء فى أشهُر معلومة من السنة فى الرباط احتسابًا(5).

وكان رحمه الله لا يتقرب للرؤساء والحكام، وقد تلقى الطب عنه عدة تلاميذ من أشهرهم أبى حفص عمر بن بريق الأندلسى الذى لازمه

---

(1) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ج1، ص297 - 300.
(2) المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج1، ص228 [ذكر المقريزى أن ابن العازر حضر احتضار المعز الفاطمى سنة 365هـ، وعليه فقد حقق الأستاذ/ حسنى حسنى عبد الوهاب تاريخ وفاته بعد هذا التاريخ، وليس كما يذكره المؤرخون أنه توفى بعد انتقال مع المعز بعامين].
(3) المالكى: مصدر سابق، ج2، ص501 وما بعدها؛ حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج2، ص734.
(4) الصفدى: مصدر سابق، ج6، 132 وما بعدها.
(5) ابن جلجل: مصدر سابق، ص89.

بالقيروان، وروى عنه مؤلفاته بعد عودته لخدمة الأمراء الأمويين بالأندلس، وكان لابن الجزار مكتبة ضخمة يملكها قدرت بخمسة وعشرين قنطارًا من كتب طبية وغيرها، فهو بالمغرب يعادل الفارابى وابن سينا بالمشرق[1] فقد ألَّف كتبًا عدة فى الطب وسائر العلوم منها:

1- زاد المسافر وقت الحاضر، وهو من أهم الكتب الطبية التى ألفها المسلمون، وقد ترجم إلى اللاتينية فى منتصف القرن الخامس الهجرى.
2- كتاب العدة لطول المدة.
3- كتاب الاعتماد فى الأدوية المفردة.
4- كتاب البغية.
5- نصائح الأبرار.
6- قوت المقيم.
7- المعدة وأمراضها ومداواتها.
8- أصول الطب.
9- مجربات فى الطب.
10-المختبرات.
11-الفرق بين العلل التى تشتبه أسبابها وتختلف أعراضها.
12-إبدال الأدوية.
13-التحذير من إخراج الدم من غير حاجة دعت إلى إخراجه.
14-طب الفقراء والمساكين.
15-النصح جمع فيه أدوية الملوك والخواص.
16-طب المشايخ، وعالج فيه المسنين والمعمرين.
17-سياسة الصبيان وتدبيرهم.
18-الزكام أسبابه وعلاجه.
19-الجذام أسباب وعلاجه.

(1) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ص187 وما بعدها؛ ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص237؛ حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ج1، ص306 - 326.

20-أسباب الوفاة رسالة[1].

واشتهر بطب العيون في القيروان آنذاك **أعين بن أعين** (ت: 385هـ/995م) وحاز سبقًا ومهارة في معالجة الرمد المزمن، وشفى على يديه عدد كبير من المصابين أشهرهم الفقيه بن أبي زيد، وقد ألّف كتاب [أمراض العين ومداواتها، وكناش في الطب][2].

واشتهر في عهد بني زيرى من الأطباء **ابن عطاء اليهودى** طبيب المعز بن باديس ومن خاصته، ويحكي لنا الدباغ عن زيارته للشيخ أبو عمران الفاسي المتوفي سنة 430ه/1039م ليستفتيه في مسألة للمعز بن باديس، وكان غير معلّم، فأمر الشيخ بصبغ طرف عمامته وقال له: "انصرف إلى مرسلك فقل له: يبعث إلي برجل من المسلمين يأخذ جواب مسألته، فإني لاستحيي أن أحملك أسماء الله وحكمًا من أحكامه"، فلما دخل عطاء اليهودى على المعز ذكر له ما حدث، وقال والله يا سيدى ما ظننت أن بإفريقية ملكًا غيرك إلا يومي، ولقد وقفت بين يديك في حال غضبك الشديد فما أدركني الفزع ولا أصابني الرعب ما أصابني في يومي هذا! فقال له المعز: "إنما فعلت ذلك أريك عز الإسلام وهيبة علماء المسلمين وما ألبسهم الله من شعائر الأولياء لعلك تسلم"[3].

أما الطبيب التاجر **قسطنطين الإفريقي** (ت: 479ه/ 1087م)، وقد ولد بقرطاجنة،[4] وقام برحلات طويلة في أرجاء المشرق، ثم عاد إلى سالرنو ويعتبر مؤسس مدرسة سالرنو، وهو من أكبر العاملين على تسرب العلوم العربية إلى أوربا، فبسببه أصبحت الأقطار الأوربية - التي كانت لا تزال في غياهب الجهل - تتعرف على نتاج الأطباء القيروانيين مثل ابن اسحاق بن عمران واسحاق بن سليمان الإسرائيلي وابن الجزار الذي تُرجمت مصنفاته إلى اللغة اللاتينية، وظلت معتمدة في جامعات أوروبا العلمية إلى عصر متأخر[5].

---

(1) ابن جلجل: مصدر سابق، ص88 - 90.
(2) المالكي: مصدر سابق، ج2، ص501؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص67 ، 152.
(3) معالم الإيمان: ج3، ص 161.
(4) قرطاجنة: هي من المدن المشهورة، فيها من الآثار وعجائب البنيان ما ليس في غيرها، لها أبواب كثيرة وقد صور على كل منها صورة نوع من الحيوان، وفي دورها الكثير من الرخام، وداخل ميناء المدينة تدخل المراكب بقلوعها، وبالمدينة مواجل كثيرة الماء. لمزيد من التفاصيل انظر: كاتب مجهول، الاستبصار، ص121 - 125.
(5) حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج2، ص717؛ أبو القاسم محمد كرو: مرجع سابق، ص43 وما بعدها.

وممن ألَّف فى الطب آنذاك **أبو الصلت أمية بن عبد العزيز** (ت: 529ه/ 1135م) هو أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت، ولد بالأندلس ودرس الحكمة ورحل إلى المهدية فنزل على الأمير يحيى بن تميم، وخدم أمراء بنى زيرى يحيى وعلى والحسن، ومات بالمهدية ودفن بالمنستير ومن مؤلفاته نخص بالذكر منها: [كتاب الأدوية المفردة، ورسالة العمل بالاصطرلاب][1].

وبهذا يتبين لنا أن مدى تطور الفكر الطبى فى المغرب الأدنى فى هذه الفترة، وأنه دُرِس نظريًا وعمليًا فكان الطلبة يتمرنون فى المارستانات (المشافى) وكانوا يتخصصون فى الأمراض الباطنية والجراحية، ثم الكحالون الذين كانوا يعالجون أمراض العيون، ورأينا وجود الصيدليات وكل ما يحتاجه المريض من الأدوية، كما عرفت بلاد المغرب الادنى (الدمنات)، وهى المرستانات للمصابين بالأمراض المعدية التى يطول علاجها ويخشى منها العدوى مثل الجذام[2]. **هكذا اشتهر العديد من الأطباء بدولة بنى زيرى، عملوا دومًا على تطور الطب والصيدلة، وكانت لهم إسهماتهم المتميزة فى هذا العلم آنذاك.**

2- علم الكيمياء:

أسهم علماء المسلمين فى اكتشاف العديد من أسرار الكيمياء وصناعة العديد من الاختراعات مثل ماء الفضة (حامض النيتريك)، وزيت الزاج (حامض الكبريتيك)، وماء الذهب (حامض النيتروهيدروكلوريك)، وغيرها من الأحماض والقلويات، كما استخدموا هذا العلم فى المعالجات الطبية وصنع العقاقير[3].

وصنَّفوا العديد من المؤلفات فى هذا العلم، والوصول إلى التأليف فى بعض فروع الكيمياء يدل على مدى العناية والاهتمام بها، وقد تُرجمت هذه المؤلفات إلى اللغة اللاتينية بدايةً من القرن الثالث الهجرى[4]. ومن بين الأطباء الذين كتبوا فى ذلك الطبيب **أحمد ابن الجزار** (ت: 369ه/979م)، والذى ألَّف كتاب العطر، وذكره ضمن كتاب طب

---

(1) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج1، ص740 - 743؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص243 - 247.
(2) الدباغ: مصدر سابق، ج2، ص342.
(3) د/ راغب السرجانى، موقع قصة الإسلام، "ابتكار المسلمين علم الكيمياء"، شبكة المعلومات http://islamstory.com/ar
(4) ويل ديورانت: "قصة الحضارة"، المجلد الرابع، ص447.

المشايخ، وقد خصصه لصناعة الروائح السارية وطرق تقطيرها من النباتات والعقاقير التى يستخرج منها[1].

وتتحدث المصادر فى إشارات قليلة عن علم الكيمياء بالمغرب الأدنى يتضح منها وجود من اشتغل بالكيمياء آنذاك، ومنهم **إسماعيل بن يوسف** (ت:4ه/10م) والذى عرف بالطلّاء، وُلد بالقيروان وقرأ فيها مبادئ العلوم ثم رحل فى طلب العلم إلى مصر والشام والعراق، وفى بغداد اتصل بمعمل كيميائى مشهور بتحضير مواد التجميل للنساء البغداديات، وبعد أن اكتسب خبرة منه وحذق صنعة الكيمياء واطلع على غامض أسرارها قدِم إلى القيروان ونقل ما تعلمه إليها، واشتغل بتحضير الطلاء للسيدات فى القيروان[2].

كما ذكرت لنا المصادر أن بعض الفقهاء قد فهم من الكيمياء تحضير الذهب فقط، حتى أنهم نظروا فى حل ذلك وحرمته وبحثوا الحكم بين الذهب المتحصل من الكيمياء والذهب الإبريز[3]، وهذا يدل على وجود علم الكيمياء فى ذلك الوقت ووجود من اشتغل به فيذكر لنا الدباغ أن **ابن حارث الخشنى** (ت:371ه/981م) كان يتعاطى صناعة الكيمياء وعمل بها[4].

كما يذكر لنا فى ترجمة **أبو محمد عبد الله بن أبى زيد** (ت: 386ه/996م) وجود آلة الكيمياء فى تركته[5]. كما وُجد فى تركة **أبو عمران الفاسي** (ت: 430ه/1039م) الكبريت الأحمر واشتراه السلطان المعز بن باديس وردّه إلى بيت المال[6].

وممن عرف بالكيمياء **عبد الله بن عبد الله** المعروف بالبرقى، كان عالمًا بالنحو واللغة، وبالعدد والهندسة، وينسب إليه علم صناعة الكيمياء[7].

---

(1) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ج1، ص320 - 322.
(2) المرجع السابق، ص252 - 254.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 101 - 103؛ حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص40.
(4) معالم الإيمان: ج3، ص81 - 83؛ الذهبى: العبر فى خبر من غبر، ج2، ص112؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص212 وما بعدها.
(5) معالم الإيمان: ج3، ص109 - 121؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج17، ص10 - 13.
(6) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 159 - 165.
(7) أبو الحسن القفطى: مصدر سابق، ج2، ص121؛ ناصر الدين محمد الشريف: مرجع سابق، ص80.

ولا يفوتنا هنا أن نستطرد إلى ذكر ذلك المعهد العلمي التطبيقي الذى أنشأه الأمير يحيى بن تميم (501هـ /1107م) بمدينة المهدية، والذى بمثابة مدرسة للعلوم الكيميائية، أشرف على تسيير التدريس بها حكيم من أشهر حكماء العرب فى وقته، وهو الطبيب الفيلسوف الأديب أمية بن أبى الصلت الدانى (ت: 529هـ/1135م)، وقد ابتنى الأمير لذلك بناء سمى بدار العمل، وزودها بآلات تحليل المعادن والأحجار وأدوات تقطير الأعشاب والنبات وتبخيرها[1]. هكذا اتضح وجود علم الكيمياء ببنى زيرى ومدى اهتمام الأمراء والعلماء بمعرفة هذا العلم.

3- علوم الفلك:

هو علم من العلوم الرياضية سماه البعض بعلم الهيئة وهو علم يبحث فى الأجرام السماوية من حيث عددها وعدد ما يتبعها من أجرام سيارة، وحصر أنواعها ومعرفة أماكنها بالنسبة للشمس أو الأجرام السماوية الأخرى، وأشكال هذه الأجرام وحركتها[2].

وقد حظى علم الفلك بعناية المسلمين منذ عهد بعيد ولا غرابة فى ذلك إذا عُلم أن الذكر الحكيم أورد جملة وافرة وعددًا كبيرًا من الآيات القرآنية المتعلقة بالكون والفلك والتى تدعو إلى النظر إلى السماء والتفكر فى بنائها وظواهرها المختلفة، فيقول الله تعالى: "أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ"[3]، وقال تعالى: "أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ"[4]، وقال تعالى: " أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ"[5]، وغيرها من الآيات التى تدعو إلى التفكر فى صنع الله[6].

وكانت عناية علماء المسلمين بحركة الأفلاك والنجوم والرياضيات لضبط مواقيت الصلاة وحصص الإرث فى علم المواريث، واحتساب

(1) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص304 وما بعدها.
(2) السيوطى (عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد سابق الدين الخضيرى الأسيوطى، ت: 927هـ/ 1505م): "معجم مقاليد العلوم فى الحدود والرسوم"، تحقيق محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: الأولى، 2004م، ص139.
(3) سورة الأعراف، الآية (185).
(4) سورة ق، الآية (6).
(5) سورة الغاشية، الآية (17 - 20).
(6) رامى أحمد رشاد: "الحياة الثقافية فى فاس زمن الموحدين (540 - 646هـ/ 1146 - 1248م"، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ص188.

نصاب الزكاة[1]. وكان العصر العباسى الأول (132 - 232ه/ 749 - 847م)[2] البداية الحقيقية للمسلمين فى هذا العلم، فكثرت المؤلفات التى تهتم بحركة النجوم والفلك[3]، وظهر فى ذلك العصر العديد من العلماء الذين كان لهم دورًا كبيرًا فى تطوير هذا العلم ومنهم **ابن جابر البتانى** (ت: 317ه/929م)[4]، والذى أسهم بدور عظيم فى تطوير هذا العلم. ومنهم أيضًا **أبى الريحان البيرونى** (ت: 440ه/ 1047م)[5]، وقد تعدد المؤلفات والتصانيف فى علم الفلك والنجوم.

وعلم الفلك من العلوم التى اهتم بها علماء المغرب الأدنى خلال العصر الأغلبى وما تبعه من فترة حكم الدولة العبيدية ثم الدولة الزيرية، فكان يوجد فى بعض قاعات بيت الحكمة دواليب تحفظ فيها الآلات الفلكية لحساب سير الكواكب ورصدها كالاسطرلابات والمفترطات والجيوب وما يشابهها من أدوات البحث وتحقيق الأوقات وضبط

---

(1) فنسان مومنتاى: "العرب والفكر العلمى"، مجلة المورد، ترجمة: د/ أكرم فاضل، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، المجلد السادس، العدد الرابع، 1398ه - 1977م، ص184.

(2) السنيور كرلونلينو: "علم الفلك، تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى"، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط: الثانية، 1413ه - 1993م، ص216.

(3) الحسن المراكشى (أبو على الحسن بن على بن عمر المراكشى، ت: القرن 7ه/13م): "مخطوطة جامع المبادى والغايات فى علم الميقات)، مقاسات المخطوطة: 15 × 20.5سم، تاريخ النسخ: القرن الحادى عشر، 37ق، ص1. انظر بالملاحق: (شكل رقم 2/3 - ص 254 - 256)

(4) ابن جابر البتانى: هو أبو عبد الله بن جاب بن سنان البتانى (240 - 317ه/ 854 - 929م)، عالم فلكى مسلم ولد فى مدينة بتان من نواحى حران، وهو عالم فلكي من أعلام العلوم الطبيعية المسلمين، يسميه علماء أوروبا (Albategni) وسموه أيضًا (Albatenius)، وقد عاش فى عصر ازدهار العلوم وتنقل بين الرقة وأنطاكية واشتغل برصد الكواكب فى الفترة بين عامين 264 - 306ه، وقيل عنه أنه من أهم عشرين عالمًا فلكيًا عرفهم التاريخ الإنسانى وذلك لاكتشافاته المهمة فى علم الفلك، فهو أول من اكتشف حركة الأوج الشمسى، وأول من اكتشف تقدم المدار الشمسى وانحرافه، كما كان له كسوف والخسوف. لمزيد من التفاصيل انظر: الزركلى: مصدر سابق، ج6، ص68.

(5) أبى الريحان البيرونى: هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى، ولد سنة 362ه/ 973م، بضاحية من ضواحى خوارزم، وقد صنف العديد من الكتب والمصنفات مثل: (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذوله، وكتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية، وكتاب الاستيعاب فى صنعة الاسطرلاب، وكتاب التفهي فى صناعة التنجيم)، وغيرها من المؤلفات العديدة فى هذا العلم، وقد استطاع البيرونى تقدير محيط الكرة الأرضية، وابتكار نظرية خاصة لتقدير النسبة التقريبية لحساب مساحات ومحيطات الدوائر. لمزيد من التفاصيل انظر: ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج5.

الأطوال وغير ذلك، كما كان علم النجوم ويسمى بالعربية (التنجيم) وباليونانية (إصطرنوميا)(1) وهذا العلم لدراسة أحوال الكواكب والرغبة فى استكشاف المغيبات الذى استهوى قديمًا ميول الرؤساء والكبراء وملوك المسلمين وغير المسلمين بالسواء، فهذا إبراهيم بن الأغلب يرسل السفراء لاستقدام العلماء المتخصصين من العراق ومصر ويبذل الأموال الكثيرة فى سبيل ذلك لولوعه بعلم الفلك(2).

ومن علماء المغرب الأدنى الذين اهتموا بعلوم الفلك: **أحمد بن زياد الفارسى** (ت: 319هـ/931م)، صاحب الوثائق بالقيروان، كان له كتب فى الوثائق والشروط وفى مواقيت الصلاة(3). ومنهم **ابن مسرور التجيبى** (ت: 346ه/957م) هو عبد الله بن أبى هاشم مسرور التجيبى أبو محمد، قرأ على عيسى بن مسكين، ورحل فى طلب العلم وسمع بمصر وغيرها، وأخذ عنه ابن أبى زيد والقابسى، ومن مؤلفاته "المواقيت ومعرفة النجوم والأزمان"(4).

ومنهم **أبو سهل دونش** (ت: 360هـ/971م) هو أدنيم بن تميم ويلقب بالشفلجي، ولد بالقيروان فى أواخر القرن الثالث الهجرى وتلقى العلم على الطبيب اسحاق بن سليمان وتخرج عليه فى الطب والفلسفة والحساب والنجوم، وله مؤلفات كثيرة فى الحساب والنجوم والطب ومنها: [كتاب فى الفلك وحركة الكواكب، ومصنفًا كبيرًا فى علم الفلك](5).

وبرع فى علوم الفلك فى هذه الفترة **ابن التبَّان** (ت: 371ه/981م) هو أبو محمد عبد الله بن اسحاق بن التبان، فقد كان متفننًا فى علوم شتى منها النحو والرياضيات والطب وتفسير الأحلام كما كان بارعًا فى علم النجوم، وقد ضربت إليه أكباد الإبل من الأمصار لعلمه. ومن كبار علماء الفلك المعروفين **الفريانى** (ت: 385هـ/995م) هو محمد بن عبد الله بن

(1) الخوارزمى (أبى عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمى، ت: 387ه/996م): "مفاتيح العلوم"، تحقيق: محمد كمال الدين الأدهمى، طباعة: عثمان خليل، ط: الأولى، 1349ه - 1930م، ص123.
(2) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ج1، ص277؛ د/ محمد محمد زيتون: مرجع سابق، ص401 - 404.
(3) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص204.
(4) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص57 - 59؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص423 - 424.
(5) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ج1، ص297 - 300.

محمد العتقى، وله تصانيف كثيرة فى علم الفلك[1].

وتتلمذ **نسيم بن يعقوب القيروانى** (ت: 398ه/1008م) على اسحاق بن سليمان وادنيم بن تميم وقد فاق معظم أقرانه الذين كانوا يتلقون العلم معه خاصة فى علم الهيئة وحركة الكواكب، وقد بلغت شهرته وتفوقه إلى العراق والأندلس حتى صار اليهود فى الأندلس ومصر والعراق يستفتونه في ديانتهم وخاصة فى حساب مواقيت أعيادهم ومعرفة سنى تاريخهم. واشتغل بالفلك **أبو الحسن الإفريقى** (ت: 1010/400م) هو أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقى، اشتهر بالأدب والفلك والتنجيم[2].

واشتهر بعلم الفلك **ابن أبى الرجال** (ت: بعد 427ه/ 1037م) هو على بن أبى الرجال الشيبانى مربى المعز بن باديس الشهير، ورئيس ديوان الإنشاء فى عهده، كانت له مكانته فى علم الفلك، وله فيه مؤلفات قيمة تجاوزت شهرتها بلاد المغرب فعُرف فى أوربا باسم Albohazen أو Albohacen، وأهم هذه المؤلفات كتاب باسم [البارع فى أحكام النجوم] مخطوطًا وقد تُرجم إلى عدة لغات، كما ألَّف منظومة [الدلالات الكلية على الحركة الفلكية] فى علم الفلك، وله أيضًا [أرجوزة فى دليل الرعد] ومراسلات فلكية أخرى[3].

وقد صنَّف **أبى الحسن على بن محمد بن المنمر** (ت: 432ه/ 1040م) فى علم الفلك وقال التجانى عنه: "وله تئاليف فى الحساب والأزمنة وغير ذلك"، مع اتساع معارفه فى علوم شتى.[4] وكذلك **ابن سفيان** - هو أبو على الحسن بن أبى بكر بن سفيان الصيرفى - كان له فى النجوم نظر جيد[5].

وممن كان مغرمًا بهذه العلوم من الأمراء **الأمير يحيى بن تميم** (ت: 509ه/ 1116م)، كانت ثقافته تجمع بين الأدب وعلم الفلك والكيمياء، وكان له مخبرًا فى قصره بالمهدية سماه (بدار العمل)، فكان مولعًا بالفلك والكيمياء[6].

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص88 - 96.
(2) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ج1، ص26.
(3) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص295؛ القلقشندى: مصدر سابق، ج14، ص366 وما بعدها؛ سعد زغلول: مرجع سابق، ص382.
(4) رحلة التجانى، ص265.
(5) ابن رشيق: مصدر سابق، ص99 - 101.
(6) ابن عذارى، ج1: مصدر سابق، ص304 وما بعدها؛ حسن حسنى عبد الوهاب: كتاب العُمُر، ج1، ص40.

ويتضح مما سبق مدى أهمية علم الفلك فى دولة بنى زيرى حيث احتل مكانة خاصة عند علماء وأمراء بنى زيرى.

4- علم الكلام:

ظهرت فى مطلع القرن الثانى الهجرى آراء مختلفة ونحل متباينة، ومنها ما سُميَ بعلم الكلام والذى أقام المعتزلة قواعد بنيانه[1]، وتكلموا فى أن الكلام صفة لله أو ليس بصفة، وفى أن القرآن الكريم مخلوق أو غير مخلوق، كما تكلموا فى أن أوصاف الله تعالى معان غير الذات[2]، أو هى والذات معنى واحد، لأن الله سبحانه وتعالى لا يعرف إلا بصفاته، وتكلموا هم وغيرهم من الجبرية في القدر، وفى إرادة الإنسان بجوار ما قدره الله سبحانه وتعالى، ثم مسألة الإمامة التى قام الجدل حولها بين الشيعة والخوارج وغير ذلك من مسائل علم الكلام، وانعكس ذلك على الحياة العقلية فى بلاد المغرب وما كان يدور فى المشرق من مناقشات أثارتها الفرق المختلفة من مرجئة ومعتزلة وقدرية وخوارج[3].

وكانت إفريقية تزخر بكل هذه الأفكار العقائدية المختلفة[4]، رغم ميل أكثر الناس إلى آراء أهل السنة والأخذ عنهم واعتقادهم أن ذلك هو الطريق الأسلم فى العقيدة[5]، إلا أنه قد وجدت بالقيروان المذاهب المختلفة إلى جوار مذهب أهل السنة، مما كان له أكبر الأثر فى عقد المناظرات والمجادلات العقائدية، وكان من أهل السنة من هو عارف بأصول الديانات وألّف كتبًا في الرد على النصارى وأهل الشرك وأهل البدع، مما دل على دراسة الأديان بمدينة القيروان فى هذه الفترة[6].

---

(1) د/ على بن سعد بن صالح الضويحى، "آراء المعتزلة الأصولية دراسةً وتقويمًا"، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1415هـ - 1995م، هامش ص402.
(2) الطبرى (أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، ت: 224 - 310هـ/ 839 - 922م): "تاريخ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان، ج11، ص446.
(3) الخطيب الشربينى (شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربينى الشافعى، ت: 977هـ): "الاقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع"، دراسة وتحقيق: الشيخ/ على محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الجواد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، 1425هـ - 2004م، ص10.
(4) فيصل قزاز الجاسم: "حقيقة الخوارج فى الشرع وعبر التاريخ"، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط: الأولى، 1426هـ - 2005م، ص25 وما بعدها.
(5) د/ خالد كبير علال: "الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث خلال القرنين 5 - 6هـ"، دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، ط: الأولى، 1426هـ - 2005م، ص7.
(6) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص91 - 93.

وكان من شيوخ المعتزلة في القيروان **سليمان الفراء** (ت:312هـ/924م) هو سليمان بن حفص بن أبى عصفور شهر الفراء أبو حفص، من أبناء القيروان، كان فى بداية أمره يقلد آراء أبى حنيفة وأصحابه، ثم مال إلى الاعتزال، واعتنى بعلم الكلام وبرع فيه وكان بارعًا في التأليف وجيد المناظرة، ورحل إلى العراق واختلط بمجالس المعتزلة، ثم عاد إلى القيروان وقد التف حوله مجموعة من طلبة العلم وممن يميل إلى المناظرة والجدل، فلقنوا عنه آراء المتكلمين ومهروا فيها وراجت وقتئذٍ الدعوة للاعتزال فى إفريقية[1].

ومنهم **أبو اسحاق المعروف بالعمشاء**، عرف بالعمشاء لأنه أعمش العينين يذهب إلى خلق القرآن ويناظر فيه المناظرة الشديدة وله فى ذلك أصحاب وأحزاب، صحب ابن عبدون وغيره من رجال العراقيين. ومنهم **أبو الفضل المعروف بابن ظفر**، كان يقول بخلق القرآن ويناظر فيه، وكان كثير التصرف مجادلاً، وكان من أهل الرسوخ فى علم الطب، كما كان شاعرًا وأديبًا[2].

ومن علماء الكلام والقول بخلق القرآن **ابن الكلاعى** (ت: ق4هـ/10م)، هو محمد بن الكلاعى من أهل القيروان، وهو من علماء الحنفية وانتحل القول بخلق القرآن وكان داعية إليه ويناظر ويجادل من يخالفه من أهل السنة[3].

ومنهم **أبو بكر بن القمودى**، وهو رجل فى سماط العطارين كان يعرف بالقمودى ذكر الخشنى بأنه بصيرًا بوجوه الكلام والمناظرة وصحب سعيد بن الحداد.[4] ومنهم أيضًا **ابن أبى روح الملبق بالبغلة**، كان يقول بخلق القرآن[5].

ومع قيام الدولة العبيدية فى شمال إفريقيا اشتد النزاع بين أهل السنة وبين الشيعة، وزادت المناقشات والمناظرات، وحافظ علماء السنة على العوام من عدم الانقياد لمذهب الشيعة، فحملوا لواء الدفاع عن السنة ودافعوا الشيعة بالحجة وردوهم بالكتاب والسنة ولم يتراجعوا عن مذهبهم

---

(1) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص85؛ ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، ص398؛ ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص119.
(2) الخشنى: طبقات علماء إفريقية، ص76.
(3) الخشنى: المصدر السابق، ص76.
(4) الخُشني (أبى عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشنى، ت: 366هـ/977م): "قضاة قرطبة وعلماء إفريقية"، راجعه: السيد عزت العطار الحسينى، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط: الأولى، 1372هـ - 1953م، ص280.
(5) طبقات علماء إفريقية: ص77.

رغم كل ما عانوه من اضطهاد[1].

ولم يزل علماء السنة فى مناظرات مع أهل الجدل والكلام فهذا **القلانسى** (ت: 361هـ/971م) هو أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيدى، كان رجلًا صالحًا فاضلًا عالمًا بالكلام، والرد على المخالفين للسنة، له فى ذلك تواليف حسنة، وله كتاب فى الإمامة والرد على الرافضة، سمع على فرات بن محمد ومحمد بن عبادة السوسى، وخلق كثير وروى عنه الداودى وغيره، وامتحن على يدى أبى القاسم بن عبيد الله الرافضى الذى ضربه سبعمائة سوط، وحبسه فى دار البحر أربعة أشهر[2].

ومن أشهر المدافعين عن السنة ضد أهل البدع والأهواء **أبو محمد عبد الله بن أبى زيد** (ت: 386هـ/996م) كان عالمًا ثبتًا ثقة، تلقى العلم على شيوخ القيروان، فكان له علمًا واسعًا وحافظة قوية حتى صار إمام المالكية فى وقته، دافع عن مذهب المالكية ضد أهل الأهواء مع اتصافه بالصلاح والورع والعفة وفصاحة القلم واللسان، وقد ذاعت شهرته وأقبل عليه الطلاب من كل مكان ليغترفوا من علمه ومعرفته، وسمع منه خلق كثير، ولقد عرف معاصروه قدره فقال عنه أبو الحسن القابسى: "إنه إمام موثوق به فى درايته وروايته"، واستجازه ابن مجاهد البغدادى وغيره من أصحابه ولقد لقبه علماء عصره بمالك الصغير لرجوعه بالفقه إلى صفائه العلمى وإبعاده عن قيود الجدليات والعصبيات[3].

كما رد على المعتزلة والقدرية وكتب فى أصول التوحيد وبيان المعرفة واليقين الحق، ومؤلفاته تربو على الثلاثين، منها كتاب النوادر والزيادات على المدونة وكتاب مختصر المدونة وعلى كتابيه هذين المعول بالمغرب فى الفقه، وكتاب الإقتداء بأهل السنة وكتاب الذب عن مذهب مالك وكتاب الرسالة وهو مشهور، ورسائل عديدة منها رسالة النهى عن الجدال، ورسالة فى الرد على القدرية ومناقضة رسالة البغدادى المعتزلى وكتاب الاستظهار فى الرد على الفكرية وكتاب كشف التلبيس فى مثله ورسالة الموعظة والنصيحة، ويوجد فى مكتبة القيروان

---

(1) القاضى عياض: مصدر سابق، ج3، ص486.
(2) القاضى عياض: المصدر السابق، ص680؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص268؛ محمد بن مخلوف: مصدر سابق، ج1، ص94.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص109 - 121؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج17، ص10 - 13؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص220.

العتيقة العديد من كتب ابن أبى زيد[1].

ويذكر ابن أبى زيد أن ما يجب اعتقاده أن لله تعالى الأسماء الحسنى وهى غير محصورة فى التسعة والتسعين اسمًا الواردة فى الحديث وأن له الصفات العلى، أى المرتفعة عن كل نقص، وأنه لم يزل سبحانه بجميع صفاته وبأسمائه، ومعنى لم يزل عبارة عن القدم. وفى هذا رد على المعتزلة والرافضة الزاعمين بأن الله تعالى كان فى أزله بلا اسم ولا صفة وأن عباده هم الذين خلفوا له الأسماء والصفات، تعالى الله عن ذلك، كما يقولون أن صفات الأفعال كالخلق والرزق والإحياء والإماتة قديمة كذلك. على عكس ما ذهب الأشعرى ن أنها حادثة لأنها متجددة من حيث أنها إضافات تعرض للقدرة وفرق بينها وبين صفات الذات القديمة. ومما يجب اعتقاده أن الله تعالى كلَّم موسى بكلامه القديم الذى هو صفة ذاته وأن كلامه ليس بصوت ولا حرف يسمع من كل جهة بكل جارحة وأن القرآن كلام الله القائم بذاته وليس بمخلوق، وقد استمر ابن أبى زيد يؤدى واجبه فى العلم والتعليم والزود عن السنة وأهلها ورد شبه أهل البدع إلى أن أدركته الوفاة سنة 386هـ/996م فى نفس السنة التى توفى فيها الأمير الزيرى المنصور بن بُلكين[2].

ويُعد **أبو بكر المرادى** (ت: 489هـ/1096م) من علماء السنة البارعين فى علم الكلام والأصول، وهو محمد بن الحسن الحضرمى، قرأ على ابن أبى زيد، وبرع فى علم الكلام، ثم تحول عند الزحفة الهلالية إلى بلاد الأندلس[3].

هكذا تصدى علماء الكلام من أهل السنة لآراء المعتزلة وضلالات العُبيديين، وأسهموا فى تصحيح العقيدة.

---

(1) ابن فرحون المالكى: مصدر سابق، ص429 وما بعدها.
(2) د/ محمد محمد زيتون: مرجع سابق، ص349.
(3) ابن بشكوال: الصلة، ص572.

الفصل الخامس

الصلات الثقافية بين المغرب الأدنى والعالم الإسلامي

- أولًا: الصلات الثقافية مع المغرب الأقصى
- ثانيًا: الصلات الثقافية مع الأندلس
- ثالثًا: الصلات الثقافية مع مصر
- رابعًا: الصلات الثقافية مع بلاد الحجاز (مكة والمدينة)

أصبحت مدن المغرب الأدنى دار ملك بنى زيرى منارة للإشعاع الثقافى، لذلك اجتمع فيها من فضلاء العلماء وصلحاء الأولياء والفقهاء والأطباء والكتَّاب ومفلقى الشعراء والمهندسين والمنجمين وانضووا إليها من سائر البلاد ما جعلها قطر العلم بالغرب الإسلامى. ولما كانت واسطة بين المشرق والمغرب فقد عرّج عليها أو خيّم بها كثير من العلماء المجتازين والطلبة الراحلين، وأثاروا فى نفوس أهلها غرامًا للعلم وولعًا لاكتساب المعرفة، فعمروا وطنهم بأنواع المعارف والفنون[1].

فازدادت الصلات الثقافية بين بلاد المغرب الأدنى والأقطار الإسلامية أى ما بين مراكز العلم والإشعاع الثقافى بالمغرب الأدنى ومثيلاتها فى الشرق والغرب الإسلامى، مما ساعد على تنمية الحياة الثقافية التى تجددت من خلال التأثير والتأثر بين المغرب الأدنى وهذه الأقطار الإسلامية، وسوف نعرض للصلات الثقافية مع المغرب الأقصى، ثم نتناول الصلات الثقافية مع الأندلس، والصلات الثقافية مع مصر، وأخيرًا الصلات الثقافية مع بلاد الحجاز (مكة والمدينة).

(1) أبو البركات الميمنى: مرجع سابق، ص25 وما بعدها.

أولا: الصلات الثقافية مع المغرب الأقصى:

ظلت بلاد المغرب الإسلامى طوال فترات تاريخها الطويل مترابطة ومتواصلة فيما بينها من خلال روابط عدة أهمها الوحدة الطبيعية والجغرافية لتلك البلاد والتى كانت الأساس لهذا الترابط إلى جانب الروابط اللغوية والتى تمثلت فى اللغة العربية التى أصبحت اللغة الرسمية للغالبية العظمى من سكان بلاد المغرب، كما كانت حياة السكان الاجتماعية والاقتصادية قاسمًا مشتركًا لجميع السكان من العرب والبربر، أما الوحدة الثقافية المتمثلة فى العلوم الدينية فهى إحدى هذه الروابط الهامة، وإن وجدت الخلافات المذهبية، إلا أنها تنهل من معين واحد ألا وهو الإسلام، وما يتضمنه بمفهومه الشامل ودراساته الفقهية والأصولية والتفسير والحديث وغيرها من العلوم[1].

كانت مدن المغرب الأدنى وخاصة القيروان هي المركز الرئيسى للعلم والثقافة للمغرب الأقصى، وهى المنارة العلمية الأولى التى امتد إشعاعها إلى هذه البلاد، ولذلك لم يكن غريبًا أن نجد أبناء المغرب الأقصى يقصدون القيروان للتزود من العلوم والمعارف بها والتعلم على يد علمائها، فهذا **أبو ميمونة** (ت: 357ه/968م) هو دراس بن إسماعيل الفاسى الفقيه الحافظ النظار المعروف بالعلم والصلاح والدين المتين له رحلة حج فيها، وسمع من ابن أبى مطر كتاب ابن المواز ومن ابن اللباد وغيرهما، وسمع منه أعلام القيروان مثل أبى الحسن القابسى وابن أبى زيد القيروانى، وكان نزوله بالقيروان عنده، وهو أول من أدخل مدونة سحنون[2] مدينة

(1) صلاح عثمان: مرجع سابق، ص328.
(2) المدونة: هو كتاب فى الفقه المالكى عبارة عن نتاج لعمل مشترك وطويل، شرع فيه أسد بن الفرات (ت: 213ه/828م) بتجميع المسائل فى كتابه المسمى [الأسدية]، وأخرجه الفقيه المصرى عبد الرحمن بن القاسم (ت: 191ه/806م) بمعية أسد، وذلك عن طريق الإجابة عن المسائل حسب الفقه المالكي، ثم أعاد فيه النظر سحنون (ت: 240ه/854م) وهو الذى أتم إخراج المدونة على شكلها النهائى الذى وصلتنا عليه. فتذكر لنا المصادر أن سحنونًا قد أخذ نسخة من الأسدية وتوجه بها إلى ابن القاسم بمصر حوالى سنة 186ه/802م، وهناك عارضه بمسائل الأسدية، فرجع ابن القاسم عن كثير منها، فكان سحنون خير معين لإعادة النظر فى كتاب الأسدية. وارتباط اسم سحنون بالمدونة لقيامه بتبويبها وتذييلها بالأحاديث والآثار وأقوال أصحاب مالك واتسم عمله بالدقة والاتساق مع محتوى الفقرات، كما حرص سحنون فى المدونة على تتبع آراء مالك، فهى عودة إلى المالكية الأصيلة. لمزيد من التفاصيل انظر: المالكى: مصدر سابق، ج1، ص263 وما بعدها؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج3، ص181 وما بعدها.

فاس وبه اشتهر مذهب مالك هناك(1).

ومن علماء المغرب الأقصى الذين رحلوا إلى إفريقية **أبو محمد بن المحسود الهوارى** (ت: 401ه/1010م) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن المحسود الهوارى، رحل إلى القيروان ولقى ابن أبى زيد القيروانى واستفاد من تأليفه للنوادر (2)(3).

كما رحل إلى القيروان واستفاد من علمائها **أبو عبد الرحمن ابن العجوز** (ت: 413ه/1022م) هو عبد الرحيم بن أحمد ابن العجوز السبتى الفاسى العلامة الحافظ شيخ الفتيا إليه الرحلة بالمغرب، وله عقب نجباء بلغوا خمسمائة، وقد لازم ابن أبي زيد وحمل عنه كتبه وأخذ عن دراس والأصيلي وغيرهم، وروى عنه أبناؤه عبد العزيز وعبد الرحمن وعبد الكريم وقاسم ابن محمد الميمونى ومحمد بن عبد الرحمن بن سليمان وجماعة(4).

وكذلك كان ابنه الفقيه العالم الفاضل **عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن العجوز** (ت: 417ه/1026م) أخذ عن والده، حج واتجه إلى القيروان والتقى مع أبى اسحاق التونسى وأخذ عنه وعنه أخذ ابنه محمد(5).

وسمع **السبتى** (ت: 429ه/1038م) - هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن سعيد القيسى - بالقيروان على أبى محمد بن أبى زيد والداودى، وكان من أهل الزهد والانقباض والعناية بالعلم، فأخذ العلم بإفريقية والأندلس، ثم عاد إلى سبتة وتوفى بها(6).

وكذلك كان **أبو زيد عبد الرحمن بن العجوز** (ت: 510ه/1117م) هو أبو زيد عبد الرحمن بن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن العجوز، قد حج مع أبيه عبد الرحمن ودخلا القيروان وأخذا

(1) محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص103.
(2) النوادر والزيادات: هو كتاب في الفقه المالكي للفقيه محمد بن أبي زيد القيروانى (ت: 386ه/996م)، وهو بمثابة تكملة للمدونة، ليكون كتابًا جامعًا لما افترق فى الفوائد وغرائب المسائل وزيادات المعانى على ما فى المدونة، فالنوادر تشتمل على مسائل فقهية وفتاوى يعود جلها إلى القرن الثانى الهجرى، فهى تدقيق لآراء علماء هذه الفترة، ومحاولة للربط من جديد بالشرق السنى فيما تخضع إفريقية آنذاك للفنوذ الفاطمى، وقد زادت أجزاؤه عن المائة جزء. لمزيد من التفاصيل انظر: الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص111؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص429؛ محمد بن مخلوف: مصدر سابق، ص96.
(3) نجم الدين الهنتاتى: مرجع سابق، ص132.
(4) محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص115.
(5) محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص115.
(6) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج1، ص86 وما بعدها.

عن أبى اسحاق التونسي، وأبو زيد هذا كان عالمًا فاضلًا فقيهًا ثقة كاملًا أخذ عن والده وعنه أخذ القاضى عياض وغيره[1].

وهناك العديد من أبناء المغرب الأقصى من دخل المغرب الأدنى ثم أكمل رحلته فى طلب العلم إلى المشرق فتلقى العلم والمعارف ثم عاد استقر بها وشارك فى الحياة الثقافية، ومن هؤلاء **أبى عمران الفاسى** (ت: 430ه/1039م) هو موسى بن عيسى بن أبى حاج الغفجومى الفاسي القيروانى الفقيه الحافظ، كان يقرأ القرآن بالسبع ويجوده مع معرفة بالرجال، استوطن القيروان وحصلت له بها رئاسة العلم، تفقه بأبى الحسن القابسى ورحل لقرطبة وتفقه عند الأصيلى، وأحمد بن قاسم، ورحل للشرق وأخذ بمصر القراءات على أبى الحسن عبد الكريم بن أحمد ابن أبى جدار، وحج حجات كثيرة ودخل العراق فسمع من أبى الفتح بن أبى الفوارس والمستملى، درس الأصول على أبى بكر الباقلانى، وسمع من أبى ذر الهروى، أخذ عنه الناس من أقطار واستجازه من لم يلقه، منهم ابن محرز وعتيق السوسى وأبو القاسم السيورى، له كتاب التعليق على المدونة كتاب جليل لم يكمل، توفى بالقيروان وصلى عليه عتيق السوسى بوصية منه ودفن بداره[2].

ومن علماء المغرب الأدنى من استقر بالمغرب الأقصى لنشر العلم والنفع به، ومن هؤلاء **الخُشنى** (ت: 371ه/981م) هو أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشنى القيروانى ثم الأندلسى الفقيه الحافظ المؤرخ، تفقه بالقيروان على أحمد بن نصر وأحمد بن يوسف وابن اللباد والممسى وغيرهم، وتفقه به عبد الرحمن التجيبى وغيره، وعندما دخل سبتة حبسه أهلها عندهم وتفقه عليه قوم منهم، ثم رحل إلى قرطبة واستوطنها وبها توفى وله تآليف حسنة منها:

- كتاب "الاتفاق والاختلاف فى مذهب مالك".
- وكتاب "رأى مالك الذى خالفه فيه أصحابه".
- وكتاب "الرواة عن مالك".
- وكتاب "طبقات فقهاء المالكية.
- وكتاب "مناقب سحنون".

---

(1) محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص124.
(2) الحميدى: مصدر سابق، ج2، ص537؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص159 - 164؛ محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص106.

- وكتاب "التعريف والمولد".
- وكتاب "الاقتباس".
- وكتاب "القضاة بقرطبة
- وكتابه الشهير "طبقات علماء إفريقية" وهو كتاب غاية فى الأهمية حيث يتضمن تراجم علماء وقضاة ومجادلين[1].

وكذلك العالم والفقيه **أبو جعفر الداودى** (ت: 402هـ/1010م) - هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودى الأسدى - كان مشاركًا فى الحديث والنظر واللسان، حمل عنه أبو عبد الملك البونى وأبو بكر أحمد بن أبى عمر بن أبى محمد بن أبى زيد، وله العديد من المؤلفات فى الفقه والحديث منها "النامى فى شرح الموطأ، وكتاب الواعى فى الفقه، والإيضاح فى الرد على القدرية" وغير ذلك، وقد رحل من المغرب الأدنى فى رحلات عدة واستقر به المقام فى تلمسان بالمغرب الأوسط وتوفى بها[2].

لم يقتصر تأثير المغرب الأدنى برحيل بعض العلماء إلى المغرب الأقصى، فقد رحلت مؤلفاتهم وأصبحت من مقررات الدراسة، فهناك كتاب الرسالة لابن أبى زيد القيروانى والذى قام بتدريسه **القبرى** (ت: 406ه/1015م) - هو أبو بكر بن محمد الحصار القرطبى - بسبتة[3].

ويتضح مما سبق استمرار الصلات الثقافية بين بلاد المغربين الأدنى والأقصى، ما بين التأثير والتأثر فى شتى الميادين الفكرية والثقافية، مما كان له أكبر الأثر فى تطوير وازدهار الحياة الثقافية بشكل متميز بين البلدين.

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص81. محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص94 وما بعدها.
(2) القاضى عياض: مصدر سابق، ج1، ص18؛ محمد محمد مخلوف: مصدر سابق، ص110 وما بعدها؛ ناصر الدين محمد الشريف: مرجع سابق، ص81.
(3) القاضى عياض: مصدر سابق، ج4، ص676.

ثانيًا: الصلات الثقافية مع الأندلس:

أما عن الصلات الثقافية بين بلاد المغرب الأدنى وبلاد الأندلس، فقد أعان على توطيد هذه الصلات موقع بلاد الأندلس والذى يواجه بشواطئه شواطئ بلاد المغرب، فضلًا عن تمسك غالبية الأندلسيين بالمذهب المالكى، وجروا فى أحكامهم على قواعده، كما هو متبع ببلاد المغرب الأدنى، ومما وطد من الصلات بين البلدين مرور كثير من أبناء الأندلس بمدن المغرب الأدنى فى رحلتهم إلى الشرق سواء كانت للحج أم الدراسة خاصة وأن الرحلات المتتابعة لأبناء الأندلس للقيروان ولعلماء المغرب الأدنى فى هذه الفترة كانت من كل بقاعه ومن شتى أرجائه للتزود من علمائها فى شتى العلوم والفنون.

ويكفى أن نذكر أن ابن الفرضى ترجم لأكثر من مائة عالم رحل من الأندلس إلى مدن المغرب الأدنى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين فى كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، وكذلك صاحب جذوة المقتبس وغيرهم من أصحاب كتب الطبقات والتراجم، وذلك لتلقى العلم على علماء القيروان ممن تمسكوا بالمذهب المالكى، فرحل إلى المشرق **أبو محمد الأنصارى**، هو عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر، فقيه ومحدث زاهد، رحل من الأندلس قبل 380هـ/990م فتفقه بالقيروان، وسمع من أبى محمد بن أبى زيد وطبقته، ثم أكمل رحلته للمشرق ومات ببيت المقدس[1].

وكذلك المحدث **أبو عمرو السفاقسى** - عثمان بن أبى بكر بن حمود الصدفى - فقد رحل إلى المشرق وعرف كثيرًا من أخبار البلاد ومن فيها من أهل الرواية والعلم، ووصل المغبر عام 436هـ/1044م، ثم الأندلس ثم عاد إلى إفريقية، ومات مجاهدًا فيها[2].

واستوطن إفريقية **أبو عبد الملك البونى** (ت: قبل 440هـ/ 1048م) هو مروان بن محمد الأسدى، أصله من الأندلس، رحل إلى القيروان وطلب العلم بها، ثم استقر ببونة من بلاد إفريقية فسكنها ونُسب إليها وبها مات، وكان فقيهًا محدثًا، وله كتاب كبير شرح فيه الموطأ[3].

كما روى **محمد بن نعمة الأسدى الأندلسى** (ت: 481هـ/ 1088م)

---

(1) الحميدى: مصدر سابق، ج2، ص420.
(2) المصدر السابق، ج2، ص481.
(3) الحميدى: المصدر السابق، ج2، ص546.

بالقيروان عن أبى عمران الفاسى ومروان بن على البونى، وكان مهتمًا بالعلم عالمًا بالعبارة، وجمع فيها كتبًا، واستوطن المرية[1].

وذكرت العديد من المصادر الكثير من الطلاب والعلماء الذين قدموا إلي بلاد المغرب الأدنى وتلقوا العلم علي علمائها وقد أتوا من كافة مدن الأندلس، فمن **قرطبة**[2] وفد إلى إفريقية **أبو العريف** (ت: 390ه/1000م) هو حسن بن وليد بن نصر، كان نحويًا عالمًا بالعربية وسمع بمصر وإفريقية ثم عاد إلى الأندلس[3].

وكذلك **أبو زيد العطار**، هو عبد الرحمن بن يحيى بن محمد، من قرطبة وتفقه بالقيروان على أبى الحسن على بن مسرور الدباغ، وحدَّث عنه أبو عمران الفاسى[4].

وسمع بإفريقية **يحيى بن اسحاق بن يحيى المعروف بالرقيعة** (ت: 393ه/ 1003م) من يحيى بن عمر، وألف الكتب المبسوطة فى اختلاف أصحاب مالك وأقواله[5].

ورحل إلى إفريقية **أحمد بن سعيد بن دينال الأموى** (ت: 435ه/ 1043م)، ولقى أبا محمد بن أبى زيد بالقيروان فأخذ عنه مختصره فى المدونة وغير ذلك من مصنفاته، وكان حليمًا ثقة اهتم بالرواية والعلم[6].

ومن أهل العلم والحديث **عبد الملك بن حسين التميمى** (ت: 456ه/ 1064م) هو عبد الملك بن زيادة الله بن على، من بيت علم وأدب روى بقرطبة، وكان له رحلتان إلى المشرق، كتب فيهما عن جماعة من أهل العلم بمكة مصر والقيروان، وكان له عناية تامة بالعلم والحديث، كما برع فى الأدب والشعر[7].

كما كانت **إشبيلية**[8] له نصيب من علمائها الذين وفدوا إلى المغرب

---

(1) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج1، ص241.
(2) قرطبة: هى مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وبها كان ملوك بنى أمية، وبينها وبين البحر خمسة أيام. لمزيد من التفاصيل انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج4، ص324 وما بعدها.
(3) الضبى: مصدر سابق، ص100.
(4) الحميدى: مصدر سابق، ج2، ص443.
(5) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص160 وما بعدها.
(6) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج1، ص91 وما بعدها.
(7) المصدر السابق، ج1، ص456 - 459.
(8) إشبيلية: هى مدينة كبيرة عظيمة بالأندلس، وكانت فى القدم قاعدة ملك الروم. وإشبيلية قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف، وهو جبل كثير الشجر والزيتون، وهى على شاطئ عظيم تسير فيه المراكب المثقلة يقال له وادى الكبير. لمزيد من

الأدنى لتلقى العلوم، فاستوطن إفريقية **أحمد بن سعدى الإشبيلى**، رحل إلى القيروان حوالى 380هـ/990م، ولقى أبا محمد بن أبى زيد، واستقر بالمهدية واستوطنها ومات بها ودفن بمقبرة المنستير[1].

كما استوطن المحدث **عمر بن يوسف أبو حفص** إفريقية فرحل إلى القيروان وسمع بها، ثم رحل إلى مصر وسمع بها ثم عاد القيروان فأقام بها حتى مات، وقد روى أبو عمران الفاسى حديثًا من طريقه[2].

ومن **سرقسطة**[3] كان **الوليد بن بكر الغمرى** (ت: 392ه/ 1002م) هو الوليد بن بكر بن مخلد أبو العباس الغمرى، عالم فاضل رحل فطلب العلم بإفريقية، وسمع بأطرابلس المغرب على ابن زكرون، ثم أكمل رحلته إلى المشرق لطلب العلم[4].

ومن **طُليطُلة**[5] رحل إلى بلاد المغرب الأدنى **ابن غلبون** (ت: 372ه/982م) هو عبد الله بن محمد بن أمية الأنصارى، وسمع بها من أبى عبد الله محمد بن أبى منظور القروى، وكان ثقة[6].

وكذلك **ابن المشكيالى** (ت: 400/ 1010م) - هو محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الخشنى - رحل لأداء الفريضة، وأخذ بالقيروان عن أبى محمد بن مسرور وكتب عنه، فكان حافظًا للمسائل والرأى[7].

ومن أهل العلم والفهم ورواية الحديث **ابن ميمون** (ت: 400ه/1010م) هو أحمد بن محمد بن عبيدة الأموى، من أهل طليطلة سمع بها وبقرطبة، ثم رحل إلى المشرق سنة 380ه/990م مع صاحبه أبى اسحاق بن شنظير، فحج وسمع بمكة والمدينة والقلزم ومصر، وفى

التفاصيل انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج1، ص195.

(1) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج1، ص71.

(2) الحميدى: مصدر سابق، ج2، ص480.

(3) سرقسطة: بفتح أوله وثانيه ثم قاف مضمومة وسين وطاء مهملتان. هى بلد مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تُطيلة، ذات فواكه عديدة، مبنية على نهر كبير، اشتهرت بالثياب المنسوجة الرقيقة والتى تعرف بالسرقسطية. لمزيد من التفاصيل انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج3، ص213.

(4) الحميدى: مصدر سابق، ج2، ص576 - 578.

(5) طُليطُلة: هى مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة من مدن الأندلس تقع على جبل عال بناؤها من حجارة، وحولها نهر عظيم يقارب فى الكبر دجلة، واسم النهر تاجه. لمزيد من التفاصيل انظر: الكرخى: مصدر سابق، ص42؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج4، ص39 وما بعدها.

(6) الضبى (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، ت:599ه/1205م): "بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس"، دار الكتاب العربى، 1967م، ص196 وما بعدها.

(7) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص110 - 112.

طرابلس الغرب سمع من أبى جعفر المؤدب وبالقيروان من أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد البكرى والذى يعرف بابن الصقلى، وأبى بكر بن عزرة، وأبى محمد بن أبى زيد، فكان حافظًا لرأى مالك وأصحابه[1].

واشتهر بالعلم والورع مع الرحلة فى طلب العلم **ابن بهلول الصدفى** (ت: 403ه/ 1012م) هو عبد الرحمن بن عثمان بن ذنين من أهل طليطلة، رحل إلى المشرق سنة 381ه/991م، فحج ولقى العلماء بمكة ومصر وكذلك بالقيروان لقى أبا محمد بن أبى زيد وأبا جعفر بن دحمون وغيرهما، وكان له سماع كثير وعناية بالحديث، وشهر بالعلم والعمل والفضل والورع، وله تواليف كثيرة[2].

ومن **تُطيلة**[3] بالأندلس رحل إلى المغرب الأدنى **أبو الأصبغ** (ت: 386ه/996م) هو عيسى بن موسى بن أحمد بن يوسف الأموى، وسمع بالقيروان من أبى قاسم بن الصقلى وغيره[4].

ومن فقهاء **بياسة**[5] وعلمائها الذين رحلوا لطلب العلم بالمشرق **محمد بن أحمد الريوالى،** (ت: 480ه/ 1087م) قاضى بياسة فقد اتجه إلى القيروان وأخذ عن الفقيه أبى بكر محمد بن الناطور المدونة فسمَّعها عليه في داره بالقيروان سنة 432ه، كما أخذ عن أبى بكر أحمد بن عبد الله بن أبى زيد[6].

ومن علماء **طلمنكة**[7] من أخذ العلم بالقيروان مثل **أبو عمر بن قزلمان الطلمنكى** (ت: 429ه/ 1038م) هو أحمد بن محمد بن يحيى المعارفى، سكن قرطبة ورحل إلى المشرق، فحج ولقى بالقيروان أبا محمد ابن أبى زيد وأبا جعفر أحمد بن دحمون وغيرهما، وانصرف إلى

---

(1) المصدر السابق، ج1، ص54 - 57.
(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص405 وما بعدها.
(3) تُطيلة: مدينة بالأندلس فى شرقى قرطبة، وهى غزيرة المياه كثيرة الأشجار والأنهار، اختطت فى أيام الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن بن معاوية، وبين تُطيلة وسرقسطة سبعة عشر فرسخًا. لمزيد من التفاصيل انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج2، ص33.
(4) الضبى: مصدر سابق، ص275 وما بعدها.
(5) بياسة: ياء مشددة، مدينة كبيرة بالأندلس، زعفرانها هو المشهور فى بلاد المغرب. لمزيد من التفاصيل انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج1، ص518.
(6) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج1، ص187 وما بعدها.
(7) طلمنكة: بفتح أوله وثانيه وبعد الميم نون ساكنة وكاف، هى مدينة بالأندلس، اختطها محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، ونسب إليها جماعة من العلم. لمزيد من التفاصيل انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج4، ص39.

الأندلس بعلم كثير، فكان أحد الأئمة في علم القرآن العظيم قراءاته وإعرابه وأحكامه، وجمع كتبا حسانًا كثيرة النفع[1].

ولا نغفل عن ذكر العلاقات الثقافية بين القيروان والأندلس عن طريق المراسلة فقد قال ابن عبد البر (ت: 463ه/1071م)[2] عن شيخه أحمد بن نصر الداودى القيروانى (402ه/ 1111م)، إمام المالكية "كتب إليّ... بإجازة ما رواه وألفه"[3].

ورحل من أطباء الأندلس إلى القيروان لتلقى العلم عن طبيبها ابن الجزار مثل **أبو حفص عمران ابن بريق الأندلسى**، فقد لازم ابن الجزار في القيروان فترة أخذ عنه فيها الطب وروى عنه تآليفه، وعاد إلى الأندلس فكان في خدمة الأمراء الأمويين وأدخل كتب أستاذه إلى الأندلس وقام بشرحها فتلقاها الأخصائيون فى الطب من مسلمين ويهود ونصارى ومنهم أبو داود سليمان بن حسان **المعروف بابن جلجل**[4] والطبيب الأندلسى الشهير **أبو مروان** (ت: 470ه/1077م) هو عبد الملك بن محمد بن مروان بن زُهر، من الأطباء الذين تعلموا ومارسوا مهنة الطب بالقيروان[5].

لم يقتصر وفود طلاب العلم والعلماء من الأندلس إلى المغرب الأدنى بل هناك من رحل من المغرب الأدنى إلى الأندلس واستوطنوها وبثوا فيها علمهم ومعارفهم، ومن هؤلاء العلماء **تميم بن محمد ابن أحمد التميمى** (ت: 369ه/979م) استوطن قرطبة وحدَّث فيها عن أبيه وعن عبد الله بن محمد الرحينى وجماعة سواهم وقد سمع منه الناس كثيرًا إلى أن توفى بها[6].

ومن علماء المغرب الأدنى **الخُشني** (ت: 371ه/981م) هو أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشنى، تفقه بالقيروان على أحمد بن نصر وأبى بكر بن اللباد وأبى الفضل عباس الممسى وغيرهم، وسمع بالأندلس من ابن أيمن وقاسم بن أصبغ وغيرهما، واستوطن بعد ذلك قرطبة، ودخل سبتة[7] قبل 320ه/932م، فحبسه أهلها عندهم وتفقه عليه قومٌ

---

(1) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج1، ص84 - 86.
(2) حاجى خليفة: مصدر سابق، ج2، ص1379.
(3) ليث سعود جاسم: مرجع سابق، ص507.
(4) صاعد بن أحمد: مصدر سابق، ص81.
(5) ابن جلجل: مصدر سابق، ص88 - 90.
(6) ابن الفرضى: مصدر سابق، ص99.
(7) سبتة: هى مدينة على البحر المتوسط، من المدن الهامة بالمغرب الأقصى، وتعتبر أجود مرسى على البحر، وهى مدينة حصينة ضاربة فى البحر تشبه فى ذلك

منهم، واستقر آخرًا بقرطبة وتولى الشورى بها وتمكن من ولى عهدها الحكم وألف له تآليف حسنة، منها: أصول الفتيا فى الفقه على مذهب الإمام مالك، وكتابه فى الاتفاق والاختلاف فى مذهب مالك، وكتابه فى تاريخ علماء الأندلس، وتاريخ قضاة الأندلس، وتاريخ الإفريقيين، وبعد موت الحكم آلت به الحال إلى الجلوس فى حانوت ليبيع الأدهان، وكان يتعاطى صناعة الكيمياء[1].

تلقى العلم بالقيروان **حباشة بن حسن اليحصبى** (ت: 374ه/ 984م)، على زياد بن عبد الرحمن بن زياد ومن إبراهيم بن عبد الله الزبيدى المعروف بالقلانسى ثم رحل إلى الأندلس فلزم العبادة ودراسة العلم والجهاد إلى أن توفى بقرطبة[2].

كذلك رحل من أهل القيروان إلى الأندلس **أبو محمد مكى بن أبى طالب** (ت: 437ه/1045م) هو مكى بن أبى طالب بن حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ أصله من القيروان وسكن قرطبة، وكان من الراسخين فى علوم القرآن واللغة، وكان كثير التواليف فى علم القرآن محسنا لذلك، مجودًا للقراءات السبع عالمًا بمعانيها[3].

ورحل إلى الأندلس من الشعراء **أبو الطاهر التجيبى** (ت: 450ه/ 1058) سكن المهدية وأخذ عن الحصرى والنهشلى ثم زار الأندلس، وكان عالمًا بفنون الأدب، متضلعًا فى اللغة، شاعرًا مجودًا وكاتبًا رقيقًا[4].

كما رحل إلى الأندلس الشاعر الشهير **أبو الحسن ابن رشيق** (ت: 456ه/ 1064م) كان نجمًا ساطعًا فى سماء الآداب العربية، وهو أحد نبغاء الثقافة الأدبية بإفريقية فى عهد بنى زيرى، درس على النهشلى فى المسيلة وابن سهل الخشنى، ولنبوغه التحق بدواوين رئيس قلم الإنشاء

المهدية، ونسب إليها جماعة من أعيان العلم، مثل ابن مرانة السبتى الذى كان من أعلم الناس بالحساب والفرايض والهندسة والفقه، ومن تلامذته ابن العربى الفرضى الحاسب. لمزيد من التفاصيل انظر: البكرى: مصدر سابق، ص102 وما بعدها؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج3، ص182 وما بعدها.

(1) المالكى: مصدر سابق، ج1، المقدمة، ص15م وما بعدها؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص81 - 83؛ الذهبى: العبر فى خبر من غبر، ج2، ص112؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص212 وما بعدها؛ حسن حسنى عبد الوهاب: العُمُر، ج2، ص397.

(2) ابن الفرضى: مصدر سابق، ص128.

(3) ابن خلكان: مصدر سابق، ج5، ص274؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 171 وما بعدها.

(4) السيوطى: بغية الوعاة، ج1، ص443.

ابن أبى الرجال، ثم قرَّبه المعز بن باديس إلى دائرة شعرائه وجلسائه، واشتهر بمنافسته لابن شرف، وكان له عدة مؤلفات أهمها كتابه الشهير "العمدة"[1].

ومثله فى ذلك الشاعر الكبير **ابن شرف** (ت: 460هـ/ 1067م)، هو محمد ابن سعيد ابن شرف الأجذابى، أحد من نظم قلايد الآداب، ولد بالقيروان حوالى سنة 390هـ/1000م، فرض نفسه كشاعر وناثر، وكانت المنافسة بينه وبين ابن رشيق شديدة، وكان المعز بن باديس ورجال بلاطه، يستمتعون بمناظرات الشاعرين، فارق ابن شرف القيروان إثر زحفة بني هلال، وتوجه إلى المهدية، وأقام بها عند تميم بن المعز إلى أن قصد صقلية، ثم توجه مع عائلته إلى الأندلس إلى أن توفى بها[2]. وكذلك توجه الشاعر **ابن فضَّال الحلوانى** إلى الأندلس وذلك بعد غزوة بنى هلال، وذاع صيته وتميز شعره بالروعة والرقة والبساطة[3].

نلاحظ أن أهل المغرب الأدنى والقيروان لم يرحل منهم أحد إلى الأندلس لأجل التعلم، ولكن العكس فكان أهل الأندلس هم الذين يأتون إلى القيروان لأجل التعلم، مما يدل على أن مدن المغرب الأدنى فى هذه الفترة كانت مركزًا ثقافيًا فى الغرب الإسلامى، وكانت بمثابة همزة الوصل بين المشرق الإسلامي وعلمه والمغرب الإسلامى بما فيها بلاد الأندلس، مما أدت إلى ذلك التواصل العلمى، وتمخض عن تلك العلاقة نشاطًا ملحوظًا فى الحياة العلمية والثقافية فى بلاد المغرب الأدنى والأندلس.

ثالثًا: الصلات الثقافية مع مصر:

ساعد انتقال الخلافة الفاطمية إلى القاهرة على توطيد هذه الصلات بين مصر والمغرب الأدنى، وإن كانت العلاقة حملت فى طياتها صراعًا واضطرابًا، إلا أنها كانت في ظاهرها تأخذ وفاق شكلى يدين فيه الأمير الزيرى بالولاء للخليفة الفاطمى فى القاهرة، والذى انتهج سياسة تضمن له مظاهر تبعية بنى زيرى دون التعارض مع ما كانوا يطمحون إليه من

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، ج4، ص597؛ أبو الحسن القفطى: مصدر سابق، ج1، 333 - 339؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج2، ص85؛ الصفدى: مصدر سابق، ج12، ص9.

(2) ابن بسام: مصدر سابق، ج4، 598 وما بعدها؛ ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص242؛ الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص193 وما بعدها؛ الصفدى: مصدر سابق، ج3، ص82 - 86.

(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص193 وما بعدها.

الاستقلال، فاستمرت العلاقات التجارية بين المغرب الأدنى ومصر كما كانت على مر العصور من خلال شبكة الطرق البرية والبحرية بين البلدين، وإلى جانب هذه العلاقات السياسية والتجارية كانت رحلات أداء فريضة الحج للمغاربة ومرورها بمصر تسهم فى التبادل الثقافى وتطور الحياة الفكرية، فكان الحجيج يتخذون من بعض المدن المصرية مكانًا للاستراحة والإقامة مدة ليست بقليلة للتزود بما يحتاجونه للسفر فأتاح ذلك لهم مقابلة العديد من العلماء بمصر، فكان ركب الحجاج المغاربة بعد طرابلس يستمر فى المسير متجهًا إلى الشرق حتى يصل إلى المدن المصرية فيقيمون فيها ويبيتون فى محارسها ويتدارسون العديد من الأمور والمسائل الفقهية من خلال حلقات النقاش ومجالس العلم، بل وكان العلماء والفقهاء يقومون خلال الرحلة بنسخ العديد من الكتب رغم المشقة والمعاناة للسفر، وكان الركب عادةً ما ينزل قريبًا من المساجد، فيلتقى بالعلماء والفقهاء والصلحاء، فنجد أن ركب الحجاج كان يمثل مدرسة قائمة بذاتها، حيث أنه لا يخلو من عقد الحلقات العلمية كلما حل أو ارتحل، فلم يشغل الركب عناء السفر عن المذاكرة والتزود بالعلم وقراءة أمهات الكتب خاصة الفقهية منها[1].

ولا نستطيع حصر كل من رحل للتعلم كما يقول المقرّى: "حصر أهل الترحال لا يمكن بوجه ولا حال"[2]، ونجمل منهم على سبيل المثال لا الحصر: **أبو القاسم السدرى** (ت: 361ه/972م) هو أبو القاسم زياد ابن يونس اليحصبى، كان عالمًا فقيهًا من أبهى المشايخ وأنورهم وجهًا وأحسنهم بهجة، وثقة كثير الكتب عارفًا بالرجال، طُلب للقضاء فامتنع. رحل إلى مصر وسمع من علمائها منهم محمد بن الربيع الجربرى وأحمد بن مروان وابن رمضان، وهو أول من أدخل كتاب محمد بن المواز[3].

كما أقام بمصر مدة يسمع الحديث **أبو الحسن القابسى** (ت: 403ه/1012م)، هو أبو الحسن على بن محمد بن خلف المعافرى المعروف بالقابسى، إمام المذهب المالكى، لاسيما بعد وفاة ابن أبى زيد، سمع بإفريقية من أبى العباس الإبيانى، وأبى محمد بن مسرور التجيبى والسبائى واليحصبى السدرى والدباغ كما تأثر بالسبائى والجبنيانى الساحلى، ثم رحل إلى المشرق سنة 352ه/963م وحج سنة 353ه/964م ثم عاد إلى مصر فسمع الحديث بالإسكندرية من أبى

(1) التجانى: مصدر سابق، ص250 وما بعدها.
(2) نفح الطيب، ج2، ص5.
(3) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص79.

الحسن على بن جعفر الثابياني وغيره من أهل العلم، وكان له مؤلفات عديدة، ثم عاد إلى القيروان، وتوفى بها[1].

كما كان **أبو محمد عبد الله بن محمد اللمائي** من العلماء الأجلة ذا خلق حسن وإشارة جميلة وسمت وسكينة ومنطق بليغ، وكان الشيخ القابسي يكرمه ويصله، وقد لقى عبد الله بن جعفر بن الورد البغدادى بمصر وحدَّثه باختصار السير لابن هشام عن البرقى عنه[2].

كما رحل **ابن الكاتب** (ت: 408ه/ 1017م) - هو أبو القاسم عبد الرحمن بن على بن محمد الكنانى - إلى المشرق وحج، وأخذ عن ابن شبلون وسمع من القابسى، وكان أحد الفقهاء المستنبطين والعلماء الراسخين، وسأله الطائى بمصر عن فروق أجوبة فى مسائل مشتبهة من المذهب فقال الطائى: "وقد كان أعضل جوابها كل من لقيت من علماء العراق، فأجبنى أبو القاسم فيها ارتجالًا على ما كان عليه من شغل البال بالسفر، وقد وقفت على جوابه فى جزء منطو على احد وأربعين فرقًا"، وكان قويًا فى المناظرة[3].

وسمع بالمشرق **أبو العرب التميمى** (417ه/1027م) هو أبو العرب محمد بن تميم بن أبي العرب التميمى الفقيه، كان من أهل العلم والفضل والثقة، واسع الرواية عارفًا بالتاريخ صحيح النقل كثير التحرى معروفًا بالصدق، رحل إلى المشرق سنة 371ه/981م، ولقى العلماء بمصر والشام والحجاز، ثم عاد إلى القيروان فمات بها[4].

ورحل لطلب العلم **أبو بكر الخولانى،** (ت: 432ه/ 1028م) هو أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الخولانى، وذلك بعد أن قرأ على الشيخ أبى سعيد ابن أخى هشام والشيخ أبى محمد بن أبى زيد، ثم لزم الشيخ أبا الحسن القابسى، وانقطع إليه وأباح له الفتيا، رحل إلى المشرق سنة 377ه/987م، فلقى أبا عتيق بن موسى الحاتمى المصرى وأبا بكر محمد بن بكر النعالى وغيرهما، وأجازوه كلهم إجازة عامة[5].

وتلقى علم القراءات بمصر **مكى ابن أبى طالب القيسى**

---

(1) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 134 - 143؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج3، ص322 - 324؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص94 ، 101 وما بعدها.

(2) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص144.

(3) الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص155.

(4) المصدر السابق، ج3، ص158.

(5) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص165 - 169؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج1، ص177 وما بعدها.

(437ه/1045م) هو أبو محمد مكى ابن أبى طالب واسمه محمد ويقال حموش بن محمد بن مختار القيسى اللغوى النحوى، سمع من أبى محمد بن أبى زيد وأبى الحسن القابسى، وغيرهما، وكان فقيهًا مقرئًا أديبًا متفننًا وغلب عليه حكم القرآن، رحل إلى الشرق سنة 377ه/987م، وسمع على ابن غلبون وغيره بمصر، وحج عامه[1].

ومن الفقهاء البارزين **أبى القاسم بن محرز**، كان معلومًا بالفقه والفهم والعناية بالحديث ورجاله، رحل إلى الشرق ولقى المشايخ الجلة وأخذ عنهم الحديث، وكان مليح المناظرة حتى قال ابن علاق المصرى: "ما رأيت من أهل المغرب من يحسن طريق المناظرة مثل أبى القاسم بن محرز"، وله تواليف عدة[2].

ومن هؤلاء المغاربة من استقر بمصر واستوطنها وترك له تلاميذ فيها أخذوا منهم العلم، مثل الحسن بن خلف بن بليمة القيروانى نزيل الإسكندرية، وعبد الرحمن بن أبى بكر عتيق، ويتبين لنا من رحلات هؤلاء العلماء إلى مصر أنهم قد لقوا الترحيب والعون من قبل علماء مصر.

وبجانب ذلك كانت هناك علاقة بين إفريقية ومصر بالمراسلة فقد كتب على بن أحمد بن إسماعيل البغدادى الذى سكن مصر إلى فقهاء القيروان رسالة يدعوهم فيها إلى الاعتزال والقول بالقدر والمخلوق وغير ذلك من مذاهبهم، وكان على يقول بالاعتزال ويدعو إليه فجاوبه فقهاء القيروان وردوا عليه ومنهم أبو محمد بن أبى زيد الذى رد عليه برسالة ظهر فيها علمه وقوته فى الكلام والرد على أهل الأهواء[3].

كما رحل بعض العلماء من مصر إلى القيروان مثل **اسحاق بن سليمان الإسرائيلى المصرى** الذى تزعم الطب فى القيروان بعد اسحاق بن عمران[4]، ومنهم **زيد بن بشر بن عبد الرحمن الأزدى المصرى** الذى كان طلبته فى القيروان يهتمون به ويحيطون به حتى وهو ذاهب إلى المسجد[5].

هكذا كانت الرحلات متبادلة بين مدن المغرب الأدنى ومصر، مما يدل على عمق الصلات الثقافية بين القطرين فى عصر دولة بنى زيرى،

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 171 وما بعدها.
(2) المصدر السابق، ج3، ص185.
(3) القاضى عياض: مصدر سابق، ج3، ص486.
(4) ابن جلجل: مصدر سابق، ص87.
(5) المالكى: مصدر سابق، ج1، ص390.

رغم التغيرات الشديدة التى حدثت في الخريطة السياسية فى ذلك الوقت، والتى أثرت على العديد من الأنشطة مثل النشاط التجارى، أما التبادل الثقافى والتطور الفكرى فاستمر بل واستفاد مما حدث من تغير فى الأحداث السياسية بسبب هجرة القبائل العربية، وكما كانت القيروان طيلة حكم العبيديين للمغرب على المذهب السنى، فنجد أن الفسطاط والإسكندرية ظلت طوال حكمهم من أكبر المراكز السنية، لذلك كان يتردد عليها كبار الشيوخ والعلماء والطلبة المغاربة، مما أدى إلى وجود نوع من وحدة الفكر والثقافة بين مصر والمغرب الأدنى ربطت بينهما بأواصر وثيقة.

رابعًا: الصلات الثقافية مع بلاد الحجاز (مكة والمدينة):

كانت صلة المدن فى المغرب الأدنى بمكة والمدينة وثيقة منذ فتح إفريقية وتأسيس القيروان التى حظيت بعدد كبير من الصحابة والتابعين الذين أتوا إليها ومكثوا فيها ينشرون العلم والشريعة والآداب واللغة العربية، ومنهم من وافته المنية فيها[1]، ودخل إفريقية من التابعين أبو عبد الله محمد بن أوس الأنصارى، الذى اشتهر بالفقه والصلاح، وحنش بن عبد الله الصنعانى، الذى سكن القيروان واختط بها دارًا ومسجدًا[2]، ومنهم على بن رباح اللخمى، كان عند أهل إفريقية من حديثه ما ليس عند المصريين وقد سكن القيروان واختط بها دارًا ومسجدًا وتفقه أهل القيروان على يديه، وأبو أيوب سليمان بن يسار محدث المدينة وفقيهها قدم إفريقية غازيًا وأقام بها، وأبو عبد الله عكرمة مولى عبد الله بن عباس[3].

ومن هؤلاء الصحابة وتابعيهم تلقى أهل المغرب الأدنى العلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وتتابعت الرحلات للتزود من العلم، مما أدى إلى تعميق الصلات والعلاقات الثقافية بين المغرب الأدنى ومكة والمدينة، ومنهم من سمع من مالك بن أنس، ومن هؤلاء العلماء الذين رحلوا إلى مكة والمدينة يحيى بن عمر ابن يوسف الذى سمع بالحجاز من أبى مصعب الزهرى[4].

ومن الفقهاء المشهورين الذين سمعوا بمدينة رسول الله ρ **عبد الله أبو محمد بن أبي زيد** (ت: 386ه/996م) هو أبو محمد عبد الله بن أبى زيد عبد الرحمن النفزى القيروانى الفقيه الحافظ جامع مذهب مالك وشارح أقواله، تفقه على ابن اللباد وأبى الفضل الممسى كما أخذ عن محمد بن مسرور العسال وعبد الله بن مسرور والقطان والإبيانى وزياد بن موسى وجماعة، إليه انتهت رئاسة الدين والدنيا، وهو الذى لخّص المذهب، رحل فحج وسمع من ابن الأعرابى وإبراهيم بن محمد بن المنذر وأبي علي بن أبي هلال وأحمد بن إبراهيم بن حماد القاضى، واستجاز ابن

(1) عن الصحابة الذين قدموا إفريقية. لمزيد من التفاصيل انظر: أبى العرب: مصدر سابق، ص16 وما بعدها؛ المالكى: مصدر سابق، ج1، ص60 - 97؛ الدباغ: مصدر سابق، ج1، ص71 - 157.
(2) المالكى: مصدر سابق، ج1، ص121.
(3) أبى العرب: مصدر سابق، ص18 وما بعدها؛ المالكى: مصدر سابق، ج1، ص134؛ الدباغ: مصدر سابق، ج1، ص218.
(4) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص297 - 303.

شعبان والابهرى والمروزى، وتفقه عنه جماعة جلة منهم أبو بكر بن عبد الرحمن وأبو سعيد البرادعى واللبيدى وابن الأجدابى والخواص، واستجازه جماعة منهم ابن مجاهد البغدادى. وكان ابن أبى زيد فصيح القلم ذا بيان ومعرفة بما يقوله ذابًا عن مذهب مالك قائمًا بالحجة عليه، واسع العلم كثير الحفظ والرواية وكتبه تشهد له بذلك وملأت البلاد تآليفه ومنها:

- كتاب "النوادر والزيادات على المدونة".
- كتاب "مختصر المدونة".
- كتاب "تهذيب العتيبة".
- كتاب "الاقتداء بأهل المدينة".
- كتاب "الذب على مذهب مالك".
- كتاب "الرسالة"، وغيرها من المؤلفات التى كانت كلها قيّمة وكان التنافس فى اقتنائها بين أهل العلم[1].

وكذلك الفقيه **أبو الحسن القابسى** (ت: 403هـ/ 1012م) هو علي بن محمد بن خلف المعافرى الفقيه الأصولى المتكلم الإمام فى علم الحديث، سمع من أبى العباس الإبيانى وأبي الحسن بن مسرور الدباغ وأبي عبد الله بن مسرور ودراس بن إسماعيل، ورحل إلى المشرق فحج سنة 353هـ/964م، وسمع من حمزة بن محمد الكناني الحافظ والقاضى التنرى وأبى زيد المروزى وأبى أحمد محمد بن أحمد الجرجانى وأبي الحسن القلباني وجماعة، ثم عاد إلى مصر فأقام بها يسمع الحديث، فكان واسع الرواية عالمًا بالحديث وعلله ورجاله فقيهًا أصوليًا متكلمًا مؤلفًا مجيدًا، وهو أول من أدخل رواية البخارى إفريقية وسنده وسند أبى ذر الهروى، وتفقه عليه أبو عمران الفاسى وأبو عمر الدانى وأبو بكر بن عبد الرحمن وأبو عبد الله المالكى وأبو علي حسن ابن خلدون وعتيق السوسى والعطار وابن الأجدابى وجماعة، وله تآليف بديعة منها:

- كتاب "الممهد فى الفقه وأحكام الديانة".
- كتاب "المنقذ من شبهة التأويل والمنبه للفطن من وغائل الفتن".

---

(1) القاضى عياض: مصدر سابق، ج5، ص293؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج17، ص10 - 13؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص427 - 429؛ محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص96.

- وكتاب "آداب المعلمين".
- وكتاب "الاعتقادات".
- وكتاب "الذكر والدعاء"
- وكتاب "المقالة فى التوحيد".
- وكتاب "الملخص فى الموطأ"[1].

وتوفى بمدينة رسول الله ρ من علماء القيروان **محمد بن سفيان الهوارى** (ت: 415هـ/1024م) هو أبو عبد الله محمد بن سفيان الهوارى المقرئ القيروانى، أخذ عن القابسى، ورحل إلى ابن غلبون، وكان الغالب عليه علم القرآن، وكان ذا فهم وحفظ وله فى القراءات كتاب الهادى وغيره، وتوفى رحمه الله بعد أن أدى فريضة الحج[2].

كما أخذ العلم بمكة **أبو الحسن الطرابلسى** (ت: 432ه/1040م) هو على بن محمد بن المنتصر الطرابلسى من أهل طرابلس، الإمام الفقيه الفاضل العالم العامل، أخذ عن ابن أبى زيد، ورحل لمكة وأخذ عن أعلام هناك، ثم رجع لبلده وأحيى السنة وأزال البدع، وله تآليف منها الكافى فى الفرائض. توفى بقرية من قرة مسلاتة[3].

ووفد على مكة اللغوى الشهير **مكى ابن أبى طالب القيسى** (437ه/1045م) هو أبو محمد مكى ابن أبى طالب واسمه محمد ويقال حموش بن محمد بن مختار القيسى اللغوى النحوى، سمع من أبى محمد بن أبى زيد وأبى الحسن القابسى، وغيرهما، وكان فقيهًا مقرئًا أديبًا متفننًا وغلب عليه حكم القرآن، رحل إلى الشرق سنة 377هـ/987م، وسمع على ابن غلبون وغيره بمصر، وحج عامه ثم عاود مكة سنة 387ه/997م، فأقام بمكة أربعة أعوام، تجول خلالها فلقى جملة من المحدثين والفقهاء، وانصرف إلى القيروان سنة 392ه/1002م[4].

كما رحل الفقيه **أبو عبد الله المالكى** (ت: 438ه/1046م) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المالكى القيروانى الفقيه الإمام العالم الفاضل، وابنه أبو بكر المالكى صاحب كتاب رياض النفوس، أخذ أبو عبد الله عن أبى

---

(1) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 134 - 143؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج3، ص322 - 324؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، ج9، ص61 وما بعدها.
(2) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 159 - 165؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص235.
(3) محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص110.
(4) الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 171 وما بعدها.

الحسن القابسي ولزمه وكان يلقب بالشافعي حتى لقبه القابسي بالمالكي، ورحل إلى مكة ولقى أبا ذر الهروى وأخذ عنه البخارى وألف فى مناقبه(1).

أما **ابن الضابط** (ت: 444ه/1052م) هو أبو عمرو عثمان بن أبى بكر حمود الصفاقسي، الإمام المحدث الحافظ الواسع الرواية العالم الشاعر، رحل إلى مكة وأخذ من حفَّاظ الحديث ومنهم أبو ذر الهروى وأبو الطيب الطبرى، ثم عاد ودرَّس علم الحديث واللغة والأدب بالقيروان، ووصف بكونه سفيرًا للمعز بن باديس، وله عدة مؤلفات منها:

- "رحلة إلى المشرق".
- و"الاقتصاد فى القراءات السبع".
- و"مجموعة من الأحاديث النبوية" المعروفة باسم عوالى الصفاقسى(2).

أما الفقيه **أبو محمد بن هارون السهمى** (ت: 466ه/1073م) هو عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي القرشى الصقلى، الإمام الفقيه الحافظ العالم، فتفقه بشيوخ القيروان كأبى بكر بن عبد الرحمن وأبى عمران الفاسى وأبى عبد الله بن الأجدابى، وشيوخ صقلية كابن بكر بن أبى العباس، وتفقه مع التونسى والسيورى وابن بنت خلدون، وعند رحلته للحج لقى القاضى عبد الوهاب وأبا ذر الهروى، وحج مرة أخرى بعد أن أسنَّ وكبر، ولقى أبا المعالى إمام الحرمين بمكة سنة 450ه/1057، فباحثه وسأله عن مسائل مشهورة بين الناس نقلها الونشريسى فى معياره، كان مليح التأليف ومن تواليفه:

- كتاب "النكت والفروق لمسائل المدونة".
- وكتابه الكبير المسمى "تهذيب الطالب".
- وله "استدراكات على تهذيب البرادعى".
- وجزء فى ضبط ألفاظ المدونة(3).

وتلقى العلم بأراضى الحجاز **ابن زكريا الشقراطيسى** (ت: 466ه/1073م) هو أبو محمد عبد الله بن يحيى بن على بن زكريا

---

(1) المصدر السابق، ج3، ص173 وما بعدها.
(2) ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2، ص22؛ التجانى: مصدر سابق، ص78 - 80؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ج2، ص85 وما بعدها.
(3) محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص116.

الشقراطيسي نسبة إلى قلعة بالقرب من قفصة وهو من أبناء توزر وفحول نبغائها، أخذ العلوم بالقيروان ثم حج وعاد إلى بلاده وأقرأ العلم بها ونشره وأخذ عنه أعلام منهم أبو الفضل بن النحوى، وكان له الباع الطويل فى العلوم الدينية وفنون الآداب، واشتهر ذكره فى الآفاق بقصيدة فريدة فى مدح النبى ρ وفى سيرة الصحابة، وهى المعروف بالشقراطيسية أنشدها بالمدينة تجاه القبر الكريم، وشرحها جماعة من العلماء منهم ابن الشباط فى مجلدات وخمسها أبو عمرو عثمان بن عتيق المهدوى المعروف بابن عربية[1].

وكذلك كان الفقيه **أبو عبد الله بن سعدون** (ت: 486هـ/1093م) هو محمد بن سعدون بن على بن بلال القيروانى الفقيه الحافظ، تفقه بشيوخ القيروان، وسمع من أبى بكر بن عبد الرحمن وأبى عبد الله محمد بن الناظور وابن الأجدابى وأبى على الزيات البونى واللبيدى والسيورى وابن عبد الله المالكي ومكى القرشي، وتفقه بأبى اسحاق التونسي، وحج وسمع من أبى ذر الهروى والمطوعى وحمل عنه تآليفه فى التصوف وغيرها، وابن ربيعة وطاف بلاد المغرب والأندلس وأخذ عنه الناس وسمعوا منه، منهم الحافظان أبو على الجيانى والصدفى وأبو عمر سفيان بن العاص وأبو الحسن بن مغيث وابنه القاضى أبو عبد الله بن عيسى التميمى وابن النحوى، وله تآليف منها:

- إكمال تعليق التونسى على المدونة.
- ومناقب شيخه أبى بكر بن عبد الرحمن.
- وكتاب فى ذم بنى عبيد[2].

وتوفى بمكة **ابن القسطلانى** (ت: 636هـ/1243م) أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله أبو العباس القيسي المالكي المعروف بابن القسطلاني نسبة إلى قسطلينة من إقليم أفريقية كان من أعيان الفقهاء المالكية قرأ على الفقيه أبي منصور المالكي والمذهب على خاله القاضي المرتضى الحسن بن أبي بكر بن الحسن القسطلاني ودرَّس في موضعه بعد وفاته وصحب الشيخ الزاهد أبا عبد الله القرشي واختص بخدمته ودوَّن كلامه وانتفع بصحبته وأخذ عنه الطريق، وسمع بمكة من يونس القاسمي وجماعة كثيرة من الفضلاء. كان من مشاهير الشيوخ والزهاد

(1) محمد بن محمد مخلوف: مصدر سابق، ص117.
(2) محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص117 وما بعدها.

وأعيان الفقهاء وتوفي بمكة[1].

لم يكن الاتصال مع المدينة ومكة عن طريق الرحلات فقط، ولكن كانت رسائل الاستفتاء تعتبر بمثابة قناة أخرى للتواصل[2]، مما يدل على قوة العلاقة والصلات بين المفكرين والمشرعين فى الأمصار الإسلامية، وكان سببًا فى النضج الفكرى، فكانت الصلة العلمية قائمة بين بلاد المغرب والمدينة بكل الطرق الممكنة آنذاك، سواء فى العلوم الدينية أو العلاقات الأدبية، التى لطالما ظلت قائمة بين القطرين، من خلال وفود الشعراء إلى القيروان أو العكس[3]، مما يدل على عمق الاتصال المتواصل بين الجانبين منذ بداية الفتح ومرورًا حتى فترة دراسة البحث، مما أدى إلى نضج الحياة الثقافية بالمغرب الأدنى وازدهارها.

هكذا تبين مدى الترابط بين الأقطار الإسلامية فى القرون الهجرية الأولى، من خلال صلات وعلاقات بلاد المغرب الأدنى مع بعض الأقطار الإسلامية التى اشتهرت بالعلم والثقافة، واتضح نشاط الفقهاء الدائم فى طلب العلم والسفر والترحال من أجل التبادل الثقافى.

---

(1) تقى الدين الفاسى (تقى الدين محمد بن أحمد الحسنى الفاسى المكى، ت: 832ه/م): "العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين"، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: الثانية، 1406ه - 1986م، ج3، ص105.
(2) أبى العرب: مصدر سابق، ص34.
(3) المالكى: مصدر سابق، ج1، ص527؛ الدباغ: مصدر سابق، ج2، ص214 وما بعدها.

الخاتمة

نختتم هذه الدراسة والتى عنوانها "الحياة الثقافية فى المغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية (361 - 543ه/ 973 - 1148م)، بأن نبين بعض النتائج التى توصلنا إليها والتى يمكن تلخيصها فيما يأتى:

أوضحت الدراسة أن المغرب الأدنى يعنى الأجزاء الشرقية من المغرب التى تعادل البلاد التونسية الحالية مع بعض الأجزاء الغربية لولاية طرابلس، والحدود الشرقية لبلاد الجزائر. وعلى ذلك فإقليم المغرب الأدنى والذى يعرف بإفريقية هو أول أقاليم بلاد المغرب الإسلامى.

أظهرت الدراسة أن أمراء بنى زيرى رغم تبعيتهم للخلافة الفاطمية بالقاهرة، إلا أنهم كانوا دومًا فى صراع غير معلن، فكانت العلاقة بينهما تحمل فى طياتها الكثير من المشاحنات والقلاقل، فظلت محاولات البيت الزيرى للانفصال عن القاهرة حتى تحقق لهم ذلك على يد الأمير المعز بن باديس (406 - 454ه/ 1016 - 1062م).

كما بينت الدراسة أن الانفصال عن الدولة الفاطمية، كان بمثابة الضوء الأخضر لعودة السيادة للمذهب المالكى على المغرب الأدنى بأكمله، حتى على المذاهب السنية، حيث ألغى المعز بن باديس جميع المذاهب وجعل مذهب المدينة هو المذهب الرسمى للدولة.

وأكدت الدراسة على أن الازدهار الحضارى للبلاد لم يأت من فراغ بل جاء نتيجة لعوامل كثيرة منها ما هو طبيعى مثل الموقع الذى ساعد على مرور العلماء وطلبة العلم عبر شبكة من الطرق البرية والبحرية بإفريقية، كما كان النشاط الاقتصادى من العوامل الرئيسية فى التطور الثقافى والتعليمى، من خلال توفير كافة الاحتياجات للعملية التعليمية، هذا إلى جانب تشجيع الأمراء والولاة بالعلم والعلماء، ودورهم الواضح فى الاهتمام بالعلوم والآداب، وكذلك الرحلة فى طلب العلم، التى كان لها أكبر الأثر فى تطوير الحركة الثقافية وتنوعها.

بينت الدراسة الدور الهام لعلماء المالكية فى الحفاظ على الهوية الإسلامية، وتعرضهم للأذى فى مقابل الحفاظ على عقيدة الأمة من

الانجراف للتيارات المتعددة بالمغرب الأدنى آنذاك.

كما أن الدراسة قد ألقت الضوء علي المؤسسات التعليمية بالمغرب الأدنى آنذاك وانتشار دُوُر العلم مثل [الكتّاب والمسجد والرَبُط ودار العلم التطبيقى والمكتبات] بالمجتمع الزيرى، وتنوع النظم التعليمية بكافة مدن المغرب الأدنى مما كان لها أكبر الأثر فى ازدهار العلم وانتشار العلوم بين الناس، وازدهار حركة التأليف فى العلوم المختلفة فى المغرب الأدنى.

خلصت الدراسة الى مدى اهتمام البربر بتعلم اللغة العربية، فبعد أن كان أول أمرائها يسير بترجمان وكاتب، نجد بعد مرور ما يقرب من قرن من الزمان أن اللسان الزيرى قد تعرب تمامًا، فأصبح من هؤلاء الأمراء من يجيد كتابة الشعر وبحوره.

بينت الدراسة مدى نجاح العملية التعليمية ببلاد المغرب الأدنى فى فترة البحث، فكان الآباء يهتمون بمعرفة أحوال أبنائهم ومعرفة مستواهم الدراسي من المؤدبين والعلماء. وانتشار التعليم بالبلاد كان أدعى للعلماء للقيام بتأليف مصنفات فى التربية والعملية التعليمية.

أوضحت الدراسة العلوم التى كانت تدرس بالمغرب الأدنى من خلال حلقات العلم بالمسجد، ومنها العلوم النقلية والعلوم العقلية التى انتشرت فى بلاد المغرب الأدنى فى الدولة الزيرية.

وقد ألقت الدراسة الضوء على الصلات بين المغرب الأدنى والأقطار الإسلامية الأخرى، كما بينت الدراسة أن الانفصال التام للدولة الزيرية عن الخلافة الفاطمية وما تبعه من الهجرات الهلالية لم يؤثر على الصلات الثقافية بين بلاد المغرب الأدنى وجيرانها من الأقطار الإسلامية مثل (المغرب الأقصى، والأندلس، ومصر، وبلاد الحجاز) فاستمرت العلاقات والصلات العلمية والأدبية والرحلة فى طلب العلم وانتقال العلماء وطلبة العلم بين هذه الأقطار الإسلامية، مما ساعد على إزدهار الحياة العلمية والثقافية بالدولة الزيرية.

أكدت الدارسة على الاهتمام بمعرفة عقيدة أهل السنة، وضرورة تربية أبناء الأمة عليها، وكشف المعتقدات الباطلة التى تخالف ثوابت الإسلام، ومن ثَم الحفاظ على شباب الأمة من الانجراف إلى تيارات فكرية مختلفة منها ما يدعو إلى الإلحاد عياذًا بالله.

ومن نتائج هذا البحث أيضًا التأكيد على أن أصول المد الإسلامى فى بلاد المغرب الأدنى أصول سنية لا شيعية ولا خارجية، وإنما هى

الأصول التى كان عليه النبى ρ وأصحابه.

كما كان من النتائج الهامة لهذا البحث التعريف ببعض قادة المسلمين الربانيين فى المغرب الأدنى كالمعز بن باديس، تميم ابن المعز، حتى تستفيد من سيرتهم العطرة أجيال المسلمين التى تنشد النصر والتمكين لدين الله تعالى.

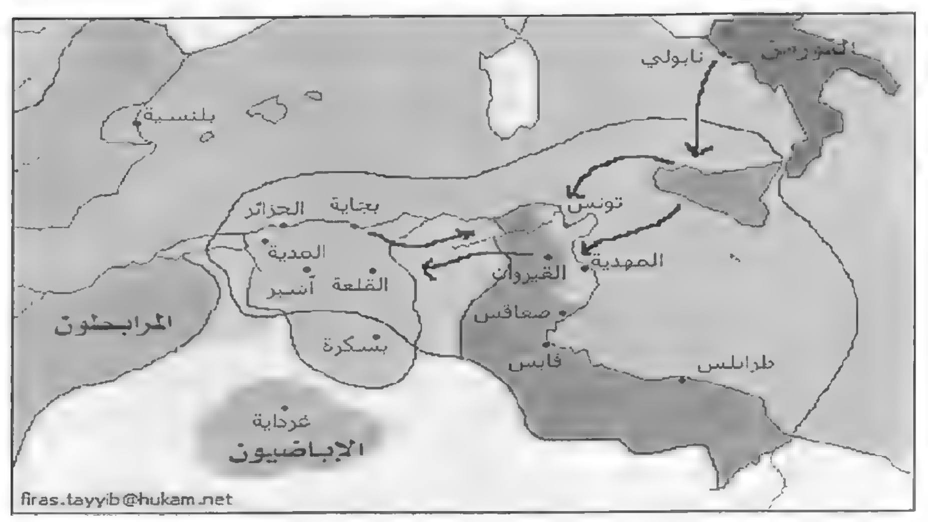
الـملاحق

أولًا: الخرائط.
ثانيًا: الأشكال.
ثالثًا: صور بعض المخطوطات التى ورد ذكرها فى الدراسة.

أولًا: الخرائـــط

1/1 خريطة توضح دولة بنى زيرى
2/1 خريطة توضح هجرة القبائل الهلالية إلى المغرب
3/1 خريطة توضح حدود إفريقية فى عهد بنى زيرى

1/1 دولة بنى زيرى



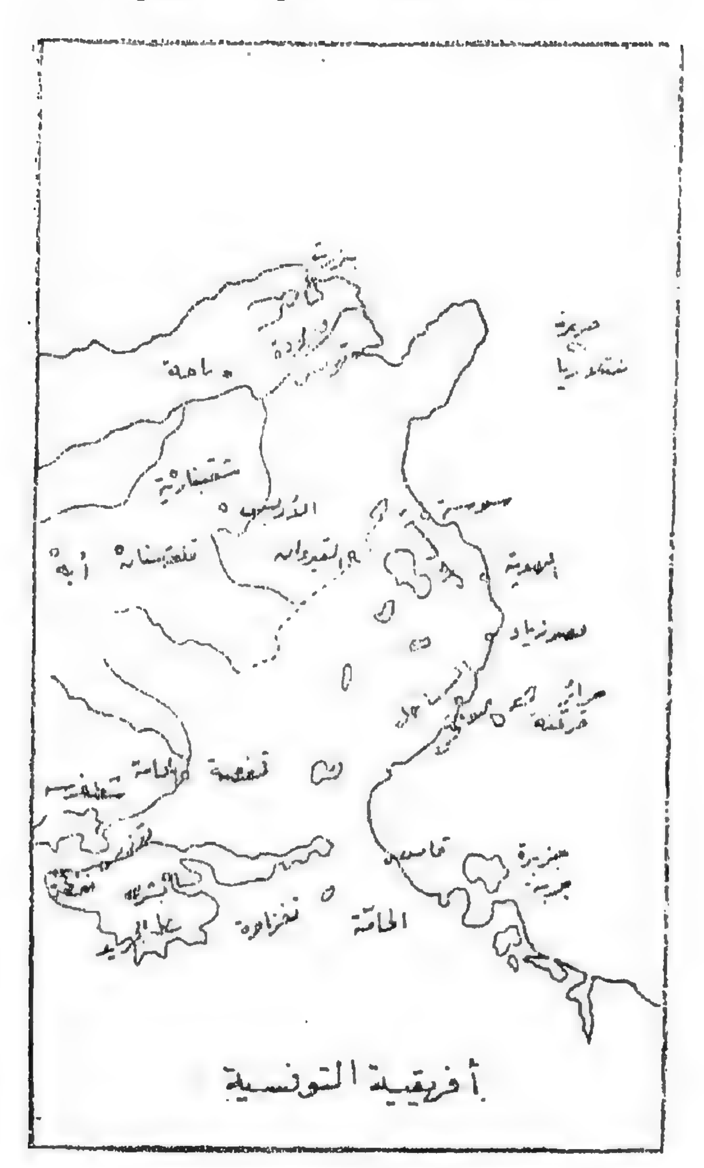
نقلًا عن د/ حسين مؤنس "أطلس تاريخ الإسلام" ص160

2/1 هجرة القبائل الهلالية إلى المغرب



المصدر: د/ حسين مؤنس "أطلس تاريخ الإسلام" ص160

3/1 إفريقية التونسية فى عهد بنى زيرى



المصدر: سعد زغلول "تاريخ المغرب العربى ج3" ص180

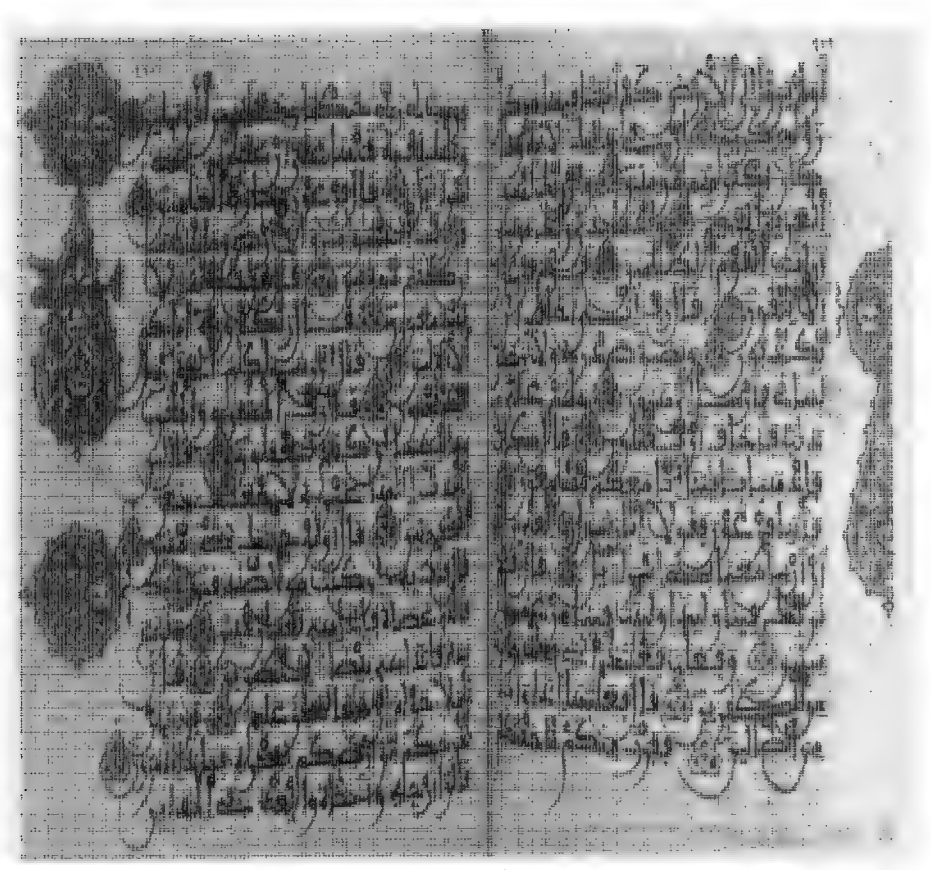
ثانيًا : الأشكال

1/2 قائمة أمراء بنى زيرى
2/2 نسخة من القرآن المجيد توضح مدى الإجادة والإتقان فى صناعة التجليد
3/2 بعض الأدوات المستخدمة فى العملية التعليمية
4/2 ، 5/2 عناصر معمارية وزخرفية بمسجد عقبة بالقيروان

1/2 قائمة أمراء بنى زيرى

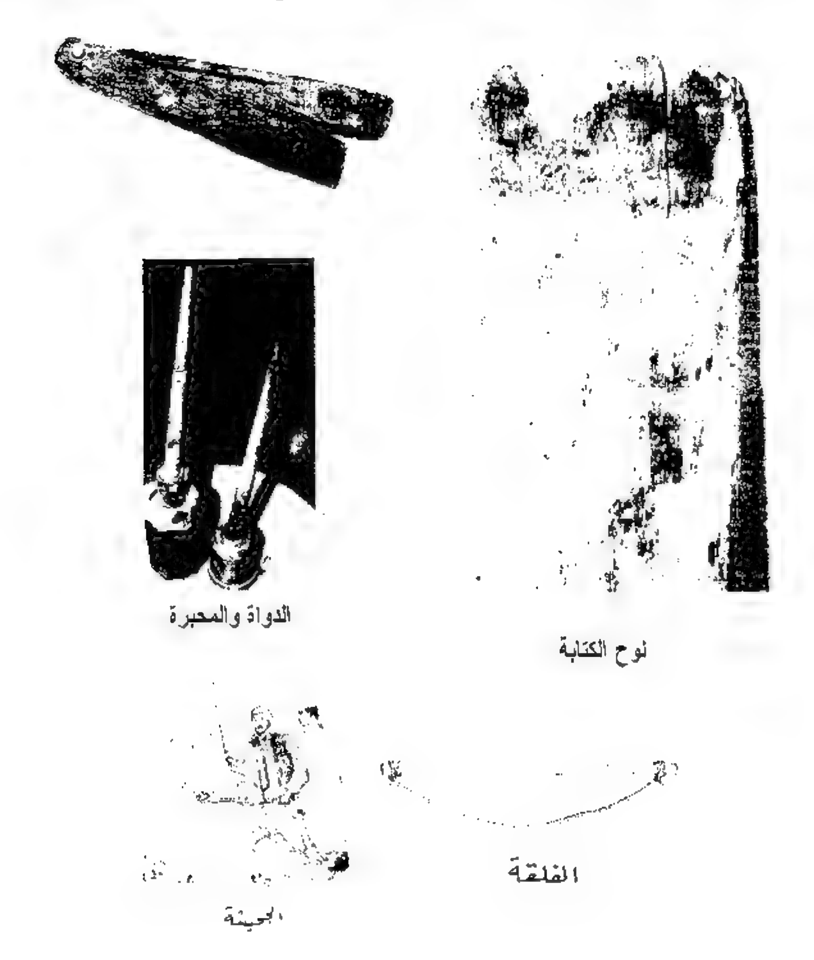
1- بُلكين بن زيرى بن مناد (362-373ه/ 972-984).
2- المنصور بن بُلكين (373-386ه/ 984-996م).
3- باديس بن المنصور (386-406ه/ 996-1016م).
4- المعز بن باديس (406-454ه/ 1016-1062م).
5- تميم بن المعز (454-501ه/ 1062-1108م).
6- يحيى بن تميم (501-509ه/ 1108-1116م).
7- على بن يحيى (509-515ه/ 1116-1121م).
8- الحسن بن على (515-543ه/ 1121- 1148م).

2/2 نسخة من القرآن المجيد توضح مدى الإجادة والإتقان فى صناعة التجليد والتى تحمل رقم ox 1405 فى مكتبة المتحف البريطانى



المصدر: كتاب "عمدة الكتَّاب وعدة ذوى الألباب"، ص32

3/2 بعض الأدوات المستخدمة فى العمليات التعليمية



الدواة والمحبرة

لوح الكتابة

الفلقة

الجبيئة

المصدر:

http://www.hasanews.com/news.php?action=show&id=6359

4/2 عناصر معمارية وزخرفية بمسجد عقبة بالقيروان

المحراب

قبة المحراب من الخارج

المصدر: د/ نجوى عثمان، مساجد القيروان، ص137 ، 138

5/2 عناصر معمارية وزخرفية بمسجد عقبة بالقيروان



تفاصيل زخارف المنبر



عمود صنهاجى بواجهة الرواق الغربى

المصدر: د/ نجوى عثمان، مساجد القيروان، ص135 ، 139

ثالثًا: صور بعض المخطوطات التى ورد ذكرها فى الدراسة

1/3 مخطوطة آداب المعلمين لابن سحنون - والمخطوطة محفوظة بمعهد الثقافة والدراسات الشرقية - جامعة طوكيو اليابان - برقم (1638)

2/3 مخطوطة جامع المبادئ والغايات فى علم الميقات للحسن المراكشى - والمخطوطة محفوظة بمكتبة جامعة الملك سعود برقم (3709)

1/3 مخطوطة آداب المعلمين لابن سحنون

باعتبار استعمالها على اصولها وتعبث به مع تغييرها بالنقل معتمدا
عليه وعلى هذا يسوغ استعمالها عند الكسراج العزيز واختصار الاربعين
وغيرهما انتهى وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما انه قال في شيء من الكلم فقال ابا جاد ابا هوز الطاعة وجد من
الشجرة وهواز فهو من السماء الى الارض وحطي حط عنه خطاياه و
كلمن اكل من الشجرة ومن عليه بالتوبة وسعفص عصا فاخرج من
النعيم الى النكد وقرشت اقر بالذنب فامن بالعقوبة انتهى قال
التونسي والمعلم انه لا يعرف الاظهار والادغام والاهمال والاعجام
والتفخيم والترقيق وغيره لا من احكام القراءة لا يجوز له الحرفة
انتهى وفي اجوبة الشيخ انه لا يجوز الحرفة في اقراء القرآن وان كل ما اخذ فهو
سحت ونص على معناه الشيخ يوسف بن عمر انفاسي انتهى قلت
وقد حكى لنا بعض اشياخنا رحمه الله ان قاضي القضاة
دار الاسلام في دولة امير المؤمنين وفي زمن ... الوقت ... لا يكون
احدهما كان يامر الصبي بكتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
عقب البسملة او الحمدلة له حين تصحيح لوحه والاخر يترك ذلك والحكم
فيه الكتاب التعليم فيكون المعلم مستعملهما فانهما فيه ثنتا معه
دنيا واخرى كتابية لاهم العلم بالصبي وهم الصبي فيه نعم الحديث
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه اذا تكلمت بشيء من ذلك جبرئيل انه
اباح لك كل ما ذكره فيما ... واذا امره بالبسملة
والصلاة على مولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابتداء
كل درسه للموحد فهو خير والله الموفق بفضله ابن عرفة ومتعلق
تعليمه ما لا بد منه قراءة القرآن حفظا ونظرا سحنون ينبغي ان يعلمهم
اعراب القرآن ولا يلزمه ذلك والشكل والهجاء والخط الحسن وحسن
القراءة بالترتيل واحكام الوضوء والصلاة وفرائضها وسننها
وصلاة الجنائز واحكام الوضوء والصلاة وصلاة الاستسقاء
والخسوف ثم قال ابن عرفة محمل قوله عندي هو تعليم القرآن
قلت

2/3 مخطوطة جامع المبادئ والغايات فى علم الميقات

٥٢٠
ج ٠ م

(جامع) المبادي والغايات (في علم الميقات)، تأليف
الحسن بن علي بن عمر المراكشي (القرن السابع الهجري)،
لعله نسخة في القرن الحادي عشر الهجري تقديرا.
٢٧ ق
٢١ س
نسخة جيدة، خطها نسخ حسن، بها أكل أرضة. ١٥×٢٠ سم
كشف الظنون: ٥٧٢، معجم المؤلفين ٣: ٢٥٧

٣٧٠٩
١- الفلك أ- المراكشي، الحسن بن علي (القرن السابع
الهجري) ب- تاريخ النسخ.

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ ابو علي المراكشي في كتابه المبادي والغايات
باب في كيفية العمل بالكرة
وهذه الآلة قد دفع للاقدمين بها فضل اعتبار لما في تاملها
من المنافع في تصور احوال فلك البروج مع معدل النهار
واحوالهما جميعا عند دايرة نصف النهار وعند اي افق فرض
وغير ذلك من الامور الجزئية التي نذكر ان شا الله تعالى
ووقع لي من كتبهم في العمل بها خمس كتب احدها كتاب
اوطوقيوس العسقلاني وثانيها كتاب فيلن وثالثها
كتاب قسطا بن لوقا ورابعها كتاب ايرن
الحيلي وخامسها كتاب ثاون الاسكندراني وكان امري
في هذه الآلة غير ما كان في ربع الدستور اذ لا اجد لاحد
في كيفية العمل بها شيئا يعتمد به فلذلك كان
كلما ذكرته في العمل بها الا النزر اليسير مما ارشدني الله اليه

وعلى هذا المثال كان امري في الميزان الفزاري ثم اني
تاملت تلك الكتب الخمسة فوجدت اجودها كتاب
قسطا بن لوقا الا انه تسامح فيه في امور كثيرة والتي ما لا
غنا عنه فرايت ان اذكر كتابه هنا ملخصا مع
اصلاح ما تسامح به واثبات ما الغاه وهذا الباب يشتمل
على تسعين فصلا الفصل الاول في تسمية الرسوم
الموضوعة في هذه الآلة فاول ذلك الداير التي عليها
اقسام الدرج في الكرسي التي تنصب عليه الكرة وهي
دايرة الافق وعلى الدرجات خمساتها وهذه الدايرة
مقسومة باربعة اقسام متساوية احدها الربع المكتوب
عليه الربع الشرقي الجنوبي وثانيها شرقي شمالي وثالثها
غربي جنوبي ورابعها غربي شمالي واجزاء الربعين الشرقيين
يبدا بهما من نقطة مشتركة بينهما وهي وسط المشرق
وهي مطالع اول الحمل واول الميزان وتنتهي في الربع
الاول منهما الى ص عند الفرض الموقع عليه وسط الجنوب
وتنتهي في الاخر مثل ذلك عند الفرض الموقع عليه وسط
الشمال واجزاء كل واحد من الغربيين يبتدي من نقطة
مشتركة بينهما هي وسط المغرب وهي مغرب اول الحمل
واول الميزان وتنتهي في الاول من هذين الربعين الى ص
عند الفرض الموقع عليه وسط الجنوب وتنتهي في الربع
الاخر مثل ذلك عند الفرض الموقع عليه وسط الشمال

فجملة الدائرة ٣٦٠ والحلقة الثانية على الكرة التي
تتحرك الكرة في داخلها وتتحرك هي ايضا على الكرة يقال
لها حلقة نصف النهار وهي مقسومة ٣٦٠ متساوية
ولها ارباع كامرّ والدائرة التي في الكرة المقسومة ٣٦٠
قسما متساوية المكتوب عليها اسما البروج الاثني عشر
هي منطقة فلك البروج كل برج منها ٣٠ جزءا والدوائر
الست التي تفصل بين البروج التي بين كل دائرة منها تجوز
على اول برج وعلى اول نظيره وتتقاطع كلها على
نقطتين متقابلتين يقال لها حدود البروج والتي
تمر باول الجدي واول السرطان منها هي الدائرة
المارة بالاقطاب الاربعة والنقطتان اللتان
تتقاطع عليهما هذه الدوائر الست هما قطبا فلك
البروج والشمالي منهما هو الاقرب الى قطب معدل
النهار الشمالي والجنوبي منهما هو الاخر وينبغي ان
يتفقا على ما ذكر في عمل الكرة والدائرة التي تقطع منطقة
فلك البروج على اول الحمل واول الميزان ولا تمر بقطبي
فلك البروج هي دائرة معدل النهار وهي مقسومة
٣٦٠ جزءا ومبدا عدد اجزائها من اول الجدي او اول
الحمل وتنتهي الى حيث بدئ منه والدوائر الصغار
التي على الكرة وعندها اسما الكواكب هي الكواكب الثابتة
وقد يرسم في بعض الاكر الصور الثمانية والاربعون

وما في

وما في كل صورة من الكواكب المرصودة وربع الدائرة
المقسوم ٩٠ جزءا متساوية يقال له ربع الارتفاع
والسمت ويقال للمقدار البارز من مسمار القطب الشمالي
من قطبي معدل النهار عمود الارتفاع وقد يعري كثير
من الاكر من هذا الربع ومن هذا القدر البارز
من مسمار القطب وينقص بذلك كثير من الاعمال الضرورية
الفصل الثاني في تركيب اجزاء الكرة وهو ان تضع
الكرسي بين يديك وتركب حلقة نصف النهار في تحتيته
وتضع كل واحد من محور قطبي معدل النهار على الفرض الموضوع
عليه الشمالي من قطبي معدل النهار الشمالي على الشمالي
والجنوبي على الجنوبي وتركب ايضا حلقة نصف النهار
على الفرض الذي في العارضة من اسفل التي حلقة نصف
النهار ثابتة على حقيقة وسط ما بين المشرق والمغرب
وقد تم تركيب الكرة اللائق الفصل الثالث في
محاكاة السماء هذه الالة السماء مستديرة كاستدارة
الكرة ونصفها ابدا فوق الارض ونصفها تحته كان نصف
الكرة ابدا فوق حلقة الكرسي التي تقوم مقام الافق ونصفها
الاخر تحتها واما حركة السماء فهي كحركة الكرة اذا ادرتها
من المشرق الى المغرب وقد علمت ان الشمس تقطع في كل يوم
وليلة جزءا واحدا من اجزاء منطقة فلك البروج بالتقريب
واذا قدرت ان الشمس في اول يوم في اول جزء من اجزاء منطقة

فلك البروج ووضعت أول ذلك الجزء على الافق الشرقي
ثم ادرت الكرة الى ان يصير نصف ذلك الجزء على الافق
الغربي كان ذلك مثل دور السما في اليوم الذي يكون
فيها الشمس فيه في ذلك الجزء من طلوع الشمس الى غروبها
بالتقريب واذا ادرت الكرة حتى يغيب ذلك الجزء من
الافق الغربي ويطلع اول الجزء الذي يليه من الافق الشرقي
فان ذلك مثل دور السما في الليلة التي تكون فيها الشمس
في ذلك الجزء فهذا مقدار ما تدور السما في اليوم والليلة
وهو دورة واحدة وجزء من ٣٦٠ جزءا بالتقريب
وهو الذي سار به الشمس في فلك البروج في ذلك
اليوم بليلته وهذا الدوران على قطبي معدل النهار

الفصل الرابع في معرفة اختلاف حركة السما
في كل واحد من البلدان قال قسطا بن لوقا ان السما وان
كانت حركتها مستديرة متشابهة من الجهات كلها
فان ذلك يختلف في البلاد لاختلاف مواضع البلاد
من الارض وذلك ان الارض لما كانت كرية وكانت في
وسط السماء صارت كل نقطة منها تسامت نقطة من
السما وكل دائرة من الدوائر المتوهمة تسامت موضعا
منها فالموضع من الارض الذي يسامت معدل النهار
من السما يسمى خط الاستوا وهو الموضع الذي يكون
فيه القطبان جميعا في الافق وكلما تقدمت السالك من

ذلك

ذلك الخط الى الشمال ارتفع القطب الشمالي عنها وانخفض
الجنوبي عنها ومقدار ارتفاع القطب الشمالي او انخفاض
الجنوبي في كل بلد هو عرض ذلك البلد واما الناحية
الجنوبية عن خط الاستوا فان المسكون منها يسير جدا
والذين يسكنون فيه هم الحبش والزنج وامم شبيهة
بالبهائم لا بنا لهم ولا صناعة لهم ولا علم واما الناحية
الشمالية فهي المعمور من الارض التي فيها مداين العرب
والروم والفرس وسائر الامم فكلما ارتفع القطب
عن الافق صار دوران السما منحرفا وذلك الميلان
والانحراف مختلف بالزيادة والنقصان على قدر ميل ذلك
البلد عن خط الاستوا فاما الكثرة والقلة فان
البلد الذي بعده عن خط الاستوا بعد كبير يكون انحراف
دوران السما عليه انحرافا كثيرا والبلد القريب من خط الاستوا
يكون هذا الانحراف عليه يسيرا فاذا اردت ان ترى
ذلك في الكرة فنصبت القطبين جميعا على حلقة الافق
وادرت الكرة فانك ترى دورانها دورانا مستويا لا ميل
فيه ولا انحراف وعلى مثل ذلك الدوران تدور السما
على خط الاستوا ثم ارفع القطب الشمالي جزءا ما عن الافق
وادر الكرة فانك ترى دورانها مائلا امالة ما
وكلما زدت القطب ارتفاعا زاد دوران الكرة ميلا
حتى يصير دورانها كدوران الرحى على موازاة الافق

المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم:

ثانيًا: المخطوطات:

الحسن المراكشي (أبو على الحسن بن على بن عمر المراكشي، ت: القرن 7ه/13م):

1- "مخطوطة جامع المبادى والغايات فى علم الميقات)، مقاسات المخطوطة: 15 × 20.5سم، تاريخ النسخ: القرن الحادى عشر، مخطوطة محفوظة بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم 3709.

السيوطى (عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد سابق الدين الخضيرى الأسيوطى، ت: 927ه/ 1505م):

2- مخطوطة "الشماريخ فى علم التاريخ"، 6 ورقات، 27سطر، تاريخ النسخ: 985ه/1577م، مقاس 20 × 14.5 سم، جامعة الملك سعود بالرياض، برقم 6697، تاريخ.

محمد بن سحنون (أبو عبد الله محمد بن أبى سعيد سحنون بن حبيب التنوخى، ت: 256ه/870م):

3- مخطوطة "آداب المعلمين"، مقاسات المخطوطة: 22سم × 14.5سم، تاريخ النسخ: 1039هـ/1630م، http://ricasdb.ioc.u-tokyo.ac.uj معهد الثقافة والدراسات الشرقية، جامعة طوكيو، اليابان.

ناصر الدين المالكى المرزونى:

4- "رسالة ابن أبى زيد القيروانى"، مقاسات المخطوطة: 21.5سم × 15.5سم، تاريخ النسخ: 1046هـ/1636م، مخطوطة بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، برقم 1963، فقه المذاهب.

ثالثًا: المصادر العربية المطبوعة:

1- صحيح البخارى، مستدرك الحاكم، سنن أبى داود (كتاب المهدى).

ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى ابن الآبار البلنسى، ت 658هـ/ 1260م):

2- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: د/ عبد السلام الهراش، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1415هـ - 1995.

3- الحلة السيراء، تحقيق وتعليق: د/ حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط: الأولى، 1963م.

ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى، ت 630هـ/ 1232م):

4- الكامل فى التاريخ، تحقيق وتصحيح: د/ محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1407هـ - 1987م.

الأدنروى (أحمد بن محمد الأدنروى، ت: القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى)

5- طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط: الأولى، 1417هـ - 1997م،.

الإدريسى (أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودى الحسينى، ت: 649ه/1251م):

6- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

الأصبهانى (أبى الحسن على بن الحسين الأصبهانى الباقولى، ت: 543ه/1148م):

7- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، تحقيق: د/ محمد أحمد الدالى، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا.

ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجي، ت: 668ه/1270م):

8- كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق: د/ عامر النجار، دار المعارف، القاهرة، ط: الأولى، 1996م.

ابن أيبك الدوادارى (أبى بكر بن عبد الله بن أيبك الدوادارى، ت: بعد 736ه/ 1335م):

9- كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألمانى للآثار بالقاهرة، 1380ه - 1961م.

البرزلى (أبى القاسم بن أحمد البلوى التونسى ت: 841ه/ 1438م):

10- فتاوى البرزلى - جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم وتحقيق: أ.د/ محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 2002م.

ابن بسام (أبى الحسن على بن بسام الشنترينى، ت: 542ه/ 1144م):

11- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417ه - 1997م.

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال، ت: 578ه: 1280م):

12- الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وأدبائهم، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامى، تونس، ط: الأولى، 2010م.

البكرى (أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى، ت: 487ه/ 1058م):

13- المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة.

التادلى (أبى يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى التادلى المعروف بابن الزيات التادلى، ت: 617ه/ 1220م):

14- "التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية

الآداب جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، ط: الثانية، 1997م.

التجانى (أبى محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجانى، ت: القرن 8هـ/14م):

15- رحلة التجانى، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م.

ابن جلجل (أبى داود سليمان بن حسان الأندلسى، ت: بعد 377ه/ بعد 987م):

16- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: الثانية، 1405هـ - 1985م.

ابن حجر العسقلانى (الحافظ أبى الفضل أحمد بن على بن حجر شهاب الدين العسقلانى الشافعى، ت:852ه/1448م):

17- تهذيب التهذيب، تحقيق: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1416هـ - 1995م.



18- لسان الميزان، أخرجه: سلمان عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط: الأولى 1423هـ - 2002م.

19- نزهة الألباب فى الألقاب، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديدى، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، 1409هـ - 1989م.

ابن حزم (أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى، ت: 456ه/1071م):

20- الفصل فى الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د/ محمد إبراهيم نصر، د/ عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: الثانية، 1416هـ - 1996م.

21- جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط: الخامسة، 1982.

أبو الحسن القابسى (أبو الحسن على بن محمد بن خلف المعافرى القابسى ت: 403ه/1012م):

22- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، دراسة وتحقيق وتعليق: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط: الأولى، 1986م.

أبو الحسن القفطى (الوزير جمال الدين أبى لاحسن على بن يوسف القفطى، ت: 624هـ/1227م):

23- انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربى، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: الأولى، 1406هـ - 1986م.

الحسن الوزان (الحسن بن محمد الوزان الفاسى):

24- وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: د/ محمد حجى، د/ محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الثانية، 1983م.

أبو الحسين (يحيى بن أبى الخير بن سالم العمرانى الشافعى اليمنى، ت: 558هـ/1163م):

25- البيان فى مذهب الإمام الشافعى، دار المنهاج للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط: الأولى، 1421هـ - 2000م.

الحميدى (أبى عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله الأزدى، ت: 488هـ/1095م):

26- جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصرى، القاهرة، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ط: الثالثة، 1410هـ - 1989م.

الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى ت: القرن العاشر الهجرى/ القرن السادس عشر الميلادى):

27- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د/ إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط: الثانية، 1984.

ابن حوقل (أبى القاسم ابن حوقل النصيبى، ت: بعد 367هـ/977م):

28- كتاب صورة الأرض، نص النسخة المرقومة (3346) المحفوظة فى خزانة السراى العتيق فى استنبول، دار صادر، بيروت، ط: الثانية، 1938م.

الخُشنى (أبى عبد الله محمد حارث بن أسد الخشنى، ت: 371هـ/981م):

29- طبقات علماء إفريقية، تقديم وتحقيق: د/ محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط: الأولى، 1413هـ - 1993م.

30- قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، راجعه: السيد عزت العطار الحسينى، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط: الأولى، 1372هـ - 1953م.

ابن الخطيب (الوزير الغرناطي أبو عبد الله لسان الدين بن محمد بن الخطيب، ت: 776هـ/ 1313م):

31- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق: د/ أحمد مختار العبادي، أ/ محمد إبراهيم الكتاني، نشر وتوزيع: دار الكتب، الدار البيضاء، المغرب، ط: الأولى، 1964م.

الخطيب الشربيني (شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، (ت: 977هـ/1569م):

32- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، دراسة وتحقيق: الشيخ/ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الجواد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، 1425هـ - 2004م.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي، ت 808هـ/ 1405م):

33- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط: الأستاذ/ خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1431هـ - 2000م.

ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت: 681هـ/ 1282م):

34- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

الخوارزمي (أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي، ت: 387ه/996م):

35- مفاتيح العلوم، تحقيق: محمد كمال الدين الأدهمي، طباعة: عثمان خليل، ط: الأولى، 1349ه - 1930م

الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي، ت:696هـ/1297م):

36- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت: 839هـ/1435م)، تحقيق: د/ محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضي، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر، والمكتبة العتيقة بتونس، 1968م.

الدرجيني (أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، ت: 670ه/1276م):

37- طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق وطباعة: إبراهيم طلاي، 1394هـ - 1974م.

ابن أبي دينار (أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن عمر الرعيني القيرواني ت: 1092هـ/ 1681م):

38- المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، ط: الأولى، 1286ه.

الذهبى (الإمام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، ت: 748ه/ 1347م):

39- العبر فى خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1405ه - 1985م.

40- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق وضبط: د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1424ه - 2003م.

41- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1405ه - 1984م.

42- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، تحقيق الشيخ/ على محمد معوض، والشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، د/ عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1416 - 1995م.

ابن رشيق (حسن بن رشيق القيروانى، ت456هـ/ 1063م):

43- أنموذج الزمان فى شعراء القيروان، جمع وتحقيق محمد العروسى المطوى وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، 1406هـ - 1986م.

الرقيق القيروانى (أبى اسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق، ت: 425ه/1003م):

44- قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: د/ عبد الله العلي الزيدان، د/ عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1990م.

الزجاجى (أبى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى، ت: 340ه/951م):

45- مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط: الثالثة، 1420هـ - 1999م.

الزركلى (خير الدين بن محمود بن محمد بن على بن فارس الزركلى، ت: 1396ه/ 1976م):

46- الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الخامسة عشر، 2002م.

ابن أبى زيد القيروانى (أبى محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى ت: 386ه/996م):

47- الرسالة، تحقيق أحمد مصطفى قاسم الطهطاوى، دار الفضيلة، القاهرة، ط: الأولى، 2005م.

زين الدين الرازى (محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى، ت: بعد 666ه/930م):

48- مختار الصحاح، مكتبة لبنان، 1986.

ابن السبكى (تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى 771هـ/1370م):

49- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناخى، عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط: الأولى.

السلاوى (أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى السلاوى، ت: 1314ه/1897م):

50- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، مكتبة المصطفى الالكترونية، 1917م.

السويدى (أبو الفوز محمد أمين بن على بن محمد سعيد السويدى العباسى البغدادى، ت: 1246ه/ 1830م):

51- سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان.

السيوطى (عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد سابق الدين الخضيرى الأسيوطى، ت: 927ه/1505م):

52- بغية الوعاة فى طبقات اللغويّين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1384هـ - 1964م.

53- معجم مقاليد العلوم فى الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: الأولى، 2004م.

الشافعى (محمد بن إدريس الشافعى المطلبى، ت: 204هـ/819م):

54- الرسالة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1358هـ - 1939م.

ابن شاكر الكتبى (محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبى، ت: 764هـ/ 1363م):

55- فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، لبنان، 1974م.

الشهرستانى (أبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى، ت: 1153/548م):

56- الملل والنحل، تصحيح وتعليق: أحمد فهمى محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الثانية، 1413هـ - 1992م.

الشيرازى (أبى اسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الشافعى، ت: 476ه/1083م):

57- طبقات الفقهاء، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان.

صديق بن حسن القنوجي (ت: 1307هـ - 1889م):

58- أبجد العلوم، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، دمشق، سوريا، 1978م.

الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، ت: 764ه/1363م):

59- الوافى بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط، تركى مصطفى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1420هـ - 2000.

الضبى (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، ت: 599هـ/1205م):

60- بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربى، 1967م.

ابن أبى الضياف (أحمد بن أبى الضياف بن عمر بن أحمد، ت:1291ه/1874م):

61- اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب، الدار العربية للكتاب، 1999م.

الطبرى (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى، ت:310ه/ 923م):

62- تاريخ الطبرى - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط: الثانية.

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، ت:257ه/871م):

63- فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ابن عذارى (أبى العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشى، ت: 695ه/ 1297م):

64- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س كولان. إ. ليفى بروفنال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، 1983م.

أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم القيروانى، ت333ه/ 944م):

65- طبقات علماء إفريقية وتونس، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، لبنان.

ابن العربى (أبى بكر محمد بن عبد الله، ت: 543ه/1148م):

66- أحكام القرآن، تعليق ومراجعة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، 1424ه - 2003م.

العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله، ت: 749ه/ 1348م):

67- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار - ممالك اليمن والغرب الإسلامى وقبائل العرب، تحقيق: د/ حمزة أحمد عباس.

الغبرينى (أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبرينى الجزائرى، ت: 714ه/1311م):

68- عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: الثانية، 1979م.

الغزالى (أبى حامد محمد بن محمد الغزالى، ت: 505ه/1111م):

69- إحياء علوم الدين، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1426ه - 2005م.

ابن أبى العز (صدر الدين أبو الحسن على بن علاء الدين بن محمد بن أبى العز الدمشقى الصالحى، ت: 792ه/1390م):

70- شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركى، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: الثانية، 1411ه - 1990م.

ابن العماد (شهاب الدين أبى الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى الحنبلى الدمشقى، ت:1089ه/ 1668م):

71- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط:

الأولى، 1410هـ - 1989م.

ابن غلبون (أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي، ت: بعد 1145ه/ 1696م):

72- شرح تاريخ طرابلس الغرب المسمى بالتذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تصحيح وتعليق، الطاهر أحمد الزاوى الطرابلسى، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ/1948م.

أبو الفدا (إسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه، ت: 732ه/ 1331م):

73- المختصر فى أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط: الأولى.

ابن فرحون (الإمام القاضى برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون المدنى المالكى، ت: 799ه/ 1401م):

74- الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن محيى الدين الجنَّان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1417هـ - 1996م.

ابن الفرضى (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدى الحافظ، ت: 403هـ/ 1013م):

75- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصرى، القاهرة، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ط: الثانية، 1410هـ - 1989م.

أبو القاسم (صاعد بن أحمد بن صاعد، ت: 462ه/ 1069م):

76- طبقات الأمم، نشره وذيله: لويس شيخو اليسوعى، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، 1912م.

القاضى عياض (عياض بن موسى بن عياض السبتى اليحصبى، ت544هـ/ 1149م):

77- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1418هـ - 1998م، وطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ج5.

القزوينى (أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود القزوينى، ت: 682ه/1283م):

78- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان.

ابن القطان المراكشى (أبى محمد حسن بن على بن محمد بن عبد الملك الكتامى، ت: منتصف القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى):

79- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: د/ محمود على

مكى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الثانية، 1990م.

القلقشندى (أبى العباس شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد القلقشندى، ت: 821هـ/ 1418م):

80- صبح الأعشى فى كتابة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1333هـ - 1915م.

كاتب مجهول (كاتب مراكشى من كتَّاب القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى):

81- الاستبصار فى عجائب الأمصار - وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق: د/ سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1985م.

الكرخى (أبى اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الإصطخرى، ت: 346ه/957م):

82- مسالك الممالك، دار صادر، بيروت، لبنان، مطبعة بريل، 1937م.

مؤلف مجهول (القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى):

83- مفاخر البربر، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار رقراق للطباعة والنشر، ط: الأولى، 2005م.

مارمول كربخال (رحالة أوربى كان حيًا فى عام 979ه/ 1571م):

84- إفريقيا، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجى، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، 1408هـ - 1988م.

المالكى (أبى بكر عبد الله بن محمد المالكى، ت: 4ه/10م):

85- رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسَّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، محمد العروسى المطوى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الثانية، 1414هـ - 1994م.

محمد بن سحنون (أبو عبد الله محمد بن أبى سعيد سحنون بن حبيب التنوخى، ت: 256ه/870م):

86- كتاب آداب المعلمين، تحقيق: العلامة/ حسن حسنى عبد الوهاب، مراجعة: محمد العروسى المطوى، دار الكتب الشرقية، تونس، 1392ه - 1972م.

محمد بن محمد بن عمر مخلوف، (ت: 1360ه/1941م):

87- شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1350هـ - 1932م.

المراكشى، (محيى الدين أبى محمد عبد الواحد ابن على التميمى ت: النصف الأول من القرن السابع الهجرى/ القرن 13م):

88- "المعجب فى تلخيص أخبار المغرب"، مطبعة بريل، لبدن، 1881م.

المعز بن باديس (المعز بن باديس بن المنصور بن بُلكين بن زيرى بن مناد الحميرى الصنهاجى، ت: 454ه/1062م):

89- عُمدة الكُتَّاب وعُدة ذوى الألباب - فى صفة الخط والأقلام والمداد والليق

والحبر والأصباغ وآلة التجليد، تحقيق: نجيب مايل الهروى - عصام مكية، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، 1409ه.

المسعودى (أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى، ت: 346ه/ 958م):

90- مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وتقديم: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء المقدسى المعروف بالبشارى، ت: نحو 380ه/990م):

91- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط: الثالثة، 1411هـ - 1991م.

المقرى التلمسانى (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى القرشى، ت: 1041ه/1631م):

92- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1408هـ - 1988م.

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على المقريزى، ت: 845ه/ 1453م):

93- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: د/ جمال الدين الشيالى، مطابع الأهرام التجارية، قليوب، مصر، ط: الثانية، 1416هـ - 1996م.

94- كتاب المقفى الكبير، اختيار وتحقيق: محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1407هـ - 1987م.

ابن منظور (محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصارى الرويفعى الإفريقى، ت: 711ه/ 1311م):

95- لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 689ه/1377م.

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى، ت: 733هـ/1333م):

96- نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق: د/ يحيى الشامى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن هانئ الأندلسى (أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدى الأندلسى، ت: 362ه/972م):

97- ديوان ابن هاني الأندلسى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1400هـ - 1980م.

الوزير السراج (أبى عبد الله محمد بن محمد الأندلسى السراج، ت: 1149هـ / 1736م):

98- الحلل السندسية فى الأخبار التونسية، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ط:

الأولى، 1287ه.

الونشريسى (أبى العباس أحمد بن يحيى، ت: 914ه/ 1485م):

99- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، ودار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، 1401ه - 1991م.

اليافعى (أبى محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى اليمنى المكى، ت: 768ه/1371م):

100- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1417ه - 1997م.

ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى، ت: 622ه/1225م):

101- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1993م.

102- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397ه - 1977م.

أبو يعلى (القاضى أبى يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادى الحنبلى، ت: 458ه/1066م):

103- العدة فى أصول الفقه، تحقيق: د/ أحمد بن على سير المباركى، ط: الثالثة، 1414ه - 1993م.

رابعًا: المراجع العربية والمعربة:

إسماعيل باشا البغدادى:

1- هدية العارفين، مطبعة وكالة المعارف الجليلة، استانبول، 1951م.

إتورى روسى:

2- ليبيا منذ الفتح العربى حتى سنة 1911، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسبى، مكتبة الإسكندرية، توزيع: الدار العربية للكتاب، ط: الثانية، 1411ه - 1991م.

أبو القاسم محمد كرو:

3- عصر القيروان، طلاس للترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط: الثانية، 1989م.

أبو البركات عبد العزيز الميمنى الراجكوتى السلفى:

4- النتف من شعرى ابن رشيق وابن شرف، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1343هـ - 1927م.

أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسى:

5- شرح تاريخ طرابلس الغرب المسمى بالتذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تصحيح وتعليق: الطاهر أحمد الزاوى الطرابلسى، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.

إحسان عباس (دكتور)، **محمد يوسف نجم** (دكتور)**:**

6- ليبيا فى كتب التاريخ والسير، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازى، لبيبيا، 1968م.

أحمد أمين:

7- فجر الإسلام، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

8- ضحى الإسلام، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.

9- ظهر الإسلام، الطبعة الأولى، شركة نوابغ الفكر للنشر، القاهرة، ط: الأولى، 1430هـ - 2009م.

أحمد بك النائب الأنصارى الطرابلسى:

10- المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجانى، طرابلس، ليبيا.

أحمد بن الحسين النائب الأنصارى:

11- نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تقديم وتعليق: د/ محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجانى للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر.

أحمد فؤاد الأهوانى (دكتور):

12- التربية فى الإسلام أو التعليم فى رأى القابسى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م.

أحمد مختار العبادى (دكتور):

13- فى تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

أحمد مختار عمر (دكتور):

14- النشاط الثقافى فى ليبيا من الفتح الإسلامى حتى بداية العصر التركى، مؤسسة تاوالت الثقافية، 1391هـ - 1971م.

السنيور كرلونلينو:

15- علم الفلك تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط: الثانية، 1413هـ - 1993م.

بشير رمضان التليسى (دكتور):

16- الاتجاهات الثقافية فى الغرب الإسلامى خلال القرن 4هـ/10م، دار المدار الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 2003م.

17- معالم الحضارة الإسلامية فى ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط: الأولى، 2008م.

جورج مارسيه:

18- بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى، ترجمه عن الفرنسية: محمد عبد الصمد هيكل، راجعه: د/ مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية.

حاجى خليفة وكاتب جلبى (مصطفى بن عبد الله، ت: 1068ه/1657م):

19- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، تصحيح: محمد شرف الدين، رفعت بيلكه الكليسى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، 1361ه - 1941م.

حسن إبراهيم حسن (دكتور):

20- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: الرابعة عشر، 1416ه - 1996م.

حسن خضيرى أحمد (دكتور):

21- علاقات الفاطميين فى مصر بدول المغرب (362 - 567ه/ 973 - 1171م) مكتبة مدبولى، القاهرة، ط: الأولى، 1996م.

حسن حسنى عبد الوهاب:

22- الإمام المازرى، منشورات لجنة البعث الثقافى الإفريقى، دار الكتب الشرقية، تونس، 1348ه - 1928م.

23- شهيرات تونسيات، مكتبة المنار، تونس، 1966م.

24- كتاب العُمر فى المصنفات والمؤلفين التونسيين، مراجعة وإكمال: محمد العروسى المطوى، بشير البكوش، دار الغرب الإسلامى، بيروت لبنان، ط: الأولى، 1990م.

25- ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، ط: الثانية، 1972م.

حسين مؤنس (دكتور):

26- أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، ط: الأولى، 1407هـ - 1987.

27- فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، رقم (7331).

28- معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، 2004م.

خالد كبير علال (دكتور):

29- الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث خلال القرنين 5 - 6هـ، دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، ط: الأولى، 1426هـ - 2005م.

ويل ديورانت:

30- قصة الحضارة، ترجمة: فؤاد أندروص، مراجعة: على أدهم، دار الجيل، بيروت، لبنان، المجلد الرابع.

سعد زغلول عبد الحميد (دكتور):

31- تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيرى الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، 1990م.

شارل فيرد:

32- الحوليات الليبية منذ الفتح العربى حتى الغزو الإيطالى، نقلها عن الفرنسية: د/ محمد عبد الكريم الوافى، جامعة قاريونس، بنغازى، ليبيا، ط: الثالثة، 1994م.

صالح عبد السميع الآبى الأزهرى:

33- رسالة الإمام ابن أبى زيد القيروانى وبهامشها الشرح المسمى الثمر الدانى فى تقريب المعانى لرسالة ابن أبى زيد القيروانى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة، 1338هـ.

طه أحمد شرف، حسن إبراهيم حسن:

34- عبيد الله المهدى إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1366هـ - 1947م.

عثمان الكعاك:

35- البربر، أعده للنشر: تامغناست، 1375هـ.

عبد الحليم عويس (دكتور):

36- دولة بنى حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائرى، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الثانية، 1411هـ - 1991م.

عبد الرحمن بشير (دكتور):

37- اليهود فى المغرب العربى (22 - 462هـ / 642 - 1070م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط: الأولى، 2001م.

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم:

38- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مجمع الملك فهد، 1425هـ - 2004م.

عبد الله العروى:

39- مجمل تاريخ المغرب، المركز الثافى العربى، الدار البيضاء، المغرب، ط: الثانية، 2000م.

عبد الله بن يوسف الجديع:

40- المقدمات الأساسية فى علوم القرآن، توزيع مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط: الأولى 1422هـ - 2001م.

عبد الله فياض:

41- الإجازة العلمية عند المسلمين، مطبعة الرشاد، بغداد، ط: الأولى، 1967م.

على بن سعد بن صالح الضويحى (دكتور):

42- آراء المعتزلة الأصولية - دراسة وتقويمًا، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1415هـ - 1995م.

على محمد الصلابى (دكتور)

43- الدولة الفاطمية - صفحات من التاريخ الإسلامى فى الشمال الإفريقى، نشر:

مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط: الأولى، 1427هـ - 2006م.

44- الدولـة العبيديـة فـى ليبيـا - صـفحات مـن التـاريخ الإسـلامى فـى الشـمال الإفريقى، دار البيارق، الأردن، عمان، ط: الأولى، 1418هـ - 1998م.

فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومى (دكتور):

45- التفسير الفقهى فى القيروان حتى القرن الخـامس الهجرى، دراسات قرآنية، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية.

فيصل قزاز الجاسم:

46- حقيقة الخوارج فى الشرع وعبر التاريخ، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط: الأولى، 1426هـ - 2005م.

كمال السيد أبو مصطفى (دكتور):

47- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية فى المغرب الإسلامى من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسى، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996م.

ليث سعود جاسم:

48- ابن عبد البر الأندلسى، وجهوده فى التاريخ، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ط: الأولى، 1407هـ - 1986م.

محمد التاهونى (محمد على بن شيخ على بن محمد حامد بن محمد صابر الفاروقى السنى الحنفى التهانوى، ت: بعد 1158ه/1745م):

49- موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم: د/ رفيق العجم، مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1996م.

محمد جمال الدين سرور (دكتور):

50- تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربى للطبع والنشر، القاهرة، 1995م.

محمد الطالبى (دكتور):

51- فى تاريخ إفريقية، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1994م.

محمد طه الحاجرى (دكتور):

52- دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية فى المغرب العربى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ - 1983م.

محمد محفوظ:

53- تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1982م.

محمد محمد زيتون (دكتور):

54- القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الأولى، 1408هـ - 1988م.

55- المسلمون فى المغرب والأندلس، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1411هـ - 1990م.

محمود إسماعيل عبد الرازق (دكتور):

1- الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط: الثانية، 1406هـ - 1985م.

محمود شيت خطاب (لواء ركن):

56- قادة فتح المغرب العربى، دار الفكر للطباعة والنشر، العراق، ط: السابعة،

1404هـ - 1984م.

ممدوح حسين (دكتور):

57- إفريقية فى عصر الأمير إبراهيم الثانى الأغلبى، قراءة جديدة تكشف افتراءات دعاة الفاطميين، دار عمار، ط: الأولى، 1417هـ - 1997م.

ميخائيل أمارى:

58- المكتبة العربية لصقلية، نصوص فى التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع، دار صادر، بيروت، 1857م.

ناصر الدين محمد الشريف:

59- الجواهر الإكليلية فى أعيان علماء ليبيا من المالكية، دار البيارق، عمان، الأردن، ط: الأولى، 1420هـ - 1999م.

نجم الدين الهنتاتى:

60- المذهب المالكى بالغرب الإسلامى إلى منتصف القرن 5ه/11م، تبر الزمان، تونس، 2004م.

نجوى عثمان (دكتور):

61- مساجد القيروان، مطبعة دار عكرمة، دمشق، سوريا، ط: الأولى، 2000م.

نجيب زبيب:

62- الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم: المستشار/ أحمد ابن سودة، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1415ه - 1995م.

الهادى روجى إدريس:

63- الدولة الصنهاجية - تاريخ إفريقية فى عهد بنى زيرى من القرن 10م إلى القرن 12م، نقله إلى العربية: حمادى الساحلى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1992م.

هند شلبى (دكتورة):

64- القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجرى، الدار العربية للكتاب، 1983م.

خامسًا: المجلات والدوريات العربية:

خليف مصطفى غرايبة (دكتور):

1- الرحلات الجغرافية فى التراث العربى الإسلامى فى القرنين الرابع والخامس الهجريين، دورية كان التاريخية، السنة الثانية، العدد الثالث، مارس 2009م.

رشيدة برادة (دكتورة):

2- الدور التربوى والتعليمي لمؤسسات التعليم العتيق، مجلة الجامعة المغاربية، العدد الأول، السنة الثانية، 2007م.

صلاح الدين المنجد (دكتور):

3- إجازات السماع فى المخطوطات القديمة، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثانى، 1375هـ - 1995م.

عبد الرؤوف جرار (دكتور):

4- سقوط الدولة الفاطمية فى المغرب ونبذ التشيع، مجلة جمعية القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد العشرون، حزيران 2010م.

عبد الله كانون:

5- الحديث وقيمته العلمية والدينية، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، العدد الثانى، السنة العاشرة، شعبان 1386هـ - ديسمبر 1966م.

فنسان مومنتاى:

6- العرب والفكر العلمى، ترجمة: د/ أكرم فاضل، مجلة المورد، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، المجلد السادس، العدد الرابع، 1398هـ - 1977م.

قاسمى بختاوى:

7- التعليم بالكتَّاب فى المغرب الأوسط، دورية كان التاريخية، السنة الرابعة، العدد الثانى عشر، رجب 1432هـ - يونيو 2011م.

محمد الفاسى:

8- ابن رشيد الفهرى ورحلته إلى المشرق، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، العدد الثانى، السنة الثالثة، ربيع الثانى 1379هـ - 1959م.

محمد بن الخوجة:

9- صحيفة من تاريخ تونس، المجلة الزيتونية، المطبعة التونسية، تونس، المجلد الأول، العدد الثانى، 1355هـ - 1936م.

محمد بن تاويت الطنجى:

10- مقدمة كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، العدد الخامس، السنة الثامنة، ذو القعدة 1384هـ - مارس 1965م.

محمد بن عبد العزيز الدباغ:

11- نحن والتاريخ، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، العدد السادس، السنة العاشرة، محرم 1387ه - ابريل 1967م.

م.ف. مينورسكى:

12- الجغرافيون والرحالة المسلمون، ترجمة: د/ عبد الرحمن حميده، نشرة دورية محكمة، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، يناير 1985م - ربيع الثانى 1405ه.

سادسًا: الرسائل الجامعية:

إلهام حسن دحروج:

1- مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2000م.

حسين سيد عبد الله مراد (دكتور):

2- قبائل المصامدة منذ الفتح الإسلامى حتى قيام دولة الموحدين فى المغرب، رسالة دكتوراة، غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1991م.

رامى أحمد رشاد:

3- الحياة الثقافية فى فاس زمن الموحدين 450-646ه/1146-1248م، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة.

صلاح عثمان أحمد عثمان:

4- الحياة الاجتماعية والثقافية فى برقة وطرابس منذ القرن الثالث الهجرى وحتى منتصف القرن الخامس الهجرى، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة.

علياء هاشم ذنون محمد المشهدانى:

5- فقهاء المالكية، دراسة فى علاقاتهم العلمية فى الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن 6ه/12م، أطروحة ماجستير، غير منشورة، جامعة الموصل، العراق، 1424ه - 2003م.

على بن صالح سعيد الغامدى:

6- النظام التعليمى الإسلامى فى القرن الثالث الهجرى، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1431هـ - 1432هـ.

سابعًا: المراجع الأجنبية:

Abbou, Is, D:

1. Muslmans Andalous et Judeo-Espagnols, Casablanca, 1953.

Brockelmann, Karl:

2. History of the Islamic People, Londone, 1949.

Goitein, S. D:

3. A Mediterranean, Society, University of California Press, 1967, Vol., 1.
4. Jews and Arabs. Their Contacts Through the ages, New York, 1955. Mediterranean Society.

Hirschberg:

5. A History of The Jews in North Africa Volume 1, Leiden 1974.

Lewis (A.R.):

6. Naval Power and trade in the Mediterranean, Princeton, New Jersy, 1951.

Marcais, G:

7. Les Arabes en Berbérie du XI au XIV siécles, Paris, 1913 .

Mas - Latrie:

8. Relations et Commerce de L'Afrique septentrionale Ou Magreb avec Les cNations Chretiennes, Paris, 1886.

Menahem Mansoor:

9. Jewish History and Thought, Ktav Publishing House, 1991.

Sachar, A. L:

10. A History of The Jews, New York, 1953.

Stanley Lan - Poole:

11. Catalogue of the collection of Arabic coins preserved in the Khedirvial Library in Cairo, Oxford, 1897.

Stillman, M. A:

12. The Jews of Arab lands A History and Source Book, The Jewish Publication Society of America, 1979.

Voderheyden, M:

13. La Berberie orientale sous la synastie de Benou' L'Arlab. Paris, 1927.

الفهرس

إهداء **4**
المقدمة **5**
أهمية الموضوع: **6**
أسباب اختيار الموضوع: **6**
إشكالية الموضوع: **7**
منهج الدراسة: **7**
خطة الدراسة: **8**
أهم المصادر التى اعتمدت عليها هذه الدراسة: **9**
خامسًا: كتب الفتاوى والنوازل: **14**
سادسًا: مصادر أخرى: **14**
سابعًا: المراجع والدراسات الحديثة: **15**
تمهيد **17**
أولًا: الناحية الجغرافية للمغرب الأدنى: **18**
ثانيًا: الأحوال السياسية بالمغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية: **21**
الفصـــــل الأول
عوامل الازدهار الثقافى فى المغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية **57**
أولًا: الموقع وأهميته: **58**
ثانيًا: الرخاء الاقتصادى: **65**
ثالثًا: تشجيع الأمراء والولاة للآداب والعلوم: **72**
رابعًا: الرحلة فى طلب العلم: **81**
الفصـــــل الثـــانى
دُوُر العلم والثقافة والنظم التعليمية فى الدولة الزيرية **91**
أولا: دُوُر العلم: **93**
ثانيًا: النظم التعليمية فى إفريقية فى العهد الزيرى: **120**
الفصـــــل الثـــالث
العلوم النقلية فى بلاد المغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية **138**
أولًا: العلوم الشرعية: **139**
ثانيًا: الزهد والتصوف: **163**
ثالثًا: علوم اللغة العربية: **167**

الفصـــــل الرابـــع
العلوم النقلية والعقلية فى بلاد المغرب الأدنى فى عهد الدولة الزيرية 188
أولا: العلوم النقلية:... 189
ثانيًا: العلوم العقلية: 199
الفصـــــل الخامـــس
الصلات الثقافية بين المغرب الأدنى والعالم الإسلامى.......................... 214
أولا: الصلات الثقافية مع المغرب الأقصى: 216
ثانيًا: الصلات الثقافية مع الأندلس: 220
ثالثًا: الصلات الثقافية مع مصر:.. 226
رابعًا: الصلات الثقافية مع بلاد الحجاز (مكة والمدينة): 231
الخاتمة 237
الملاحق... 240
أولًا: الخرائـــط... 241
ثانيًا: الأشكال 245
المصادر والمراجع.. 258
الفهرس.. 289